د. محمد علي الشهاري

المطامع السعودية التوسعية في اليمن

دار ابن خلدون

الطبعة الاولى 1979

مقدمة

بقيام ثورة 26 سبتمبر عام 1962 في شمال اليمن، وقيام ثورة 14 أكتوبر في جنوبها اطلت تباشير عهد جديد على العربية السعيدة، ولمعت اشعة فجر زاهر بهي فيها، فبهما تم اسقاط النظام الامامي الاستبدادي،والتحرر من الحكم البريطاني الاستعماري، واعلن النظام الجمهوري في كل من الشطرين وفتح الطريق من جديد امام اليمن لتستكمل مقومات وجودها، وتتصل بما انقطع من ماضيها وتبني مستقبلها بيدها كما تهيأت بذلك الظروف الموضوعية والملائمة لالتقاء جزئي اليمن، وربط ماضيها بحاضرها بمستقبلها في كيان وطني متكامل سوي، عبر انطلاقة الثورة اليمنية إلى افاقها البعيدة الوطنية والاجتماعية، ومن خلال التحام قواها الشعبية والتقدمية.

ولأول مرة في التاريخ منذ سقوط آخر دولة مركزية اقطاعية في اليمن تتفتح وتتفاعل الشروط التاريخية والاجتماعية لقيام دولة يمنية أخرى، مركزية موحدة، ذات طبيعة اجتماعية وسياسية مختلفة كالاختلاف عن كل دول اليمن المركزية الموحدة التي عرفت من قبل منذ الدولة الحميرية قبل الاسلام، والى الدولة القاسمية في القرن السابع عشر الميلادي، دولة لا تمت بأدنى صلة إلى تلك الدولة العبودية الاستبدادية التي اقامها الاقيال الحميريون، ولا بأدنى نسب إلى تلك الدولة الاقطاعية الكهنوتية التي اقامها الائمة القاسميون، دولة جديدة كل الجدة، ومن جميع الوجوه،وخالية تماماً من كل شوائب الماضي القهرية، الطائفية، والعرقية، دولة لها كل ملامح العصر الحضارية والتقدمية، دولة الجماهير الشعبية وقواها الطليعية، دولة وطنية ديمقراطية، متقدمة متحررة.

لقد كانت اليمن بفضل التطور الاجتماعي المبكر في تركيبها الطبقي،والتجانس الشديد في خارطتها السكانية اسبق بلدان الجزيرة العربية في تأسيس الدول، بل وفي تأسيس الدول المركزية الحضارية.

غير انه بفعل الصراع السياسي اللاهب الذي أحتدم في كنف طبقة الاقيال والاقنان والاذواء والكبراء، والذي اتخذ فيما بعد لبوسا دينية طائفية بين يهودية ومسيحية .كما عبرت عن ذلك حادثة الاخدود الشهيرة في نجران التي فتك فيها الملك ذونواس الحميري اليهودي المعتقد بالمتمردين عليه من امراء المقاطعة الاقطاعيين، واتباعهم من معتنقي الديانة المسيحية . بفعل ذلك وبفعل الصراع الطائفي داخل الطبقة الاقطاعية نفسها بين اتباع كل مذهب وملة اسلامية، والذي عكس تأثيراته على مجموع سكان البلاد صعب على اليمن أن تستعيد وحدتها، وان تقيم دولتها المركزية الموحدة،

الا في فترات نادرة جداً من تاريخ اليمن الإسلامي ، وظلت ظاهرة التفكك الاقطاعي والتمزق الطائفي، هي الظاهرة السائدة والمهيمنة، وقد تميزت هذه الفترة التي انفرط فيها عقد وحدة البلاد السياسية بأنها كانت فترة ركود حضاري وجمود كامل في عملية التطور الاجتماعي، بل تميزت بأنها كانت فترة تدهور وانحطاط شاملين في كل مجال من مجالات الحياة الزراعية والتجارية، والتكنيكية، والثقافية.

إن مما ضاعف من خطورة وفداحة هذه العملية المدمرة من التفكك السياسي والاداري، والسكاني، والتباغض والاحن بين ملوك وائمة وامراء اليمن، والتناحر الطائفي النابع من صراعاتهم على السلطة، مما فاقم من حالة الركود التاريخي والانحطاط الحضاري هذه، تلك الحملات الخارجية، والغزوات الاستعمارية التي تعرضت لها اليمن، من قبل الدول الاوربية واحدة بعد الأخرى، ثم من قبل الامبراطورية العثمانية والامبراطورية الانجليزية في آخر الأمر.

لم تقم دولة الأئمة القاسميين التي وحدت اليمن من اقسى عسير في الشمال إلى عدن في الجنوب وعمان في الجنوب الشرقي بعد أن كانت قد سحقت كل الدويلات اليمنية تحت وطأة الاحتلال التركي الأول الذي دام مائة عام تقريباً من عام 1538 . 1633 ولم تنهض الا بعد حركة تحرير جامحة كاسحة، كان اليمن بها القطر العربي الوحيد الذي امكنه بمثل هذا النضال الاسطوري ان ينفض نير القهر العثماني عن كاهله، وان يستعيد سيادته، وينتزع حريته السياسية من يد الأجنبي. ولكن بفعل قانون الصراع الاقطاعي . الطائفي والسياسي . السلطوي بين ائمة اليمن وامرائه وبين الأئمة انفسهم، كان لابد أن تتمزق هذه الدولة المركزية الوحدة التي عاشت مائة سنة تقريباً، ولقد غطى هذا الصراع فترة القرن الثامن عشر كلها، حيث بدا انفصال حضرموت في مطلع هذا القرن، سبقه استقلال عمان،وتلاه انفصال عدن ولحج من خلال الربع الثاني لنفس القرن، وما كاد القرن ينتهي حتى كاد الجنوب قد اتم عملية انفصاله عن حكم صنعاء، وتحول إلى امارات متعددة، وخلال عملية الانشطار هذه لعبت قبائل يافع دوراً رئيسياً وحاسماً فيها، لا بالنسبة لخروجها هي نفسها على حكام صنعاء، فحسب، وانما أيضاً بالنسبة لعملية فصل حضرموت وعدن ولحج، وشتى المناطق الأخرى التي اصبحت تسمى فيما بعد بالنواحي التسع.

وما كاد يهل القرن التاسع عشر حتى أخذت القوى الطامحة في اليمن تعمل سيف التجزئة في القسم الشمالي من الوطن وبالذات في عسير ونجران، إذ ما كادت الحركة الوهابية تستقر في نجد بعد تبني الأسرة السعودية لها اخذت تمد ابصارها نحو الحجاز واليمن، ففي منتصف 1215هـ (نهاية الـ 1800 جرد عبد العزيز بن محمد بن سعود حملة لاخضاع عسير السراة بقيادة ربيع بن زيد، مؤيدة بدعم شيخي عسير البارزين محمد وعبد الوهاب ابني عامر العسيري الذين كانا قد

اعتنقا العقيدة الوهابية السلفية، وغدت عسير السراة منذئذ نقطة انطلاق للتوسع السعودي صوب عسير تهامة، وصوب تهامة اليمن كلها، وفي عام 1217 هـ (1802 ـ 1803م) تحرك أمير عسير السراة عبد الوهاب العامري . المعروف بابي نقطة بدفع من عبد العزيز الأول . صوب ابي عريش لاخضاع اميرها الشريف حمود بن محمد المعروف بأبي مسمار الذي كان يحكم المنطقة باسم امام صنعاء المنصور علي بن العباس، وقد اتيح له ذلك بالفعل وادخل الشريف حمود ضمن دائرة النفوذ السعودي، حينئذ انطلق أبو مسمار نحو تهامة الجنوبية، وانتزعها من امام
صنعاء،وبسط سلطانه عليها حتى زبيد، وحيس، والمخا، وغدت امارته التهامية الواسعة . شأنها شأن امارة عسير السراة تابعة لسلطان نجد، غير ان الحاكم الوهابي الطموح (سعود بن عبد العزيز) لم يقنع بذلك، وانما طمح إلى الحاق اليمن كلها بمملكته، ومن أجل ذلك فإنه طلب إلى الشريف حمود ان يزحف إلى صنعاء، ويقضي على امامها ويتبع صنعاء بعاصمته "الدرعية، في نجد، ولم يكن من السهل على ابي مسمار القبول بمثل هذه الطلب الخيالي، فرفض الأمر، وعقد صلحا مع الامام المتوكل على اساس اعتراف الامام بما تحت يد الشريف من الأراضي اليمنية، وتطلع إلى الاستقلال بإمارته عن الأمير السعودي، ومن جديد تقدم عليه عبد الوهاب أبو نقطة، مدعما بقوة نجدية، حيث دار قتال متوحش عام 1224 هـ (1809 . 1810م) في وادي بيش بأطراف عسير الشمالية، كان فيه الى جانب ابي مسمار حوالي 17 ألف مقاتل من يام وبكيل وحاشد وهمدان، وتهامة.

وقد تمكن الشريف من قتل عبد الوهاب ولكنه لم يكسب المعركة، وكر راجعاً إلى ابي عريش، بينما زحفت القوة التابعة لسطان نجد إلى صبيا وجيزان بعسير تهامة، ولم يجد أبو مسمار مناصاً من الاذعان . صلحا . بعد ان تقدمت عليه عام 1810 حملة أخرى بقيادة أمير عسير السراة الجديد الموالي للسعوديين طامي بن شعيب السليماني بدفع خراج سنوي للإمام سعود عن امارته التي ظلت ممتدة من ابي عريش إلى زبيد، ولا سيما بعد أن لعب دوراً في اقناعه أمير صعدة المتحالف مع سلطان نجد.

ولم يقتصر نفوذ السعوديين على عسير وتهامة اليمن، وانما امتده عام 1805 . من خلال عبد الوهاب ابي نقطة أيضاً . رجلهم ومعتمدهم الأول في اليمن كلها . إلى نجران، دون ان تتمكن الفصائل السعودية . على أي حال . من الاستقرار فيها.

وفي عام 1224 هـ (1809 . 1810م) حاولت قوة سعودية الوصول إلى حضرموت، ولكن كان مصير أكثرها الفناء، وهو نفس المصير الذي لقيته قوة أخرى بعثت إلى هناك عام 1226 (1811).

أن مما ساعد على تقدم النفوذ السعودي في اليمن افول قوة ومجد الدولة القاسمية، وضعف الامام المنصور، وتضعضع مكانته، وبلغو الاوضاع في صنعاء نفسها درجة المن التدهور والتردي، جعلت القبائل تتمرد عليها،وتخرج على الامام ذاته، وتحاصر العاصمة عام 1223 هجرية (1809 . 1808)[1].

غير انه منذ هذا العام أخذت هذه الموجة التوسعية السعودية التي كانت، قد وصلت أيضاً إلى العراق، تتراجع وتنحسر، وشرعت الدولة الوهابية الأولى تتعرض منذ عام 1811 لضربات جيش محمد علي، وتترنح وتتهاوى تحتها، حتى تم له القضاء عليها تماماً في بضع سنين، في نفس الوقت الذي تقدمت فيه فيالق من هذا الجيش القوي والحديث نسبياً صوب عسير وتهامة اليمن، وحل بذلك نفوذ محمد علي باشا حاكم مصر محل النفوذ السعودي في هذه المنطقة من اليمن، حتى بلغ تعز، قبل أن تتحول اليمن كلها . باستثناء منطقة صعدة، حصن الامامة الحصين، والمنطقة الجنوبية التي كانت قد وقعت تحت السيطرة البريطانية منذ عام 1839 . إلى ولاية تركية، بعد خروج جيش محمد علي عام 1840 من اليمن والجزيرة العربية كلها، وبعد وصول طلائع الغزوة العثمانية الثانية، ابتداء من1849، والتي كانت قمتها حملة 1872 التي استكملت بها عملية الغزو.

ومنذ هذا الوقت اشتغلت البلاد بانتفاضات ثورية متلاحقة ضد الاحتلال التركي، حتى تم اجلاؤه مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولقد كانت حركة الاحداث التاريخية منذ الربع الأخير للقرن التاسع عشر والى عام 1934 متجهة . موضوعياً . صوب تحقيق مهمة تاريخية عظمى وجليلة، هي بعث دولة اليمن المركزية الموحدة. لقد كانت نضالات الشعب اليمني خلال هذه الحقبة الحيوية من تاريخ اليمن،والتي كانت مركزة ومصوبة ضد الاحتلال العثماني، والاستعمار البريطاني، والتوسع السعودي، والتجزئة الاقطاعية والتفكك العشائري، تدور . تاريخياً . حول محور واحد، وتستهدف غاية واحدة، الا هي محور اقامة دولة يمانية موحدة مستقلة.

---

[1] قارن المخلاف السليماني . أو الجنوب العربي . الجزء الأول محمد بن أحمد عيسى العقيلي الرياض 1858 ص 494 . 498، 501 . 501 . 517، 557، 571 . 574. والبدر الطالع الجزء الأول، محمد بن علي الشوكاني، القاهرة 1348 ص 240 . 241. ونيل الوطر . الجزء الأول محمد بن محمد زيارة،القاهرة 1348 ص 408 . 413. وتاريخ المملكة العربية السعودية الجزء الأول، صلاح الدين المختار، بيروت 1957 1957 ص 93 . 94، 103 . 105، 111. وتاريخ اليمن الطبعة الأولى . عبد الواحد الواسعي، القاهرة 1346 ص60. وفي جنوب الجزيرة العربية، صلاح البكري، القاهرة 1960 ص 97 . 98. وقلب الجزيرة العربية، فؤاد حمزة، القاهرة 1933، ص351 . 355، والدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب السيد رجب حراز، القاهرة 1970، ص 80 . 81.

ان هذه الحقيقة التاريخية والساطعة هي ما حاولت دراستها وبلورتها، والبرهنة عليها في رسالتي لنيل الدكتوراه (النضال من أجل اقامة دولة يمانية موحدة مستقلة منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى عام 1934) التي قدمتها عام 1963 إلى كلية الفلسفة التابعة لجامعة كارل ماركس في ليبرج بجمهورية المانيا الديمقراطية تحت اشراف الاستاذين الجليلين والمؤرخين القديرين برفسورماركوف . وبروفسور راتمان.

وهذا العمل الذي اقدمه هنا بين يدي هذه المقدمة والنبذة التاريخية يتكون من بابين "انتزعتهما انتزاعاً من قلب الرسالة البالغة في مجموعها ستة أبواب، ومما "هون" علي عملية (الاقتطاع) هذه انهما يشكلان معا وحدة موضوعية بالفعل، ويمثلان ركناً قائماً بعينه فيها، ويدللان بذاتهما على طبيعة الصراع الذي كان محتدما خلال هذه الحقبة بين حركة التوحيد والتحرير اليمنية المتجهة نحو اقامة دولة يمنية موحدة، وبين قوى التوسع الإقليمية العربية، وقوى التسلط الاستعمارية التي وقفت في وجهة هذه الحركة، وعملت على احباطها واجهاضها.

والدافع المباشر إلى "سلخ" هذا الجزء من الرسالة . الذي باستثناء اضافة بعض النصوص العربية المعززة والقليلة جداً، وبعض الاستطرادات في الصياغة العربية النادرة جداً يعتبر ترجمة حرفية دقيقة للنص الالماني، . والداعي إلى اصداره بشكل مستقل في كتاب خاص تحت عنوان متميز "الجذور التاريخية للمطامع التوسعية في اليمن". هو ذلك الصدى السلبي لذلك البيان اليمني . السعودي الذي صدر في 17 . 3 . 1973 بشأن عسير ونجران.

لقد بين رد الفعل الغاضب لقوى البلاد الوطنية إلى أي مدى تتمتع الشعوب بذاكرة تاريخية لا تنسى، وبوعي وطني مدهش يفوق خيال حتى المؤرخين المختصين، ودلل إلى أي مدى يتوفر لدى الجماهير الشعبية احساس حاد ومرهف بالانتماء الوطني . حتى ولو لم تكن لديها معرفة علمية متخصصة عن تاريخها والتمسك بوحدتها الإقليمية والسياسية، وبحقها في النضال من اجلها، حتى تحققها، وتستكمل بها ذاتها الوطنية، وشخصيتها السياسية، واعتبارها التاريخي. وعندما كتبت رسالتي للدكتوراه منذ عشر سنوات . ومنها هذان البابان المتعلقان بعسير ونجران . بحافز اكاديمي، ودافع وطني لم يكن في خاطري حينئذ ماذا سيحدث بالضبط في المستقبل بشأن هذين الاقليمين اليمنين،وما إذا كانت قضيتهما ستصبح مشكلة سياسية ذات يوم.

وهمي بتقديم هذا الكتاب . وقد غدت قضية عسير ونجران محور اهتمام الرأي العام اليمني كله، وقد اصبحت قضية الوحدة اليمنية الشغل الشاغل لجماهير وقوى العشب الوطنية، وموضع رعاية الدول الوطنية العربية، ومن مهام الجامعة العربية أيضاً . همي هو الاسهام في تعزيز الوعي التاريخي، وتعميق الحس الوطني، بقضية وحدة الوطن اليمني، وتأكيد أن قضية تحقيق دولة اليمن الموحدة

المركزية، الوطنية المستقلة، عملية تاريخية، بدأت حركتها منذ نهاية القرن التاسع عشر، ولا تزال حتى الآن في حالة حركة ونمو وتبلور. وليس من المبالغة في شيء القول في انها اوشكت الآن على الدخول في مرحلة التجسد التاريخي والتحقق السياسي.

نبذة تاريخية عن النزاع اليمني . السعودي على اقليمي عسير ونجران اليمنيين

مشكلة الحدود اليمنية . السعودية ليست مقصورة على منطقة (الشرورة) التي كانت السلطات الاستعمارية البريطانية في عدن قد سلمتها إلى المملكة العربية السعودية مع نهاية 1961 ومطلع 1962، بقصد خلق (نزاعات حدود) بين الدولة التي ستخلفها في جنوب اليمن، وبين السعودية، ولا مقصورة على منقطة (الوديعة) التي تمكنت السعودية من بسط اليد عليها، بعد العدوان السعودي والاقتتال البري والجوي الذي حدث بين القوى المعتدية وبين جمهورية اليمن الديمقراطية عام 1969.

ان مشكلة الحدود اليمنية السعودية أكبر واعقد من ذلك بكثير والذي اثارها في السبعينات مجدداً، هو ذلك البيان اليمني السعودي الذي صدر في 17 . 3 . 1973 اثر زيارة رئيس حكومة صنعاء آنذاك القاضي عبد الله أحمد الحجري للرياض، والذي جاء فيه ان الجانبين يؤكدان (اتفاقهما التام مجدداً على اعتبار الحدود بين بلديهما حدود فاصلة بصفة نهائية ودائمة، وذلك كما نصت عليه المادتان الثانية والرابعة من معاهدة الصداقة الإسلامية والاخوة العربية الموقعة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف وملحقيهما الخاصين بذلك".

فما كاد يذاع هذا البيان، حتى انطلقت المظاهرات الطلابية وغير الطلابية في مدن اليمن الرئيسية، صنعاء، وتعز، والحديدة، التي طالبت بمحاكمة الحجري، باعتبار ان التنازل عن عسير ونجران بصفة (نهائية ودائمة) عمل من أعمال الخيانة الوطنية العظمى، ولم تقتصر حركة الاحتجاج على الطلبة اليمنيين في الداخل والخارج، وانما شملت كل المنظمات والقوى الوطنية في شمال البلاد وجنوبها، بما فيها (الجبهة القومية) الحاكمة) في عدن آنذاك.

فما هي قصة المطامع التوسعية السعودية في عسير ونجران خصوصاً، وفي اليمن عموماً؟

من المعروف تاريخياً ان حدود اليمن الجغرافية تنتهي عند ميناء (الليث) في اقصى عسير تهامة، وان عسير السراة، وعسير تهامة كانتا جزءاً لا يتجزأ من اليمن عبر التاريخ كله، وان اقليم عسير بجزأيه الجبلي والتهامي كان يشكل احدى متصرفيات ولاية اليمن التركية، كما ان من المعروف من قبل الإسلام ان اقليم نجران بواحاته المقروء عنها كان أحد الاقاليم اليمنية التي تسكنها جماعات من (يام) التابعة لقبيلة (بكيل) اليمنية، ولعل قصة (الاخدود) التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي كانت نجران ساحة لها، واحدة من الأدلة التاريخية على تبعية نجران لليمن.

وقد بدأ النزاع اليمني . السعودي، على نجران وعسير، عندما حاولت الدولة السعودية الأولى مد نفوذها إلى هذين الاقليمين والى حضرموت في مطلع القرن التاسع عشر. وقد انهى هذا النفوذ الذي لم يدم سوى بضع سنين بفعل الانتفاضات والحروب التي شنت ضده، وبفعل القضاء على الدولة السعودية نفسها على يد جيش محمد علي الذي امتدت سيطرته إلى نجد وشمال اليمن.

وقد تجدد النزاع اليمني . السعودي بعد ان ظهرت المطامع التوسعية السعودية في عسير ونجران مرة أخرى بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة واستمر منذئذ إلى 1934. فبانسحاب الاتراك من اليمن بعد نهاية هذه الحرب نشأت على امتداد الهضبة الوسطى والمنطقة الشرقية من اليمن (المملكة المتوكلية اليمنية) كما قامت على الجزء الشمالي الغربي منها (عسير السراة، وعسير تهامة، وجزء من تهامة إلى الحديدة) نشأت (الامارة الادريسية).

وخلال الصراع اللاهب بين الامام يحيى حميد الدين ومحمد علي الادريسي، حاول الشريف حسين أمير مكة مد نفوذه إلى عسير السراة من خلال اميرها الحسن بن علي بن عائض الذي كان قد ثار على الادريسي، في محاولة لتكوين امارة خاصة به، مما دفع بالادريسي، وقد وجد نفسه بين نار الامام يحيى والشريف حسين، والحسن بن عائض، إلى الاستعانة بابن سعود،وفي مقابل ذلك تنازل له بمقتضى ما اسمي (معاهدة الصداقة) التي ابرمت بينهما في 31 . 8 . 1920 عن عسير السراة. الا أن قبائل عسير السراة لم تعترف بذلك، ولم يمكن اخضاعها للحكم السعودي الا بعد حملات عسكرية متتالية استمرت إلى عام 1923، كان على رأس بعضها الأمير فيصل (الملك فيصل فيما بعد) الذي كان أيضاً أحد ممثلي ابن سعود في عقد المعاهدة المذكورة.

اثر ذلك رغب الملك عبد العزيز في الاتفاق مع امام صنعاء حول وضعية عسير السراة، غير أن ابن حميد الدين ترك الأمر معلقاً، حتى يصفي حسابه اولاً مع الادريسي. ولكن ما كادت قواته تنتزع من الادارسة تهامة خلال عام 24 . 1925، وتشرف على عسير تهامة، حتى بادر الحسن بن علي الادريسي عام 1926 إلى عقد (معاهدة حماية) مع ابن سعود، طمعاً في الحفاظ على ما تبقى من امارته.

ولتخفيف وطأة هذه الخطوة على الامام يحيى اعلن الملك السعودي انه ليس المقصود منها اكثر من (ابقاء عسير مستقلة كدولة وسط بيننا وبين اليمن، لتجنب نشوب الحرب) وانه لا يريد بها أكثر من أن تكون هناك (في عسير حكومة يمنية محايدة بين حكومة الامام يحيى وحكومتنا).

ومنذئذ دخل حاكم صنعاء وسلطان نجد في مفاوضات طويلة ومعقدة من خلال الوفود المتبادلة استمرت طيلة العشرينات، دون أمل في الوصول إلى نهاية. وبينما ضم السلطان الوهابي عام 1930 عسير تهامة إلى منطقة نفوذه، حتى غدت باعلان(المملكة العربية السعودية) في 22 ت

9 . 1932 جزءاً من مملكته، حاولت قوات الإمام يحيى خلال ذلك كسب موقع قدم لها في بعض جبال عسير تهامة.

وفي محاولة يائسة لاستعادة امارتهم قام الادارسة في نفس العام، وكرد على الحاق امارتهم بالمملكة العربية السعودية بانتفاضة ضد الادارة السعودية. ولم يحاول الامام انتهاز الفرصة السانحة ويدفع بقواته لخوض المعركة إلى جانبهم، وظل بدلاً من ذلك اسير المفاوضات مع ابن سعود حول تبعية المنطقة له، واسير المخاوف من احتمال تدخل قوى اجنبية في النزاع بينهما.

وبانتهاء مقاومة الادراسة عام 1933، كان عليهم ان يتوجهوا إلى مملكة الامام، وان يلعبوا دوراً في تحريضه على استعادة عسير تهامة.

وفي نفس الوقت الذي تقدمت فيه قوات من الجيش اليمني، الإخذ نجران التي كانت قد فشلت حملات ابن سعود في اخضاعها خلال العشرينات، وبغية قطع الطريق على محاولاته الجديدة في مد نفوذه اليها، زحفت قوات حكومية وشعبية اخرى، مدعمة بقوى المقاومة اليمنية من انصار الادراسة، نحو جبال عسير تهامة.

وكان من شأن هذا التطور في سير الاحداث ان يفجر الموقف بين ابن حميد وبين ابن سعود، الذي اعلنت في 22 . 3 . 1934 الحرب على اليمن، والتي انتهت بعقد (معاهدة الطائف) في 19 .5 . 1934.

وإذا كان الجيش اليمني قد استطاع خلال الحرب غير المتكافئة من ناحية التسلح الصمود في المنطقة الجبلية التي يجيد القتال فيها باسلحته المتخلفة، فقد كان عليه . نظراً لفقدانه المعدات الحربية الحديثة التي كان يمتلكها الجيش السعودي، ان يخلي تهامة، للزحف السعودي المجهز بالاليات المتقدمة نسبياً، والذي كان من السهل عليه ان يبلغ الحديدة التي رابط فيها الأمير فيصل، دون ان يجرب . على أي حال . محاولة الاقدام على اقتحام (العقبة) بالتقدم نحو المنطقة الجبلية التي اثبتت كل تجارب الجيش العثماني انها مكلفة للغاية!

ومن هنا كان على الملك السعودي ان يعيد النظر في خطته الاصلية التي كانت تطمع في اخذ اليمن كلها، وان يقنع بالانسحاب من تهامة، مقابل ترك عسير ونجران تحت سلطانه. وعلى هذا الاساس عقدت معاهدة الطائف الانفة الذكر لمدة عشرين عاماً قابلة للتعديل والتجديد،وبمقتضاها ترك الائمة أمر عسير ونجران (معلقاً) حتى جاء رئيس المجلس الجمهوري القاضي عبد الرحمن الاريحاني الذي تجاهل حق اليمن في تعديل وتجديد هذه المعاهدة، وخول ممثلية القاضي عبد الله الحجري رئيس الوزراء ومحمد أحمد نعمان نائب رئيس الوزراء اصدار البيان اليمني . السعودي

الذي اعلنت في 17 . 3 . 1973، واعتبرت بمقتضاه الحدود اليمنية السعودية نهائية، مما يتناقض مع فحوى وروح المعاهدة.

فرغم ان الامام يحيى كان في موقف الضعيف خلال الحرب مما دفعه إلى القبول بايقافها، وهو ما اعتبر هزيمة له امام عبد العزيز آل سعود، فإن من الملاحظ انه لم يتخل نهائياً عن عسير ونجران وانما احتفظ بحق اعادة النظر في المعاهدة في الوقت الملائم، حيث نصت المادة 22 على ان تظل المعاهدة (سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة أشهر التي تسبق تاريخ مفعولها، فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ، تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من اعلان أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر رغبته في التعديل).

ومن النص يتضح جلياً ان المعاهدة لم تكن (نهائية) وانها لم تعط (حقوقاً ثابتة ودائمة) للطرف السعودي السائد في المنطقة، حتى ولو لم يجددها أو يعدلها الطرفان المتعاقدان، وان تردد ان الملك سعود اعلن . من جانب واحد . الغاء المعاهدة عام 1959، معتبراً ان عسير ونجران تابعتان للملكة السعودية (من الناحية الواقعية) دون الحاجة إلى (نصوص قانونية) تزكي ذلك!

واذا كانت الجمهورية العربية اليمنية التي قامت على انقاض المملكة المتوكلية اليمنية قد اعلنت . مقابل اعتراف أمريكا بها . في ديسمبر 1962 اعترافها بجميع المعاهدات والاتفاقيات التي ابرامها العهد السابق، فإن مجلسها الجمهوري (وكان يضم وقتها القاضي الارياني) قد استثنى فيما بعد معاهدة الطائف من ذلك، حيث اصدر عام 1965 بياناً رسمياً اعلن فيه تمسكه الكامل والمطلق بملكية وتبعية عسير ونجران للجمهورية العربية اليمنية، ارضاً، وبشراً، وتاريخاً، ومصيراً، وذلك ما اكده الرئيس جمال عبد الناصر في الكثير من خطاباته.

واذا كان التصريح الذي ادلى به القاضي الارياني رئيس المجلس الجمهوري الاسبق لمجلة (الحوادث) اللبنانية (عدد 19 . 1 . 1973) والذي قال فيه: (نعم هناك خلاف بين الشطر الجنوبي والسعودية على الوديعة .. أما نحن فقد اعلنا صبيحة 26 سبتمبر التزامنا بجميع الاتفاقيات والمواثيق الدولية التي كانت بين اليمن والدول الأخرى ، وفي مقدمتها اتفاقية الطائف طبعاً) إذا كان هذا التصريح لم يثر اهتمام أحد في وقته، فانه على العكس من ذلك كان الصدى الواسع، ورد الفعل القوي الذي لقيه البيان اليمني . السعودي الذي انهى فيه الجانبان الطابع (المؤقت والمشروط) للمعاهدة واعتبرا به (الحدود بين بلديهما حدوداً فاصلة بصفة نهائية ودائمة).

وبطبيعة الحال فإن مثل هذا البيان لا يكتسب . من الجانب اليمني . صفته الشرعية والقانونية الا بموافقة المؤسسات الدستورية، المنتخبة انتخاباً حراً وديمقراطياً، والمعبرة عن الشعب اليمني . مصدر السادة . اصدق تعبير.

ولان مثل هذه المؤسسات الدستورية لم توجد بعد فإن قضية نجران وعسير تبقى (مشكلة حدود) بين اليمن والسعودية تنتظر الحل العادل، بما يضمن حسن الجوار والاخوة والاحترام المتبادل والتعايش السلمي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من البلدين العربيين.

الباب الأول

كفاح الادريسي في عسير وتهامة اليمن من أجل اقامة امارة ادريسة خاصة (من 1907 . 1921)

الفصل الأول

الشروط التاريخية والاجتماعية لظهور محمد علي الادريسي وتعيين الاتراك له قائمقام في صبيا

أحمد بن ادريس المولود في منطقة العرائش من اقليم فاس المراكشي في فبراير 1760 (1173هـ) هو الجد الأعلى للعائلة الادريسية الحديثة[1]وقد درس السيد أحمد الادريسي في مدينة فاس، وهنا

[1] قارن ملوك العرب، امين الريحاني، بيروت 1951 ص 275، المخلاف السليماني، أو الجنوب العربي في التاريخ، محمد بن عيسى العقيلي، الرياض 1379هـ (1959) ص47 والكفاح على البلاد العربية بين تركيا وانجلترا، فرانس شتولمن،هامبورغ، 1916ن ص 86، ومؤلفين آخرين.

تصور الريحاني على نفس الصفحة ان عام 1173 هـ هو عام 1758م، بينما هو يوافق 1759 . 1860، وكتب الواسعي بأن العائلة الادريسية في مصر تقيم في رجب من كل عام احتفالاً في الصعيد بمناسبة ذكرى مولد أحمد بن ادريس (تاريخ اليمن، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، القاهرة 1927 (340) وبما ان شهر يوافق شهر فبراير اذن ولد أحمد بن ادريس في فبراير 1760 (رجب 1173).

ويعود نسب أحمد بن ادريس إلى ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب. فبعد ان اتيح للعباسيين الاستيلاء على الخلافة شنوا كفاحاً ضد العلويين، وفي 105هـ (2 . 6 . 673م) قتل الخليفة جعفر المنصور الزعيم الروحي والسياسي للعلويين، محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية، بينما نجا اخوه ادريس بن عبد الله بالفرار من المدينة إلى مراكش، ولان البربر . على الرغم من انهم كانوا يدعمون كل حركة انفصالية باستمرار، فقد قدموا بيعتهم له، وهناك اقام دولته التي استطاعت البقاء 200 عام (788 . 976). وكانت فيا التي اقامها بنفسه هي العاصمة، وكانت الدولة الادريسية هي أول دولة شيعية، وفي عام 971 قتل ادريس بن عبد الله مسموماً بأمر من هارون الرشيد، وقد خلفه سبعة ائمة كان اخرهم يحيى بن ادريس، وقد وقعت الدولة الادريسية تحت ضغط الدولة الاموية في الاندلس. ودولة الفاطميين في مصر، ودولة الاغالبة في تونس، الأدريسية تحت نفوذهم منذ 974، وفي 375 هـ (85 . 986م) قضى عليها الفاطميون (قارن تاريخ العرب فيليب حتى، بيروت ص 41 . 2 . 54، قوافل المقتطف من تاريخ اليمن، القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي، القاهرة 1951، ص 25 والواسعي المصدر السابق ص16، 18 ومجلة "العربي" عدد 29، شهر ابريل ص62).

طمح إلى اكتشاف روح القرآن والسنة، وقد قادته هذه المحاولة إلى طريق التصوف، ولفهم تعاليم الصوفية دخل في حوار مع مثقفي وشيوخ هذا النظام العقائدي المعقد، وكان الشيخ عبد الوهاب التازي، والشيخ المجيدري على رأس معلميه، وقد غدا ابن ادريس فيما بعد معلماً، وتفوق حتى على شيخه الأكبر التازي في حدة افكاره والذي اصبح يحضر درسه، وقد رغب السيد أحمد في خلق اتجاه ديني يحمل اسمه، ولهذا فانه رفع نظامه العقائدي إلى مستوى تسميته (بالطريقة الاحمدية) التي ينبغي ان تحل محل كل الطرق، وتذوب فيها كل الطوائف الإسلامية المشابهة[1].

ولنشر تعاليمه الصوفية توجه ابن ادري اولاً نحو مصر، حيث درس من جملة من درس السيد علي السنوسي، والسيد علي الميرغني[2] ومن القاهرة توجه نحو مكة التي بلغها عام 1799 (1214هـ) [3] وقد اعتنق تعاليمه الصوفية كل من السيد محمد السنوسي من ليبيا، والشيخ محمد المجدوبي السواكني من السودان اللذين كانا يحضران درسه في مكة، ولهذا السبب فإن "الطريقة السنوسية" التي انتشرت في ليبيا تحت قيادة علي السنوسي، ومحمد علي السنوسي، والطريقة "الميرغنية" التي وجدت بفضل رعاية علي الميرغني اتباعاً لها في السودان، تمثلان فرعين "الطريقة الاحمدية"[4].

---

[1] قارن الريحاني ص 278 . 383 "وبين الشيطان والبحر الأحمر ، فولفقانق فون فايسل، ليبرزغ، 1928 ص 50.

[2] الواسعي ص 338، شتولمن ص 87، وبلوغ المرام، وحسين المرشي، والاب انستاس الكرملي، القاهرة 1939 ص 109. كتب الكاتب الاسترالي فريدريك رويتس مقالة عن مصطفى الادريسي ظهرت في "المقتبس" . المجلد 78 من المجلة بتاريخ مارس 1931 . حيث اشار إلى ان أحمد بن ادريس زار أولاً طرابلس، حيث انضم إليه كثير من الاتباع، ثم توجه إلى مصر، ومنها إلى السودان.

[3] قارن العقيلي ص 47، وجزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، القاهرة 1956 ص42 يرتكب المؤلف الاخير خطأ عندما كتب على نفس الصفحة ان ابن الادريسي تعلم طريقته في مكة عام 1823، فولفقانق فون فايسل ذكر في صفحة 250 من مؤلفه السابق ان أحمد الادريسي لم يتوجه من مراكش إلى مكة الا في 1240هـ . 1825م ويدعم هذا الرأي من قبل روبرت دونكان في كتابه نهوض البلاد العربية، ليبزغ 1935 ص 152. غير أن ذلك يناقض كل المعلومات المذكورة اعلاه، لذلك فاني اعتبره غير صحيح.

[4] الريحاني ص 275، 285 . 286، والكرملي ص 109، والدولة العربية الكبرى، محمد كامل المحامي القاهرة 1958 ص 326، وفايسل 250، ويذكر الاخير إلى أن أحد تلاميذه توجه إلى تركيا ليبشر بالطريقة هناك. وتعبر الطريقة الصوفية الاحمدية معقدة شأن الصوفية من اساسها، ولا استجيز هنا أكثر من ايراد بعض الملامح: يعد الصوفي نفسه الواسطة إلى المصادر الروحية، وهو يرى ما يرى، ويشعر بما يحدث بعيداً عنه تماماً... وكان اتباع الطريقة الصوفية الاحممدية في شكل جماعات، ويقومون بممارسة ذكر الله وما اشبه من ذلك من حلقات الذكر (قارن الريحاني ص 280 . 283) وكتب فايسل في ص 263: "يشكل السنوسيون والادراسة طريقة

وخلال اقمته في مكة علم أحمد بن ادريس طريقته لليمنيين من تهامة، والى اليمن عاد مفتي زبيد عبد الرحمن الاهدال الذي كان قد اعتنق تعاليم الشيخ الادريسي، وبدأ يحدث النا سعن ابن ادريس ويبشر بطريقته[1] وبعد أن صعب على الشيخ المقام في مكة نتيجة مقاومة علماء الدين له توجه اولاً إلى جدة[2]، ومن هناك إلى اليمن، فاستقر عام 1828 (1244هـ) في زبيد الواقعة جنوب شرق الحديدة، حيث استقبله تلاميذه بترحاب[3]، وحيث وجد مجالاً كافياً للتبشير بطريقته ونشرها. وفي تهامة لم يكسب اتباعاً فحسب، وانما اصبح ينظر إليه كصاحب كرامات ومعجزات.

ووجدت طريقته اصداء حتى في عدن. وبعد هذا النجاح السريع اجاز للسيد عبد الرحمن الاهل الدعوة لتعاليمه، وغادر زبيد، متجهاً إلى الحديدة، فالمراوغة، وباجل، والزيدية، ومنتهياً إلى أبو عريش، حيث استقبل بعطف من قبل حاكمها علي بن حيدر، ومن هناك ذهب عام 1830 إلى صبيا في عسير تهامة، حيث اقام نهائياً[4].

واحدة ذات طقوس سرية" والطبقة الدنيا للمريبين والتلاميذ تمارس آلاف المرات من باب التمرين اشكالاً من الدعوات، ويستطيع زعيم الطريقة بعد فترة اختبار معينة ان يعين التلميذ مرشداً، حينئذ يمكن بلوغ المرتبة الثالثة للشيوخ. الاقدمين، والمراجع الذين يملكون منح درجة المرشد، وتبقى الدرجة العليا للطريقة سراً من الاسرار "وغرض اتباع الدراسة هو مشاهدة محمد في صورة رؤى، ولقد تمكنت من رؤية شريف فارغ الطول نحيف من العائلة الحاكمة السابقة لابو عريش يصل إلى حافة قبر الادريسي من الح ان يخاطب محمداً".

ملحوظة: بعد نشرنا لهذا الفصل في عدد يناير 1977 من "الهلال" القاهرية علق مجذوب عيدروس ميرغني في عدد ابريل من "الهلال" قائلاً ان تلميذ ابن ادريس هو السيد محمد عثمان الميرغني المعروف بالختم، والمولود بمكة في 1787، ومؤسس الطريقة "الختمية" أو "الميرغنية" وليس السيد علي الميرغني. وتعليقي هو انه إذا لم يكن هناك شخص يدعى علي الميرغني تتلمذ على يد ابن ادريس، وساهم فيما بعد في اقامة الطريقة الميرغنية في السودان. كما روى المؤرخون الذين استندت اليهم. فإن رواية مجذوب عيدروس تبقى صالحة للقبول بعد توثيقها.

[1] قارن الريحاني ص 286، ومقالة امين سعيد في "المقطم"عدد 13783، تاريخ 22 . 5 . 1934 وفايسل ص 250.

[2] قارن شتولمن 587 والمحامي 326.

[3] الريحاني ص 286، والعقيلي ص 47.

[4] الريحاني ص 273، 286 . 287،والعقيلي ص 47 . 48، وشتولمن ص 87، وفايسل 250، وكتب المؤلف الاخير على نفس الصفحة ان حاكم أبو عريش في هذا الوقت كان الشريف حمود الذي لنجابة وورع ابن ادريس اهداه مدينة صبيا، غير ان ذلك غير صحيح، حيث ان الشريف حمود كان قد توفي عام 1233هـ (1817 . 1818).

ولقد كانت صبيا نقطة الانطلاق لرسالة بن ادريس الصوفية اتي شمل نفوذها خلال سبع سنوات شمال وجنوب المخلاف السليماني[1]. وبذلك كسب الشيخ سمعة عالية، وغطت شهرته الافقا. ولم يكن عجيباً ان تنتشر تعاليمه بسرعة في الشريط الساحلي لليمن، ذلك انه منذ يوليو 1826 كان خاضعاً . ابتداء من ميناء الليث في شمال عسير إلى المخاء في جنوب تهامة . لجيش محمد علي باشا . الذي كان تحت امرة إبراهيم باشا، والذي عانى منه السكان كثيراً، وتمردوا عليه غير مرة[2].
لم يهتم الشيخ الصوفي بالذات بالسياسة، وقنع باحتلال مركز ديني مرموق في ظل الحكم المصري، وفي 21 أكتوبر 1837 (21 رجب 1239هـ) توفي في صبيا، وغدا ضريحه المقدس مزاراً دائماً لاتباعه[3].
ابنه محمد الذي ورث
منصبه في صبيا، توجه نحو الحديدة.
حيث مكث وقتاً طويلاً دون أن يمارس نشاطاً ملحوضا، وتوفي في 25 مارس 1888 (23 رجب 1306هـ) بعد عودته إلى صبيا[4].
وقد خلفه ابنه علي الذي انشغل اضافة إلى الالهيات . بعلوم الطبيعة ورواية الاخبار في حالة اتصاله النادر بالناس، وتوفي في 1 . 2 . 1907 (17 الحجة 1324هـ)[5].
وعدا السمعة العالمية والمركز الديني المرموق اللذين اكتسبهما الادراسة في عسير تهامة وفي تهامة كلها، اتيح لهم التغلب على اشراف أبو عريش الذين كانوا يحكمون هنا، وان يتسلموا

---

[1] قارن الريحاني ص 287، وحافظ وهبة ص 42.

[2] الريحاني ص 295.

[3] الريحاني ص 287، 294، والعقيلي ص51، وفي بلاد عسير، فؤاد حمزة، القاهرة 1951 ص 356، ومؤلفين آخرين، يقع محمود كامل المحامي في خطأ حين يكتب في مؤلفه السابق ص 326 بأن أحمد أدريسي توفي عام 1835، وكتب شتولمن في ص 87 من المصدر السابق بأنه توفي عام 1827، ونفس الرأي تبناه جنرال مايور ايمهوف (في "الجريدة اليومية الإلمانية" نمر 511 في 8 . 10 . 1912) لربما كان الأمر أمر غلطة مطبعية، وهكذا ظهر 1827 بدلاً من 1837.

عدا محمد كان لاحمد الادريسي ابنان: عبد العلي بن احمد،الذي توجه نحو دنقلة في السودان ومصطفى بن أحمد الذي انجب ابنين وبنتا، توفوا بعده دون اثر يذكر (انظر ايمهوف، المصدر السابق وشتولمن ص 587 وفايسل ص 250).

[4] قارن العقيلي ص 51ن والريحاني ص 296 وايمهوف المصدر السابق.

[5] قارن شتولمن ص 87 وايمهوف المصدر السابق والعقيلي ص 51 و25 والريحاني ص 297.

مكانتهم،غير ان محاولاتهم التحرك ضد الاتراك العثمانيين بمعاضدة العشائر التي اخذت بطريقتهم الادريسية قد فشلت[1].

وفي عام 1876 (1293هـ) ولدت زوجة علي الهندية ابنه الأكبر محمد[2] وقد درس السيد محمد علي في صبيا وفي أبو عريش العلوم الدينية واللغة العربية، وبعد اقامة قصيرة في مصوع، حج إلى مكة، ومن الحجاز توجه في عام 1313 (95 . 1896م) إلى مكة، ومن الحجاز توجه في عام 1313 (95 . 1896م) إلى القاهرة لاستكمال معارفه في الازهر،[3] لم يظهر محمد علي

شجرة العائلة الادريسية

أحمد بن ادريس

كطالب مجتهد وذكي فقط وانما احتك أيضاً بأوساط دبلوماسية في القاهرة،، وقد ساعده ذلك على اكتساب بعد نظر سياسي.

ان ما يثير الانتباه على نحو خاص هو صلته بالمفوضية الايطالية في القاهرة، وعن طريق مترجم المفوضية حاول الايطاليون الذين كانوا ينظرون إلى الشريط الساحلي لتهامة اليمن باهتمام كبير، تحريض محمد علي، لاستغلال السمعة الدينية لعائلته في تهامة، لتعبئة اتباعها للكفاح ضد الاتراك ومفرض نفسه هناك، ومن أجل ذلك وعدوه بالمساعدة المادية والمعاضدة، وقد حدثت هذه المفاوضات عام 1905 (1323هـ) أي خلال انتفاضة الامام يحيى ضد الاتراك[4].

---

[1] انظر الريحاني 296، واشار فولفقانق فوق فايسل على ص 861 من كتابه الآنف انه حدث حول صبيا "نزاع بين أمير ابها وامير أبو عريش مكان الادريسي من استقلال الصبيا".

[2] ذكر شتولمن ص 87 وايمهوف (المصدر السابق) ان محمداً ولد في 1878 غير انني استندت إلى المؤلفين العرب الذين اجمعوا على ان عام (1293هـ) هو عام مولده،قارن مثلاً الريحاني ص 298، العقيلي ص 55 حمزة ص 357 وحافظ وهبه ص 42.

[3] قارن العقيلي ص 57 وحموة ص 357 واخرين.

[4] قارن العقيلي ص 56، 57، الواسعي ص 241 والكرملي ص 111، كتب اسماعيل أحمد فيض في رسالة بعثها إلى جريدة "الاهرام" المصرية بأن الادريسي اتفق مع موظف السفارة البريطانية في القاهرة على الانتفاض ضد الاتراك (الاهرام عدد 9819،2 . 7 . 1910) وكتب شتولمن على ص88:"خلال اقامته المبكرة سيكون قد تعرف أيضاً على الايطاليين في مصوع "كما اشارا أيضاً إلى انه خلال وجوده في القاهرة "من المحتمل ان يكون قد اجرى اتصالاً مع موظفين انكليزيين" وحسبما جاء في مجلة فرنسية (رقودي موندا مسلم، "ينبغي ان يكون السيد الادريسي عضوا في جماعة الطريقة الميرغنية التي كانت تعاضد دائماً سياسة الانجليز في مصر والخرطوم".

وقد اتفق هذه التحريض من قبل الايطاليين مع طموحات واحلام الادريسي، الذي اعتبرها فرصة تاريخية ملائمة للاقدام على الأمر.

وفي البداية توجه . بعد انهاء دراسته في الازهر . إلى الكفرة في ليبيا، حيث استغل المناسبة أيضاً، لتوسيع معارفه على يد السنوسي، ومن هناك توجه إلى دنقله في السودان حيث تزوج ابنة شيخ الطريقة الاحمدية هارون الطويل[1].

وفي عام 1907 عاد محمد إلى اليمن، وفي أول الأمر شغل نفسه في جامع الحديدة بقضايا الدين، لصرف انظار السلطات التركية التي كانت تراقب صلاته بالايطاليين بارتياب، ومن الحديدة ذهب إلى صبيا[2].

مسقط رأسه، وساحة نشاطه القادم.

كان الوضع الاجتماعي في عسير وفي كل تهامة مرعبا كما هو الحال في جبال اليمن، وكان سكان هذه المناطق قد ثاروا كثيراً ضد الاحتلال التركي، غير ان نضالاتهم المحلية منذ بدء الاحتلال التركي، وحتى عودة محمد علي الادريسي كانت عفوية، متفرقة، معزولة، وبعيدة عن بعضها البعض. لقد كان ينقص السكان الشوافع زعيم ديني،ومنظم مكافح، وقائد سياسي، يستطيع توحيد كفاحهم ضد الاتراك، وتحويله إلى انتفاضة عامة، والى حركة تحرير جبارة، كما صنع الامام يحيى وطائفته الزيدية، واكثر من ذلك فإن قبائل تهامة . بما في ذلك عسير . كانت في حالة قتال مع بعضها البعض، بحيث كان الانتقام الدموي هو القانون السائد، وكان الهدوء والامن مفقودين. وقد مزقت هذه الحروب القبلية قوى السكان، ومنعتها من توجيه ضرباتها ضد الاحتلال التركي. ولم يكن للسلطات العثمانية من هم سوى الحفاظ على مواقعها ومراكزها في الساحل، وفي محيط عاصمة عسير ابها، وغير تنظيم الحملات العسكرية من حين الخر ضد المواطنين في داخلية البلاد، ايقافها، حتى تستحق هذه بعضها البعض، ويترك الاتراك . نتيجة لذلك . في هدوء[3].

---

[1] قارن الريحاني ص 298، والعقيلي ص55، وحمة ص 357، والسياسة الاستراتيجية في الشرق الأوسط، حسين فوزي النجار، القاهرة 1953. ص 431.

[2] قارن العقيلي ص 58، وايمهوف، المصدر السابق، والبلاد العربية خلال الحرب العالمية 1917 ص 57.

[3] سليمان شفيق كمالي باشا (متصرف عسير التركي من 1908 . 1912 (مذكراتي عن بلاد العرب) في الاهرام عدد 14529، تاريخ 27 . 11 . 1924، والعقيلي ص 62، والريحاني ص 298ن وصل متصرف عسير كمالي باشا إلى منطقة قحطان، وهناك قابل شيخاً بدوياً وجه إليه هذا السؤال:

"اليس لديكم في بلادكم حبوب؟" فرد عليه المترف بالايجاب فقال الشيخ البدوي: "فلمَ إذن تأتون إلى هذه البلاد" (كمالي بشا، المصدر السابق) كان سليمان شفيق كمالي خلال أعوام 1893 . 1895 قائداً في ولاية اليمن لقوة مكونة من ألف جندي، وبعد 13 أبريل 1908 عين متصرفاً للواء عسير "ومما حمل الباب العالي على التعجيل

كانت مجاميع القبائل تنتظر اذن مصلحا يستطيع ان يحل مشاكلهم الداخلية، وان يضع حدا لحروب الانتقام التي كانت تدور سجلاً بينهم، وان يوقف سفك دماء العشائر والقبائل، وان يوجه قواهم للكفاح ضد الاحتلال العثماني،ولم يكن هناك أحد غير محمد علي الادريسي استوفى هذه الشروط التاريخية والاجتماعية، وكان مهيأ لهذا الدور التاريخي في عسير تهامة، ولقد ورث ابن ادريس السمعة الكبيرة لعائلته، وتسلم بعد موت ابيه منصبه الديني، وظهر في وقت كان الزيديون فيه يحتفلون باطراد بانتفاضاتهم في الجبال ضد الاتراك، وفي وقت كان الشوافع يحتاجون فيه إلى قائد، وقد زكى الامام رغبة محمد علي بارشاد سكان هذه المنطقة، وهدايتهم إلى طريق الحق، واعادة السلام بينهم[1] غير انه لم يكن لدى الامام في هذا الوقت تصور بأن ابن ادريس يحضر نفسه لامر عظيم.

بعد عودته إلى صبيا عقدت الصلات بين السيد محمد وبين الحكومة الايطالية، وكان الشيخان المسلمان من مصوع محمد سليم، وطاهر الشنيطي هما الواسطة، وعن طريق قوز الجعافرة. المرسى الطبيعي لصبيا . الذي لم يكن يبعد عنها بأكثر من ثلاث ساعات قدم الايطاليون مساعدتهم لمحمد علي التي شملت مدفعية من جملة ما شملته[2].

كان نشاط الادريسي في البداية مقصوراً على النواحي الدينية، وكان منشغلاً بكتابة العزائم والدعاء في الجوامع[3]، وكان يدعو خلال ذلك لايحاء الشريعة، وما لبثت ان تبعته جماهير عريضة، اخذ تعدادها ينمو من يوم لاخر، وكان يأتي إلى مقره في صبيا يومياً اربعة آلاف إلى خسة الآف شخص، وكامام دين كان يؤم الناس خلال صلوات المساء، ويقوم بوعظهم، ومن ابتاه اخذ يتعاطى الزكاة، وبالاعتماد على دخله من الزكاة ومن ثرواته التي ورثها من ابيه، كان يستقبل زواره

في تعييني لمتصرفية عسير، وارسالي اليها على جناح السرعة ظهور السيد الادريسي في ذلك الحين في عسير، واعماله يد التحريض من وراء الستار، كمالي، المصدر السابق 10 . 11 . 1924 "لقد كنت على قيادة عسير من 1908 إلى منتصف 1912. لقد عشت بنفسي احداث الاريسي كاملة منذ البداية إلى النهاية. فيما بعد كنت قائداً في سوريا، ثم كنت عام 1913 في ولاية البصرة" كمالي باشا، المصدر السابق 17 . 11 . 1924، عين كمالي في آخر الأمر وزير حربية في الدولة العثمانية، (المصدر السابق) تتكونمذكرات شفيق كمالي المار إليها من 25 مقالة، ظهرت في "الاهرام" ابتداء من1924 . 1925،وقد كرسها لاحداث عسير، وتعتبر مصدراً هاماً لدراسة هذه الاحداث، لهذا السبب فاني قد استندت اليها . ضمن ما استندت إليه من مصادر . عند ذكر الواقع التاريخية.

[1] قارن الواسعي ص 341 . 342، والكرملي ص 111.

[2] قارن العقيلي ص 58، 65، 72، والكرملي ص 111 وادوارد بريموند (اليمن والعربية السعودية في الوقت الراهن) باريس 1937 ص 75.

[3] قارن شتولمن ص 87، وايمهوف المصدر السابق.

كضيوف لديه، وكان يقدم لمشائخهم الهدايا[1] وحتى المشائخ الذين كان الاتراك يتعهدونهم بمساعدات مالية شهرية، بغية اكتساب ولائهم، اخذوا ينتقلون إلى جانب محمد علين ولا سيما بعد ان توقف الاتراك عن دفع هذه المساعدات كاملة[2].

وقد اتيح للادريسي ان يصلح بين القبائل المتحاربة عن طريق دعوتهم إلى الاحتكام إلى الشريعة في حل المسائل المتعلقة بالدماء وغيرها، واخذت القبائل تتقاطر إليه بمقاييس متصاعدة، وتسلم باحكامه باغتباط[3]، وبذلك كسب محمد علي الذي اصبح يدعى بالكبير . فئات واسعة من هذه القبائل الحربية، وطبقت شهرته الافاق، باعتباره مصلحاً كبيراً، وزعيماً دينياً للسكان الشوافع، واخذ الاتراك يخشون جانبه، غير انه هدأهم في براعة، من حيث انه اوضح لهم بأنه انما يعمل بروح الخلافة العثمانية، وان مقاصده تتجه إلى خلق الأمن في الطرقات، واعادة النظام في البلاد، ودفع التطور الاقتصادي لعسير، وبينما كان الامام يطالب منذ البداية بالاستقلال الذاتي الكامل رغب الادريسي في البقاء . في مبدأ الأمر . تحت لواء السلطان العثماني، ومن خلال ذلك امكنه ان يخفي لوقت طويل مشاريعه الحقيقية، وفوق ذلك فانه ترك انصاره الذين اقدموا على أعمال متعجلة ضد الاتراك لمصيرهم[4] واكتسب السيد محمد بين ابتاعه سمعة انه صاحب كرامات ومعجزات[5] وغدا لنسبه النبوي موضع تقدير كبير بينهم. انكل ذلك في مارس 1908 إلى اعلان نفسه مهدياً[6].

---

[1] قارن العقيلي ص 55 . 56.

[2] الريحاني ص 298.

[3] كمالي باشا "الاهرام" نمرة 14512، في 10 . 11 . 1924، ونمرة 14529، في 27 . 11 . 1924.

[4] شتولمن ص 87 . 89.

[5] النجار ص 431.

[6] شتولمن ص 89، ودكتور هارتمان "البلاد العربية خلال الحرب العالمية" من بلاغات دكتور بترمان، 1917،63، ص 57، وكمالي باشا، "الاهرام" عدد 14512، في 10 ت 11 . 1924، وقازي انسالدي "اليمن بين التاريخ والاسطورة" روما 1933 ص 66، ذكر الواسعي في ص 342 من مؤلفه السابق، والكرملي على ص 111 من المصدر الاسبق بأن الناس بالغوا باعتباره هو المهدي المنتظر.

وحول الادريسي كانت قد انتشرت اشاعة اسطورية انه . اضافة إلى ذلك . حاول اعطاء نفسه سمعة سحرية عن طريق وسائل كهربائية، وفنون كيميائية، كالقيام بطلاء وجهه بالفسفور وبمواد أخرى "وما اشبه ذلك من الحيل" انظر شتولمن ص 87 . 88، وكمالي باشا "الاهرام" عدن 14512، في 11 . 11 . 1924) وكتب ايمهوف في المصدر الاسبق: "علاوة على ذلك فانه بمساعدة وسائل فنية فيزيائية كان يذر الرماد في عيون الناس، حيث كان يرى الغرب في الليل الحالك صورته في وضع مسحور عن طريق الفانوس السحري، كان يطلي وجههالاسود بمادة الفسفور، ويجعله يضيء، وعن طريق مثل هذه الوسائل كان يبهر الجهلة، وكان يستخدم خلال رحلاته المتعلمين بكل الحيل، حتى قيل عنه: إنه إذا فقدت كل الحيل الشيطانية فانه سيتاح للادريسي العثور عليها".

وبذلك غدا محمد علي يمثل خطراً بالنسبة للاتراك، "عن طريق الادارة التركية اصدر والي اليمن حسن تحسين باشا تبليغا عمم بين سكان تهمة، صدر فيه الادريسي بانه ساحر كذاب"[1] وبعد ذلك وكلفه بمواجهة الادريسي، وقد وصل هذا إلى ميناء القنفذة، مصحوباً بسرية مدفعية.
حاول المتصرف أولاً مكافحة نفوذ الادريسي، من خلال اقامة ادارة صارمة وافقت عليها القسطنطينية. ومن خلال تطبيق الشريعة. غير ان ذلك لم يغير موقف السكان الذين كانوا يرون في الحكومة العثمانية "قوة مسلحة مفروضة على العباد"[2] ومكان التقاليد القبلية كان محمد علي قد اقام في هذا الوقت ادارة خاصة بصبيا.
ولكن ابن ادريس كان حتى الآن معزولاً في داخلية البلاد، فقد الميناء الضروري والطبيعي بالنسبة لصبيا . قوة الجعافرة . الذي كان يأمل عن طريقه اقامة صلة مباشرة مع اصدقائه الايطاليين في مصوغ، والذي عن طريقه أيضاً، يجب استيراد وسائل المعيشة وغيرها من الاشياء التي تحتاج إليها صبيا . كان في يد قبائل الجعافرة الذين كانوا في حالة حرب دائمة مع قبائل صبيا . كان في يد قبائل الجعافرة الذين كانوا في حالة حرب دائمة مع قبائل صبيا. دفع الادريسي بعض مشايخ عسير تهامة للتوسط، وتمكن هؤلاء بتبنيهم مقترح الادريسي من اصلاح قبائل صبيا والجعافرة وخلال ذلك قام بعض الشباب من صبيا بالاعتداء على نساء من الجعافرة. لقد جرى هذا الحدث لاطلاق الحرب بين قبائل صبيا والجعافرة من هذا الاعتداء كمؤامرة مرتبة، تستهدف اشعال العداء من جديد بين سكان المنطقتين، من أجل تفويت الفرصة على محمد علي بمثل هذا الاسلوب، حتى لا يستفيد من السلم الذي امكن اعادته بين الجانبين، واتضح ان أحمد شريف باشا الخواجي وهو من سلالة

وأن من المهم فهم كيف حدث ان اعلنت الادريسي نفسه مهدياً؟ أن من المعروف أن (الرافضة) أو الاماميين كانوا يقصرون الاماة على أبناء ابي طالب، وحسب تصورهم فإن المهدي المنتظر صعد إلى السماء، حيث بقي مستوراً هناك، ليعود وفق مشيئة الله إلى العالم لتطهيره من الكفر ومن الذنوب (انظر شتروتمان، ر، (قانون الدولة لدى الزيديين) شتراس بورق 1912 ص 47، وفايسل ص 160، واحمد امين، فجر الإسلام (الجزء الأول، القاهرة 1928، ص 325 فما بعد).

غير ان الادريسي لم يكن شيعياً حقيقياً، فقد كان يؤدي الصلاة مع الشوافع السنين باعتباره سنياً مالكياً، وكان ينظر إليه كسني، ولكن السيد محمد ينحدر من العائلة الادريسية التي اقامت الدولة الشيعية الأولى في مراكش كما سبق القول، ولم ينس محمد علي بأنه ممثل الطريقة الاحمدية التي كانت تتضمن افكاراً و تعاليماً منغلقة، وغير واضحة، وسرية، لا يعرفها غير الزعيم الروحي، والتي تبيح له من جملة ما تبيح بأن يدعي بأنه المهدي، المنتظر، وفوق ذلك فإن الادريسي رغب باعلان نفسه مهدياً ان يحقق غرضه في كسب جماهير شعبية أكثر اتساعاً، وجعلهم اتباعاً له.

[1] شتولمن ص 89.

[2] كمالي باشا، الاهرام، عدد 14512، في 10 ت 11 . 1924،وعدد 14514، في 12 . 11 . 1924.

العائلة السابقة التي كانت تحكم مدينة صبيا . لم يكن راضياً هو أيضاً بنمو سمعة الادريسي، وكصديق للاتراك جهد في تعكير حالة السلم. استدعى محمد علي شيوخ صبيا إليه، وتمكن بذلك من الحيلولة دون اندلاع نزاع قبلي جديد[1]، وقد حدث كل ذلك في نفس اليوم الذي كان يوجد فيه في صبيا مواطنون من مختلف القبائل[2]. عرف محمد علي الكبير الذي كان يمثل حتى الآن حركة سلفية اصلاحية ان سمعته قد اخذت عن طريق هذا العمل تعطي مردوداً، بشكل متزايد، ولهذا اعلن بأنه (سيد الموقف) (35) وفي 24 . 12 . 1908 (30 العقد 1326هـ) دعا نفسه اماماً. ومنذ 4 . 1 . 1909 (11 الحجة 1326) بايعه سكان صبيا، وقبائل الحسيني، والمخلاف الشامي، والجعافرة، والضمد[3] وكان أول اجراء له بعدئذ انه اخضع المشائخ الذين لم يبايعوه، فقد تقدم . على سبيل المثال على رأس جيشه ومشائخه ضد الشيخ أحمد الهوداني في الضمد، لارغامه على الدخول في سلك الطاعة، وقد قبض على الشيخ من قبل سكان قريته، واقتيد إلى محمد الادريسي، بعدئذ بادر إلى قطع يدي أحمد الشريف المعروف بارتباطه بالاتراك واشاع على هذا النحو الخوف والذعر منه[4].

كون ابن ادريس في 23 .1 . 1909 (نهاية ذي الحجة 1326) ما اسمي بحكومة من اربعة اشخاص، ومحكمة من خمسة اعضاء حالاً توجهت إليه وفود من قبائل رجال المع، حلى بن يعقوب، قنا البحر القحمة، شقيق[5] ترك محمد علي المشائخ كرؤساء لقبائلهم، واخذ منهم رهائن كعلامة على طاعتهم، وكضمان لولائهم[6]. لم يقف نفوذ المهدي عند حدود عسير تهامة، وانما امتد إلى عسير السراة وبصورة خاصة لدى قبائل بني ثقيف، بني شهر، قحطان، وامتد جنوباً إلى اللحية. كلف محمد علي ت وقد شعر بأنه قوي الآن بما فيه الكفاية . كلف ابتاعه بأن يتزودوا بالاسلحة والذخائر، استعداداً للحرب ضد العثمانيين "الكفرة" والى ابن ادريس توجه معظم مشائخ

---

[1] قارن العقيلي ص 65 .70.

[2] قارن العقيلي ص 65 . 70، واقرأ على ص 56 . 66 نداء محمد علي الذي وجهه إلى القبائل وتحدث عن نشاطه الاصلاحي، وقارن أيضاً شتولمن 87، وايمهوف، المصدر السابق.

[3] قارن العقيلي ص 70 . 71.

[4] قارن العقيلي ص 72، واقرأ مزيداً من المعلومات عن أحمد شريف علي ص 73 . 84من فنس الكتاب، ولدى شتولمن ص 87، وايمهوف، نفس المصدر.

[5] قارن العقيلي ص 72 . 73.

[6] قارن الريحاني ص 298.

عسير، حيث بايعوه، ووعدوه بالمساعدة والدعم[1] وبذلك اصبح القائد السياسي المنتظر لسكان الشوافع في هذه المنطقة من اليمن، وكان أول اعماله العسكرية هو ارسال محاربين تحت قيادة مصطفى الادريسي تمكنوا من احتلال محايل التي تقع بين العاصمة ابها وبين مينائها النفذة، ومن الاستيلاء على المستودعات العسكرية فيها، واسر الحامية التركية التي التي كانت ترابط هنا، وارسالها إلى صبيا،وبذلك قطع الطريق الاستراتيجي بين عاصمة عسير ونبين الميناء الهام القنفذة والسواحل كلها، وفي نفس الوقت حدث تمرد بالجنوب في اللحية والزهرة، قطع به أيضاً الطريق بين المركز التركي في حجة، وبين قضاء حجور شمال غربه، غير انه اتيح للاتراك القضاء بسرعة على هذا التمرد[2].

عرف الآن الباب العالي خطورة محمد علي أكثر فأكثر. وخشي من اين يتمكن الادريسي والامام يحي اللذان كانت اهدافهما متطابقة في هذا الوقت من اطلاق انتفاضة عامة في البلاد. ولهذا فانه كان مضطراً للتفاوض مع رجل صبيا، الجميع دخلوا معه في مباحثات: الحكومة المركزية في القسطنطينية، والي اليمن، والموظفون المحليون، وفي نفس الوقت ارسلت الدولة القسطنطينية بعثة خاصة وصلت إلى مقره في صبيا، قدم لها اقتراحاته حول الاشكال الادارية التي يجب الاخذ بها في عسير، واذا لم ترحب السلطة العثمانية بهذه المقترحات فانه غير مسؤول عن النتائج التي يمكن ان تنجم عن هذا الموقف في المستقبل[3].

فيما عدا الفصائل التركية في مناطق تهامة الساحلية، فقد كان يرابط في الوقت في ابها 2000 رجل،ابلغ متصرف عسير كمالي باشا الباب العالي ان القبائل المحاربة تستقل هذا العدد، واقترح ارسال 3000 رجل آخرين إلى ميناء جيزان الذي لا يبعد سوى 25 كيلو متر من صبيا، (وبعد ذلك استطيع ان اتكلم مع الادريسي بلا برقع، واسعى لتأليف قلوب الاهالي بكل اخلاص تحت ظلال السيوف)[4] قبل الباب العالي بالاقتراح،وارسلت فرقة مؤلفة من 3000 جندي، مزودة بكل الاسلحة والذخيرة اللازمة، نزلت في القنفذة بدلاً من جيزان، وفي 25 أكتوبر 1909 وصل الفريق

---

[1] شتولمن ص 87 . 88، وايمهوف المصدر الاسبق، وكمالي باشا "الاهرام" عدد 9996 في 31 . 11 . 1911 (حسب بلاغ من الخارجية التركية) وايمهوف، نفس المصدر.

[2]

[3] قارن كمالي، الاهرام، 14513 في 11 . 11 . 1924، ذكر شتولمن في ص 89 من مؤلفه الاسبق ان بعثة مكونة من زعماء عرب وعلماء غادرت مكة في نهاية ديسمبر 1909 متوجهة إلى الادريسي في صبيا. وفي تصوري ان هذه هي البعثة المذكورة اعلاه، ولكنها يجب ان تكون قد سافرت إليه في وقت مبكر عن التاريخ الذي حدده.

[4] كمالي، الاهرام،عدد 14513، في 11 . 11 . 1924.

سعيد باشا القائد العسكري التركي لهذه الوحدة إلى جيزان في زورق مدفعية. وقد اختير توفيق الاناؤطي شيخ الطريقة الاحمدية في القسطنطينية، وعضو الوفد التركي، للتوجه من جيزان لمقابلة محمد علي، واراء محادثات تمهيدية معه، وفي 17 ديسمبر 1909 غادر متصرف عسير سليمان شفيق كمالي باشا ابها للاشتراك في المفاوضات، ادرك ابن ادريس انه غدا خصماً جداً لم يملك الاتراك الا الدخول في مفاوضات معه، وقد رحب بالتفاوض مع البعثة التركية، بغرض اقناعها بسحب القوة العسكرية التي وصلت عسير، واعادتها إلى الاستنانة. والى صبيا، حيث عقد الاجتماع، احضر حوالي 4000 إلى 6000 رجل بقصد اظهار قوته امام البعثة التركية[1].

وفي الاجتماع اقترح على الادريسي بأن يكون رئيس المحكمة الشرعية،وان تصدر الاحكام باسم الخليفة (غير انه لا يمكن الجمع بين سيفين في قراب واحد، وإن بلاداً واحدة لن تكون ذات حكومتين)[2] بذكاء وهدوء اجاب الادريسي انه لا يتطلع إلى السلطة، وان اسم السلطان يذكر دائماً خلال صلاة الجمعة، وانه يدعو له أثناء ذلك، ودافع بقوة ضد القول بأنه قام بتحريض اليمنيين

---

[1] المصدر السابق، وقارن بلاغ وزارة الخارجية التركية في "الاهرام"عدد 9996، في 31 . 1 . 1911، والانتفاضة في عسير 1911، عدة رسائل لضباط اتراك جمعت من قبل اسماعيل حقي بيه توفيق، ونشرت في (الجريدة اليومية الالمانية) في 30 . 7 . 1912، 2 . 8 . 1912، عدد 381 . 387، وشتولمن ص 90، وكتبت العقيلي في ص 92 بأن الاجتماع عقد في الجعافرة، غير ان متصرف عسير كمالي باشا في رسالة له إلى محمد علي في 5 . 3 . 1328هـ (2 . 3 . 1911 بوضوح إلى ان الاجتماع تم في صبيا (انظر الاهرام، عدد 97928، في 3 . 6 . 1910) كما اشار إلى أيضاً في (مذكراته عن بلاد العرب) بأنه غادر ابها، متوجهاً إلى صبيا "ثم وجدت ان زملائي قد سبقوني إلى هناك" (انظر الاهرام عدد 14513، في 11 . 11 . 1924، وذكر العقيلي في ص 93 بأن متصرف عسير قد ابلغ بنتيجة اجتماع سعيد باشا بالادريسي، للعمل في ضوئها، ولكن ذلك غير صحيح، حيث كان المتصرف عضوا نشيطاً في الاجتماعات، كما يشير محمد علي الادريسي بنفسه إلى ذلك (انظر الاهرام عدد 9785، في 24 . 5 . 1910، من رسالة للادريسي إلى أحد اصدقائه) وكما جاء أيضاً في البلاغ التركي المذكور اعلاه.

غير انه لا شك في ان الادريسي اجرى محادثات مع الشيخ توفيق، ومع سعيد باشا قبل وصول المتصرف، ومثل هذا الرأي اورده الشريف شرف عبد المحسن البركاتي في مقالته (غزوة شريف مكة، الاهرام، عدد 10169، في 23 . 8 . 1911 التي ارسلها من ابها في 25 رجب 1329 (21 6 . 1911، إلى الاهرام) وتحدث شتولمن في ص 90 عن ان المباحثات مع الادريسي جرت في 25 . 10 . 1909، وفي واقع الأمر انها حدثت بعد هذا التاريخ، حيث متصرف عسير غادر ابها في 17 . 12 . 1909 للاشتراك في المداولات، وفي مثل هذا الوقت جاء سعيد باشا إلى جيزان، وكتب اسماعيل حقي في المصدر السابق بأن سعيد كان حينئذ والياً لليمن، غير ان هذا الزعم لم يؤيد من أي مصدر آخر.

[2] كمالي باشا، المصدر السابق.

لاحداث انتفاضة في البلاد، وهاجم ونهب وسائل النقل العسكرية واكد انه توجهت القبائل إليه من ذات نفسها، طلباً لحل مشاكلها، ورجته من أجل ذلك ارسال قضاة صلح اليها[1].

(انني . هكذا واصل الادريسي الحديث . خادم الحكومة، صديق صدوق للدستور، وعدو الحكم الحميدي (معاداة حكم عبد الحميد تعني في نفس الوقت معاداة الاستبداد) ولقد حدث بدون رغبتي، ان بعض الجهلة والمتعصبين ارادوا لي أن اكون مهدياً، إذ لا يوجد أحد قط، ولن يراه أحد وجها لوجه! لقد حظيت بتعليم وتربية جيدتين، انني بعض الشيء ذو خبرة سياسية، ولهذا فانني اراهم خونة للاسلام اولئك الذين يريدون تدمير السلطة العثمانية في اليمن وعسير، وماذا يمكن ان يبلغه هؤلاء بذلك؟ ستسقط الأرض المقدسة للمسلمين في يد الكفرة، وسينهار الإسلام وتنهار في نفس الوقت تركيا، ان كل المصائب تنجم عن الحكم المطلق، واليه تعود الحالة المؤسية في اليمن، والقلاقل التي تسود البلاد هي نتيجة للنظام الاستبداي، يجب ارسال مفتشين ولجان إلى اليمن، تنصح بحسب واقع الحال بالاصلاحات التي يجب ادخالها، سأكون مرشداً ومساعداً لها وسأعمل كل شيء من أجل تسهيل مهمتها، انني خادم مطيع للدولة، لا يطلب لنفسه لقباً أو امتيازات ما، ان اغتباطي بأداء الواجب هو جزائي الوحيد، ليس لي من مأرب غير ان اعمل من أجل العقيدة، ووطن الاباء، الشعب العربي جاهل، وفقير، ولكنه يحب الحق،وهو ليس عدواً للتقدم، يجب بناء مدارس، سكك حديد، خطوط تلغراف، موانئ من أجل العرب، حينئذ ستسود السعادة والهدوء في كل مكان، ولكن عندما ترفض اقتراحاتي، عندما تعاملني الدولة كعدو، وترسل فصائل ضدي، فانها تضطرني إلى القيام بانتفاضة، اجمع لها كل شجاعتي في التضحية، حينئذ يبدأ عهد المصاعب الذي لن يصل إلى نهايته بسرعة)[2] وحول ذلك كتب متصرف عسير: (وفهمت انا ان الادريسي يريد مخادعة المندوبين الذين حضروا من القنفذة، واقناعهم بانه لا حاجة إلى الفرقة العسكرية التي ارسلت من الاستانة، ليرفعوا تقريرهم بضرورة اعادتها، ففكرت بأن اختصر القول معه، وان اقترح عقد اتفاق، ولو كان مؤقتاً[3] وقد تضمن الاتفاق من جملة ما تضمن النقاط الهامة التالية: يعترف الادريسي بسيادة تركيا على عسير، ويعين قائمقام لصبيا، وله الحق في تعيين قضاة صلح، يتمثل واجبهم في حل مشاكل القبائل صلحا، على ان يكونوا تحت ادارة موظفين عثمانيين،ويلتزم محمد علي بمساعدة الاتراك على الخطوط السلكية من اللحية عبر ميدي إلى جيزان، والشقيق، ومن هناك إلى ابها، ومن الشقيق إلى القنفذة والليث، لتمد فيما بعد إلى جدة، ومكة، ويسمح للدولة

---

[1] المصدر السابق.

[2] اسماعيل حقي، المصدر السابق.

[3] كمالي باشا، المصدر السابق.

العثمانية باقامة مكاتب جمركية في موانئ عسير تهامة (المخلاف السليماني)، ولا تأخذ الحكومة العثمانية غير الزكاة الدينية المحددة كضريبة، والتي يقوم الادريسي بالذات بجبايتها وحسب قانون الشريعة تجري الاحكام في هذه المنطقة[1]، وقد وزع بيان مشترك من قبل الجانبين بين القبائل، تضمن هذا الاتفاق، ودعوة هذه القبائل إلى الهدوء[2]، وفي خطاب له إلى أحد اصدقائه عبر الادريسي عن رضاه بهذه النتيجة[3].

وكانت نتيجة هذا الاتفاق من ناحية سحب الفرقة العسكرية إلى القسطنطينية[4]، وساد من ناحية أخرى هدوء مؤقت بين الجانبين، مكن الادريسي خلاله من بناء الخط التلغرافي في معظم المناطق المذكورة اعلاه[5]، غير ان قائمقام صبيا . الادريسي طمح الآن أكثر من أي وقت مضى إلى توسيع

---

[1] قارن العقيلي ص 92 . 92، واقرأ على ص 160 نداء الادريسي، وانظر كمالي باشا في المصدر السابق ورسالة من كمالي إلى الادريسي بتاريخ 5 . 3 . 1328 (27 . 3 . 19109 وقارن (الاهرام) عدد 9980 في 12 . 4 . 1911، وجريدة (المقطم) عدد 13740، في 1 . 4 . 1934 (مقالة لامين سعيد) المقطم عدد 1378 في 22 . 5 . 1934 (مقالة لامين سعيد) وحمزة، المصدر السابق، ص 358، ومؤلفين آخرين.

[2] كمالي باشا، (مذكراتي عن بلاد العرب) في "الاهرام" عدد 14513، في 11 . 11 . 1924، "والاهرام" عدد 10169، في 23 . 8 . 1911 (من المقالة الانفة الذكر للشريف شرف عبد المحسن البركاتي).

[3] اقرا نص الخطاب في "الاهرام" عدد 9785، في 24 . 5 1910.

[4] قارن كمالي، المصدر السابق.

[5] اقرأ نص نداء الادريسي لدى العقيلي ص 160 . 161.

كانت السلطات العثمانية قد حاولت بعد احتلال اليمن بناء خطوط تلغرافية فيها، وخلال حكم والي اليمن عبد الله باشا (1320 . 1332هـ الموافق 1902 . 1904) مدت الخطوط السلكية من صنعاء إلى زمار، وبريم، ومن هناك إلى اب، وتعز، (قارن: ائمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، محمد زيارة، القاهرة 1961 ص 406).ك لقد كان من الصعب على الاتراك تعميم الشبكة السلكية في اليمن كلها، وصيانتها، نظراً لأن اليمنيين كانوا دائماً وابداً يقومون بتخريبها، لقطع الاتصال مع الحكومة المركزية، وخلال الهدوء النسبي الذي ساد من 1906 . 1909 بين الامام والاتراك، وبين هؤلاء والادريسي نتيجة الاتفاق المبرم بينهما اتيح للعثمانيين تغطية مسافة كبيرة بخطوط التلغراف وكانت نتيجة عملهم حتى عام 1913 كما صورها فالتر شميدت: "لقد ازدهرت العلاقات التجارية من خلال خط اتصال سلكي من جدة عبر القنفذة إلى اللحية والحديدة، ومن هنا يتجه خط إلى صنعاء عبر باجل.. متاخة.. ومن المخا خط آخر عبر زبيد.. وحبيس.. منتهيا إلى تعز، وتظل هذه الخطوط سليمة، طالما لا يتعرض لها أحد بالتخريب، نعم كانت اهمية الخطوط السلكية تبقى في الغالب اياماً واسابيع بمثابة وهم، لانه . عندما كانت تضار . لم يكن يوجد موظفون مختصون باستمرار لاعادة اصلاحها (العربية الجنوبية الغربية، فالتر شميدت هالة، 1913 ص 75).

سلطاته، وقد منحه تعيينه في هذا المنصب قوة متنامية في اليمن، وصعد من سمعته ونفوذه فيها، ومجال سلطته لم يقتصر على قضاء صبيا وحده، وانما اتسع إلى عسير تهامة أيضاً، وقد بعث رجاله إلى يبا، قنا، البحر، محايل، بارق، المخواه، وحتى إلى رجال المع ليكونوا ممثلين للادارة، ولكن بدون موظفين عثمانيين كما نصت على ذلك الاتفاقية فعلاً، وقد كلف رجالات الادريسي أيضاً ببسط ادارتهم إلى اقاصي عسير، وبالذات إلى غامد، وظهران، وبلغوا إلى جبال فيفياء وما حولها، أي إلى جنوب شرق عسير تهامة، وقد كان معظمهم مشائخ نفس المناطق المذكورة من عسير تهامة، الذين فرض الادريسي نفوذه عن طريق قبائلهم، كان مصطفى الادريسي هو أهم شخصية اعتمد عليها محمد علي لتوسيع مدى سلطته في هذه المناطق، وفوق ذلك فإن محكمة صبيا كانت تصدر احكامها على نحو مستقبل، غير مهتمة بما حددته الاتفاقية بأن احكامها لا تكون مجازة الا بعد التصديق عليها من قبل الحكومة العثمانية[1] اخذت سلطة الادريسي الدينية تتحول الآن إلى سلطة دنيوية، وواجهت السلطات العثمانية في أول الأمر هذا الخطر الكبير المهدد لنفوذها عن طريق محاولة عزل الادريسي عن البحر، من أجل قطع الاتصال عليه بالايطاليين، اراد متصرف عسير جعل ميناء الشقيق الذي لم يبعد كثيراً عن صبيا، والذي كان يقع على بعد 100 كيلو متر من عاصمة عسير ابها، والتي كانت تستخدم حتى هذا الوقت كميناء، لم تكن ملائمة بسبب بعد وتعرج الطريق الذي يصلها بأبها، والبالغ 250 كيلو متر، ولذلك فانه ارسل قوة إلى الشقيق، غير ان محمد علي الذي ادرك هدفه كان قد اصبح من القوة، بحيث غدا قادراً على مجابهة مخططه، فقد ترك محاربي قبائله يقطعون الطريق على القوة التركية، ويردونها على اعقابها[2]، وبذلك دخلت علاقات الادريسي بالاتراك مرحلة جديدة.

الفصل الثاني

انتفاضة الادريسي ضد الاتراك ومعركة جيزان

وكما يفهم من عرض متصرف عسير كمالي باشا فانه كان يوجد اتصال تلغرافي بين ابها والقنفذة، حيث تشير: "لا توجد اسلاك برقية بين ابها والاستانة، فكنت ارسل برقياتي إلى القنفذة..." كمالي باشا "الاهرام" عدد 14515، في13 . 11 . 1924.

[1] قارن كمالي، "الاهرام" عدد 14513، في 11 . 11 . 1924، والعقيلي ص 93 . 94 والبركاتي المصدر السابق.

[2] كمالي باشا المصدر السابق، العقيلي ص 95، ذكر الاخير في ص 96 بأن الباب العالي استدعى محمد علي إلى الاستانة لمسألته عن قطع يدي أحمد الشريف. ولانه كان يعرف الغرض الحقيقي فانه قد رفض الطلب.

لاعداد نفسه للانتفاضة ضد الاتراك في عسير وتهامة اليمن تفاوض الادريسي أولاً مع الاستعماريين الايطاليين،ولذلك فإن اقاربه في مصر كانوا يزورون بكثرة المفوضية الايطالية[1] وفي نفس الوقت بدأ عملية التعبئة في عسير، ودعا المشائخ والقبائل لأن تعلن تضامنها، حتى تستطيع طرد الاجانب من وطنها، وقد اتحدت القبائل بتأثير ذلك بالفعل، وفي مطلع عام 1910 عمم الادريسي نداء على جميع مشائخ عسير، اوضح فيه انه في مدى منظور من الزمن ينوي ان يقود الحرب ضد العثمانيين، ولذلك فإن عليهم ان يعدوا انفسهم للخطة الفاصلة، وان يكونوا في اقصى حالات التأهب بكل اسلحتهم[2].

حالت السلطات العثمانية التي احيطت علما بخطة الادريسي اثناءه عن تفجير الانتفاضة، حيث انها كانت في هذا الوقت منشغلة بمواجهة هبة في حوران بسوريا، وكلفت متصرف عسير، سليمان شفيق كمالي بالتفاوض معه، بغية تأجيل الانتفاضة، وفي مجلسه الاستشاري شكا الادريسي من اين سفن حراسة السواحل التركية اصابت تجارة البلاد بالضرر نتيجة رقابتها المستمرة، بينما اقترح المتصرف مرابطة فصائل عسكرية في الموانئ التي لا يوجد بها موظفون اتراك، مثل المقور، الشقيق، الوسم، البرك، على ان تكون تحت اشراف مشائخ هذه المناطق، وعلى هذا النحو يكون المشائخ مكلفين بتسهيل التجارة، ادرك محمد علي الهدف الحقيقي للاتراك، اعلم المتصرف قائلاً: "وماذا تريد مني يا سليمان باشا؟ انا لا ارضى قط ان يصبح زعماء السواحل من رجال الحكومة، وتبعاً لأوامرها، إنني مدرك ما تريد، انك تريد من هذه المقدمة ان تتدرج قليلاً قليلاً نحو السواحل، وان تضع الجنود في الثغور، انا لا ثقة لي في الدولة، ولا اوافق قط على مثل هذه المساعي، اجلس أنت في الجبل، ولكن لا تمد اصبعك الى السواحل ابداً)[3].

وعلاوة على ذلك تطالب الادريسي بتغيير الوضع في جيزان، حيث كانت ترابط وحدات تركية.اضطر المتصرف حينئذ إلى سحب اقتراحه، ورغب في نوع من التعاون مع الادريسي، قبل الادريسي بذلك، على شرط، ان يزوده (الباب العالي) باسلحة للكفاح ضد الامام يحيى. فهم المتصرف على أي حال ان هذا المطلب لا يعدو ان يكون حيلة ادريسية، لحمل الامام على التعاون معه في الكفاح ضد العثمانيين، ولذلك فإن المفاوضات فشلت، بينما توجه سليمان إلى

[1] قارن كمالي، المصدر السابق.

[2] المصدر السابق من "الاهرام" عدد 14513، في 11 . 11 . 1924، عدد 14515، في 13 . 11 . 1924.

[3] المصدر السابق من "الاهرام" عدد 14516 في 14 . 11 . 1924.

جيزان، من حيث ابرق إلى قيادة ولاية اليمن، والى الباب العالي (اننا على ابواب ثورة قريبة الوقوع في عسير)[1] ستصل نارها باليمن كلها.

ولمواجهة هذا الخطر كان على كمالي باشا بتكليف من الاستانة ان يجري مفاوضات مجددة مع الادريسي، بغرض اكتساب الوقت على الاقل، وفي أغسطس 1910 توجه من جيزان إلى صبيا، ولكنه عاد في اليوم التالي مباشرة إلى ابها، حيث ادرك ان تأخير الانتفاضة لم يعد ممكناً، ومحاولته دعوة بعض مشائخ عسير السراة إلى موالاة الدولة انتهت بدون نتيجة[2]، ومن ابها ارسل 500 جندي إلى جيزان في شكل نجدة حسب الظاهر، غير ان هدفها كان محاولة مباغتة الادريسي، والقاء القبض عليه، غير انهم طوقوا في الملحة من قبل اتباع الادريسي، ولم يتمكنوا من مواصلة الرحلة إلى جيزان الا تحت الحراسة[3].

خلال ذلك تفاهم الامام والادريسي على القيام بانتفاضة يمنية عامة، وفي أكتوبر 1910 فجرها الادريسي في عسير، وتبعته إلى اشتعالها تحت قيادة الامام يحيى جماهير المنطقة الجبلية من اليمن[4]. لقد عبر هذا التعاون بين القائدين عن درجة عليا من الكافح الثوري للشعب اليمني للقضاء النهائي على الاضطهاد الاستعماري للملكة العثمانية.

والان اعلن الادريسي استقلاله كأمير، واقامة امارة مستقلة[5]، تكون عاصمتها ابها[6].

اندلع الكفاح في كل مكان، وقطعت الطرقات بين المراكز الرئيسية للفصائل التركية في عسير مثل ابها، القنفذة جيزان، وكذلك الطرقات بين ميدي واللحية، وفي جحافل قوية تقدم محاربوا الادريسي صوب الجنوب في اتجاه الحديدة، وصوب الشمال في اتجاه القنفذة، واستولوا في عسير على جمرك الوسم واسروا قائمقام أبو عريش، وموظفي مكتب التلغراف في البرك، وعلي السيودي، النائب عن عسير، وسقطت في يد الادريسي كل السواحل ما بين القنفذة في الشمال، وجيزان في

---

[1] نفس المرجع، يذكر العقيلي في ص 94 من كتابه بأن المتصرف ذهب إلى كمران لابلاغ الباب العالي تلغرافياً عن الحالة في عسير، ومن هنا توجيه إلى الحديدة غير ان المتصرف يشير في مذكراته في نفس المرجع بأنه وصل إلى الموسم، الواقعة جنوب جيزان.

[2] كمالي باشا، المصدر السابق، والعقيلي ص 94.

[3] قارن العقيلي ص 64، والبلاغ التركي في "الاهرام" عدد 9996. في 31 . 1 . 1911.

[4] الاهرام، عدد 9997، في 1 . 2 . 1911 (من تقرير من الحديدة) والاهرام،عدد 10129، في 7 . 7 . 1911،وشتولمن ص 90.

[5] البلاغ التركي، المصدر السابق، اسماعيل حقي، المصدر السابق، شتولمن ص 91 الاهرام، عدد 10127، في 5 . 7 . 1911، وعدد 9997، في 1 . 2 . 1911.

[6] البراكتي، المصدر السابق.

الجنوب، وكذلك سهل عسير تهامة من حلى إلى أبو عريش[1]، وطمع في الاستيلاء على عسير السراة، وبالذات ابها، عاصمة اللواء، وتمهيداً لذلك تم وضع اليد على المنحدرات الجبلية للسروات التي لم تكن تبعد سوى 5 أو 6 ك م من ابها، وخلال ذلك حول الاتراك ابها إلى قلعة لا تطال، وقلعة قادرة بفضل موقعها الاستراتيجي الممتاز على التحكم في كل المسالك من حولها، وكان يرابط فيها حوالي 1200 جندي مع عشرين مدفعية، وكانت قوة محاربي القبائل الادريسية المهاجمة التي انضمت إليها كل قبائل عسير السراة تقريباً، بما في ذلك النساء والاطفال، تبلغ حوالي 20000، وكان قائد هذه الجموع هو مصطفى الادريسي القريب الادنى لمحمد علي[2].

وفي شهر نوفمبر 1910 (ذي القعدة 1328هـ) تم تطويق ابها [3]، على الرغم من نيران بطاريتهم التي لم تكن تتوقف. لم يستطع الاتراك ان يحولوا دون ان يقوم محاربوا الادريسي الشجعان بهجمات عاصفة كل يوم، بقصد الاستيلاء على القلعة المحصنة، وبابتهاج عظيم استقبلوا نبأ وقوع صنعاء في نفس الوقت أيضاً تحت حصار اتباع الامام، وبذلك كانت الدولة العثمانية غير قادرة على اخضاع انتفاضة اليمن العامة، وفي الشهر السادس من الحصار احتل الثوار حصن شعار العسكري الذي كان ذا اهمية غير عادية كهمزة وصل بين العاصمة ابها، وميناىئها القنفذة، وفي يد الانتفاضيين سقط البلوك الحربي الذي كان هناك مع مدفعيته[4]، وبذلك غدا غير ممكن ان يرسل الاتراك تعزيزات إلى ابها، ذلك ان حصن شعار كان يتحكم في طريق القنفذة . محايل . ابها، لقد كان الاستيلاء على هذا الموقع البالغ الاهمية نصراً عسكرياً، اشتد به حصار ابها، وعزلت عن العالم الخارجي تماماً.

لم يكن الباب العالي في وضع يمكنه من اتخاذ اجراءات ضد انتفاضتي اليمن، والـ 35000 رجل الذين ارسلهم إلى الحديدة كان عليهم ان يركزوا قواهم كلها من اجل اخضاع الوثبة التي شملت الهضبة المحيطة بصنعاء، وامل الاتراك في دفع الادريسي إلى ايقاف عملياته الحربية، وفي تعيين سعيد باشا كمتصرف جديد وقائد لعسير، ينبغي ان يعقد معه محمد علي معاهدة صلح كان البد ان يفشل ببساطة لأن رجل عسير فهم بسرعة، بأن ما يهم الاتراك هو الحصول على هدنة مؤقتة، لضرب الانتفاضتين واحدة بعد أخرى. ولهذا فانه رفض كل مفاوضة، وعاد سعيد باشا من جيزان

---

[1] قارن البلاغ التركي، المصدر السابق، كمالي باشا، المصدر السابق، شتولمن ص 91 . 92، والاهرام عدد 9997، في 1 . 2 . 1911.

[2] قارن كمالي باشا، الاهرام، عدد 4517، في 15 . 11 . 1924، الاهرام عدد 10189، في 15 . 9 . 1911 (تقرير) .

[3] تاريخ البلاغ التركي في المصدر السابق،والعقيلي ص 100، وحمزة ص 357، وغيرهم.

[4] كمالي باشا، الاهرام، عدد 14517، في 15 . 11 . 1924.

إلى الحديدة بخفي حنين، وظل سليمان باشا المحاصر في ابها متصرفاً لعسير [1]، اتسعت الهبة، وحقق الانتفاضيون انتصارات في كل مكان، وفي 22 فبراير 1911 هاجموا في السودة قافلة من 80 جملاً، تحمل وسائل معيشة وذخائر للفصول المرابطة في حجة. حاولت قوة عسكرية بقيادة حاكم اللحية تحرير القافلة غير انها ضربت، وفقدت خلال ذلك 50 قتيلاً[2]. وعدا قبائل عسير فقد انضمت إلى الادريسي كل قبائل تهامة الجنوبية مثل بني مروا، بني حسن،بني نشر، وغيرهم،وامتد مجال نفوذ الادريسي في سهل تهامة من حرض الواقعة قرب صامتة في الشمال إلى حدود منطقة قبيلة الواعظات قرب اللحية في الجنوب، فقط اللحية بقيت في يد الاتراك بفضل مساعدة الشيخ الأكبر للواعظات هادي هيج[3].

كانت نية الاتراك اولاً هي رفع الحصار عن ابها، من أجل انقاذ فصائل سليمان باشا الذي كان يلح من أجل مساعدة سريعة، من الدمار الكامل، فالقوة المكونة من 6000 جندي والمرابطة في القنفذة تحت قيادة نشأت بالشام لم تجرؤ على الاقدام حتى على خطوة واحدة.

كلف الباب العالي خضم وعدو الادريسي اللدود حسين شريف مكة، بالزحف على عسير، لوضع نهاية للانتفاضة، بلهفة تقبل الشريف المتقرح، ذلك انه هو أيضاً كان يحلم بأن يكون ذات يوم حاكماً لعسير، وحتى لاجزاء أخرى من اليمن، وفي البداية قدم حسين للحملة 6000 من العرب، عززها بعد ذلك بـ 4000 آخرين منهم وبـ 800 جمل من ابن رشيد، وعضدت الحكومة التركية هذه الفصائل المساعدة بكتيبتي مشاة نظامية، و 4 مدافع جبلية، ومدفعي رشاش، وفي مارس 1911 حاول حسين تقسيم هذه القوى إلى قافلتين، الأولى . وتتكون من 5000جندي عربي . تحت قيادة أحد ابنائه كان عليها ان تتقدم من الداخل على طريق الحج نحو ابها المحاصرة، والثانية تحت قيادته هو تتقدم عن طريق مينائي الليث والقنفذة،وبالانضمام إلى الفصائل التركية المرابطة هنا اراد الزحف صوب مدينة ابها والمضي من هناك نحو صنعاء المحاصرة[4]

ولكن الخطة كانت خيالية جداً، ولم يكن بالامكان تحقيقها، بعدئذ قرر السير في محاذاة الساحل، وقسم قوته إلى ثلاث قوافل، الاولى تكونت من 1000رجل تحت قيادة الشريف حيدر بيه، والثانية مكونة من 1500 رجل تحت قيادة نائب مكة الشريف عبد الله بيه، والثالثة مؤلفة من 4500 من

---

[1] كمالي باشا، الاهرام، عدد 14518، في 6 . 11 . 1924، وعدد 14548، في 19 . 12 . 1924،وانظر أيضاً الاهرام، عدد 9997 في 1 . 2 . 1911، وكذلك اسماعيل حقي، المصدر السابق، عدد 381، في 30 . 7 . 1912، وشتولمن ص 92.

[2] اسماعيل حقي، المصدر السابق، وشتولمن ص93.

[3] قارن الاهرام، عدد 9997، في 1 . 2 . 1912، (من نفس التقرير المشار إليه المرسل من الحديدة).

[4] قارن اسماعيل حقي، المصدر السابق، وتشولمن ص 73.

العرب المحاربين تحت قيادة الشريف حسين نفسه، ومدعمة بسلاح فرسان نظامي تركي، وهجانة، وكتيبتي مشاة من الحجاز، واربعة مدافع جبلية ومدفعي رشاش، وغير ذلك، وكان الاحتياطي يتشكل من 3000 رجل،وهكذا فإن الحملة تتكون من 10000 مجند[1]، ونظراً لقوتها المتفوقة فقط خضع لها في 20 ابريل 1911 جزء من قبيلة غامد المجاورة للقنفذة، بينما استسلمت دون كفاح يذكر قبائل زبيد، بني يزيد، والقبائل التي تسكن شمال وجنوب القنفذة[2]، وفي 4 مايو 1911 وصل الشريف إلى القنفذة التي كانت قد بلغتها قبل ذلك بيومين كتيبتان جيدتا التسليح[3].

وفي 9 مايو تحرك حسين من القنفذة، مصحوباً بنجليه فيصل وعبد الله، على رأس فصائله إلى القوز الشاهد الذي يبعد 30 كم من الميناء، وهناك دارت أول معركة بينه وبين محاربي عسير الذين كانوا تحت قيادة ابن خرشان، والذين كانوا يتألفون من 3000 مقاتل، وقد تكبد الشريف هزيمة نكراء وغنمت كل مؤنته واسلحته تقريباً والى القنفذة كر راجعاً، قانعاً من الغنيمة بالاياب، وهناك مكث منتظراً تعزيزات جديدة[4]

تحرك ابن خرشان إلى موقع الحجف، بغرض شن هجوم من هناك على محطة الشريف في القنفذة وقد دفع ذلك أمير مكة إلى العمل على منع ابن خرشان من تنفيذ مشروعه، ومعالجته في 27. 5 . 1911 بهجوم اشتركت فيه قوات متفوقة مؤلفة من وحدات نظامية تحت قيادة نجله عبد الله، ومن اقسام خيالية من البدو وبزعامة ابن اخيه ناصر جميل، ومن كتائب مشاة على رأسها نجله الثاني فيصل، وقد تمكنت فصائل الشريف التي شملت غارتها جبهة الانتفاضيين كلها من ضرب ابن خرشان، ومن انتزاع قوز الشاهد، مما اضطر الثائرين إلى اللواذ بالفرار[5] غير ان شريف مكة لم يجرأ على التقدم إلى داخلية البلاد،كان يريد اولاً احضار الوسائل والمعدات اللازمة للمسيرة من

---

[1] قارن اسماعيل حقي، نفس المصدر، عدد 383، في 13 . 7 . 1912، وشترلمن ص 93 . 94.

[2] قارن اسماعيل حقي، نفس المصدر، وشتولمن ص 93 . 94.

[3] قارن كمالي باشا، الاهرام، عدد 14518، في 16 . 11 . 1924 كتب اسماعيل حقي في نفس المرجع بأن الشريف وصل القنفذة في 24 مايو، غير ان سير الاحداث يوضح انه كان هناك منذ 4 مايو 1911 كما يشير أيضاً بتكرار كمالي باشا.

[4] قارن كمالي باشا، المصدر السابق، وشتولمن ص 94، واسماعيل حقي، المصدر السابق، كتب الاخير بأن الشريف حسين لم يشترك في الكفاح، تنبع هذه الفكرة لدى المؤلف من الخطأ الانف الذكر من ان الشريف لم يصل إلى القنفذة، الا في 4 مايو، ويقول المؤلف أيضاً بأن القوز يبعد20 ك م من القنفذة، الا انني اميل إلى ما ذكره كمالي باشا من ان القوز يبعد عن القنفذة 30 ك م.

[5] قارن اسماعيل حقي، المصدر السابق، واقرأ ثلاث برقيات موجهة من الشريف حسين الى والي الحجاز حازم بك افندي حول هذه المعارك منشورة في "الاهرام" عدد 10125 في 3 . 7 . 1911.

الجمال والمؤونة وغيرها، وفي 16 يونيه 1911 وصلت إلى القوز قادمة من القنفذة كل قوافل التعزيزات التالية: 7 كتائب مشاة نظامية (2 منها من الحجاز) 8 مدافع جبلية،2 من البطاريات الجبلية، وحدة آلية (مترو ليوزة) 4 مدافع رشاشة، وحدتان من المشاة التابعة للفصائل النظامية، ومعها 250 فصائل جندرمة عربية من قبائل بيشه وعقيل، و 600 فارس من قبيلة العتيبة، و800 محارب من رجالات الشريف حسين و 100 من العبيد التابعين له الحاملين للاسلحة[1].

وفي 16 يونيه بدأ الشريف زحفة إلى داخلية عسير، في أول الأمر تجنب الانتفاضيون الاصطدام بقواته الواضحة التفوق، وانسحبوا، وفي 18 يونيه وصلت قوافل الشريف حلى، وخلال ذلك وقعت معارك في القنع، ووادي عجلان، وفي غيرهما من المواقع هزم فيها العسيريون، رغم المقاومة المريرة التي ابدوها.

وفي 21 يونيه اتيح للجيش التركي ان يأخذ . بعد قتال شديد . موقع عقبة السهول الهام الذي كان بطول 22 ك م. الذي كان محتلاً بحوالي 4000 محارب[2] انسحب المقاتلون إلى مركزهم الرئيسي في يباد، حيث دارت معركة حاسمة بين محاربي قبائل عسير تهامة الذين يبلغون حوالي 1000 رجل والذين كانوا تحت قيادة حمود سرداب، ويحيى بن عرار، واخرين غيرهما، وبين قوة الشريف وقد انتهت المعركة بانتصار حسين الساحق، وفي خط مواز لذلك قام طرادان تركيان بضرب موانئ البر، القحمة، والشقيق بقذائفهما[3].

وفي 22 يونيه اعطى الشريف اوامر بالانقضاض على موقع بارق، الذي كان يرابط فيه حوالي 5000 محارب بزعامة يحيى ابن عرار وقاد الشريف هذه المرة حركة القتال بنفسه، وفي وجود نجليه فيصل وعبد الله، وبمساعدة هجانة قبائل بيشه وعقيل، ومساعدة قبائل الشيباني التي كانت تعرف ادارة القتال الجبلي، وغيرها من محاربي القبائل الأخرى التي اقتحمت مجتمعة الذرى الجبلية الصعبة والمحطية بالموقع من الجانبين، اتيح لوحدات أمير مكة ضرب وتعقب المقاتلين العسكريين،600 فارس من رجالات الشريف وقبيلة عتيبة تولوا مهمة متابعتهم، وعلى رأسهم نائب

---

[1] قارن اسماعيل حقي، المصدر السابق، وشتولمن ص 94.

[2] قارن اسماعيل حقي المصدر السابق، وكذلك نمرة 385، وفي 1 . 8 . 1912 من نفس المصدر ،(معلومات تفصيلية عن القتال يمكن قراءتها في نفس المرجع) وشتولمن ص 94 والعقيلي ص 101 . 102، والاهرام عدد 10140، وفي 20 . 7 . 1911 (برقية للشريف في 13 . 7 . 1911).

[3] قارن البركاتي، المصدر السابق، صحب البركاتي حملة الشريف والعقيلي ص 102، والاهرام، عدد 10189، في 15 . 9 . 1911، وكمالي المصدر السابق.

مكة الشريف عبد الله بك، وفيصل، ومع مساء نفس اليوم عادت فصائل الحسين إلى معسكرها في بارق[1].

وفي 23 يونيه استأنفت القوة سيرها، كان على الأمير ان يختار بين طريق محايل . شعار، أو طريق تنومة، لمواصلة الزحف تجاه ابها، قرر مجلس الحرب تحت الحاح الشريف اختيار طريق تنومة، كانت الأسباب المبررة لذلك هي الدعم المنتظر من قبيلة بني شهر، ومن ناحية أخرى ان الحسين كان يعرف ان الموقع الاستراتيجي شعار كان ما يزال بيد الثوار، بحيث ان محاولة اجتياز هذا الطريق كان يعني تدمير كل حملته. أراد الشريف ان يتجنب الوديان، والمخانق، والمضايق، التي كان يكمن فيها اتباع الادريسي، وتسودها حرارة شديدة وينقصها الماء، احتل بنو شهر طريق تنوق الهام والوعر لصالح الشريف، وبذلك سهلوا لفصائل الحسين صعود القمم. وحالوا بين قبائل بللحمر، وبللصفر التابعة للادريسي وبين محاولة وضع العراقيل في طريق زحف الشريف، وفي 26 يونيه 1911 وصلت القوات إلى التنومة التي تقع على ظهر جبل يرتفع 1500 متر، وهنا اقام الشريف، ولاول مرة منذ بداية حملته معسكراً "بغرض اعطاء قواته فرصة تنفس"[2].

ومن أجل المرحلة الثانية من الحرب على جبال عسير وضعت قبيلة بني شهر تحت تصرف أمير مكة 1000 محارب و 600 جمل للحمل متعودة على السير في الجبال، وقد استخدم الشريف هؤلاء المحاربين كطليعة للقتال القادم.

بغير ما توقع تقدمت قوى الثائرين في مطلع يوليو1911 على معسكر الحسين في تنومة، حيث دار قتال شديد اضطروا معه إلى الانسحاب مرة اخرى[3]، وفي اليوم الثاني تحرت قوات الشريف،وبلغت في 3 يوليو 1911 منطقة بللسمر، وهنا . في سدوان . اشتعل الكفاح، وتحولت المنطقة إلى لهب[4].

في موقع الدهماء الشديد الوعورة كان يكمن مصطفى الادريسي مع 5000 محارب من قبائل الجبل، قحطان، شهران، بللسمر، بللحمر، ورجال المع، وتحت قيادة شيخ قطحان محمد ب دليم

---

[1] قارن اسماعيل حقي، المصدر السابق، وعدد 385، وفي 1 . 8 . 1912 من نفس المرجع (وهنا يمكن الحصول على معلومات اضافية عن القتال في بارق، وعن الموتى والجرحى لكلا الجانبين) قارن أيضاً البركاتي، نفس المصدر، وشتولمن ص 94 والعقيلي ص 102، واخرين.

[2] قارن حقي، نفس المصدر، والبركاتي، نفس المرجع، وكذلك الاهرام، عدد 14550، في 22 . 12 . 1924.

[3] قارن اسماعيل حقي، المصدر السابق، وكذلك نمرة 387، في 2 . 8 . 1912، وكمالي، الاهرام وعدد 14545، في 16 . 12 . 1924.

[4] قارن كمالي باشا، الاهرام، عدد 14550، في 22 . 12 . 1924، وعدد 14545، في 16 . 12 ت 1924.

انقضوا دفعة واحدة على قوات الشريف غير انهم بعد قتال غلبوا[1]، وفي العنقاء، والجعد من منطقة قبيلة بللحمر عاود الانتفاضيون جمع قواهم، بغرض اتخاذ موقع المقاومة المريرة، الا انه اتيح لامير مكة اختراق الجناح الايسر للمقاومين،وان يهدد القلب منهم، وان يضطرهم إلى القهقر[2]، وفي الطريق الوعرة، الصباح، وبيحان، حدثت في 9 يوليه والى 10 منه اصطدامات كبيرة بين قوات الأمير واتباع الادريسي الذين كانوا تحت قيادة عبد الرحمن بن ظافر، ولكن الشريف ظل محتفظاً بزمام النصر[3]، وفي 13 يوليه تقدمت فصائله على قبيلة بني مالك التي خضعت بدون مقاومة كبيرة، وفي 14 يوليه 1911 دارت . عندما تقدم أمير مكة إلى موقع شعار الصعب والهام .
المعركة الاخيرة والفاصلة في مضيق درجة، فقد القى كل طرف بكل ثقله في الكفاح، وتمكن الشريف من تطويق المحاربين الذين كانوا تحت قيادة مصطفى الادريسي وحسم المعركة لصالحه، ولقد انتهى القتال بانتصار كامل لامير مكة، وهرب مصطفى إلى جبل فيفاء في عسير تهامة الذي كان قد انتقل إليه محمد علي الادريسي تاركاً صبياً، وفي 15 يوليه 1911 دخل الشريف حسين ابها عاصمة عسير التي ظلت محاصرة حوالي 8 أشهر، بعد حوالي 20 معركة (12 منها كبيرة) خاضها على رأس قواته الغالبة والمتفوقة عدداً وعدة[4]، بعد ذلك مباشرة خضعت كل قبائل عسير السراة للشريف حسين، بمن فيهم شيخ عسير المهم الحسن بن علي بن عائض، الذي كان قد اشترك في حصار ابها، والذي عين الآن من قبل الشريف مساعداً للمتصرف.
هكذا اتيح للاتراك اطفاء الانتفاضة في المنطقة الجبلية، بينما كانت ما تزال في سهل تهامة، من القنفذة إلى أبو عريش، ومن هناك إلى اللحية في اقصى عنفوانها، والطريق بين ابها والقنفذة كان دائماً مقطوعاً، وابها كانت بفعل ذلك معزولة عن البحر[5]. لم يجرؤ حسين على مواصلة الحملة في اتجاه تهامة، أو ضد صبيا، المقر الرئيسي للادريسي، كانت فصائله نتيجة القتال الشديد قد اصبحت منهكة، وخشي ان تقود المعارك الجيدة في الارض السهلية إلى تدمير كامل لقواه، ولهذا فانه في عودته إلى الحجاز لم يختر الطريق الاعتيادي شعار . محايل . القنفذة، والذي كان تحت

---

[1] قارن البركاتي، المصدر السابق.

[2] قارن كمالي باشا الاهرام، عدد 14550، في 22 . 12 . 1924، وعدد 14545 في 10 . 12 . 1924.

[3] المصدر السابق والبركاتي المصدر السابق، وحقي، المصدر السابق، وشتولمن ص 94.

[4] المصدر السابقن وحقي، المصدر السابق، وكمالي، الاهرام، عدد 14518، في 16 . 11 . 1924، وشتولمن، ص 94، والاهرام، عدد 11189، في 15 . 9 . 1911.

[5] قارن كمالي الاهرام عدد 14518، في 16 . 11 . 1924، وعدد 14519، في 17. 11 . 1924، وعدد 19 . 11 . 1924 والبركاتي، المصدر السابق، العقيلي ص 102 116.

سيطرة الانتفاضيين، وانما طريق شهروان . بيش . الطائف وفي ابها ترك تقريباً كل قواته العسكرية، وعاد فقط بـ 1000 من العرب، و 500 جمل نقل، وببلوك الهجانة الحجازي[1].

في هذا الوقت الذي كانت الانتفاضة فيه في عسير ما تزال محتدمة الاوار، كان عزت باشا، قائد ولاية اليمن قد تمكن من القضاء على الانتفاضة التي شملت الهضبة الوسطة، ومن رفع الحصار عن صنعاء، والان . وبعد الهدنة التي عقدوها مع الامام يحيى . امكن للاتراك ان يركزوا كل قواهم ضد الحركة في تهامة.

ولهذا زحف الوالي محمد علي باشا في نهاية مايو 1911 من صنعاء إلى الحديدة على رأس ست كتائب،وبعدد من البطاريات، ومن هنا نقلت هذه القوة . 4000 مشاة . بعد تزويدها بالمدافع الرشاشة، والمعدات الحربية الأخرى . نقلت بحراً إلى جيزان، والى اليمن وقائد هذه الحملة الفريق محمد علي باشا بقي في الحديدة لسوق الجنود، ولذلك فقد كلف الأمير الاي راغب بتولي قيادة هذه الوحدات التي كانت قد وصلت إلى جيزان[2].

كان الادريسي قد جمع خلال ذلك حول جيزان قوة كبيرة بقيادة محمد طاهر رضوان، مؤلفة من قبائل المسارحة، بني شبيل، الحكمى، وادي جيزان، الصمد، صبيا، ومن قبائل أخرى من عسير تهامة، قامت باحتلال نقطة الحفائر التي تبعد 5 ك م شرقي جيزان، والتي كانت توجد بها الآبار وبذلك كانت جيزان عملياً تحت الحصار ووقعت بذلك الفصائل التركية التي استنفدت احتياطيها من المياه في وضع لا مخرج منه، ولذلك قرر راغب بيك مهاجمة الثائرين في الحفائر، وفي 13 يونيه 1911 (16 . 6 . 1429هـ) تقدمت القوة التركية التي كانت تتألف من حوالي 10000 جندي في ثلاث قوافل، وعندما اقتربت من الحفائر ووجهت بهجوم مباغت من العسيريين، واحيط بها، وتكبد الاتراك هزيمة منكرة، وقتل منهم على الأقل 1000 شخص، بينهم راغب بك في بعض الاحتمالات. كرت الفصائل التركية المضروبة عائدة نحو جيزان، وهي في حالة تحلل كامل، بينما محاربوا القبائل يتعقبونها فقط بمساعدة المدفعية، والبواخر الحربية، وقلعة جيزان امكنها ان تصل إلى المدينة[3]. لقد اعطى هذا النصر الكبير قوة جديدة للادريسي، وشكل تحولاً في كفاحه ضد الاحتلال التركي.

---

[1] قارن كمالي باشا، الاهرام، عدد 14521، في 19 . 11 . 1924.

[2] قارن الاهرام، عدد 10127. في 5 . 7 . 1911 (من تصريح لوزير الداخلية التركي خليل بيك) وكمالي، الاهرام، عدد 14525، في 23 . 11 . 1924. وقارن الاهرام، عدد 10124، في 1 . 7 . 1911.

[3] قارن كمالي باشا، المصدر السابق، والعقيلي ص 97 . 98، واقرأ لدى الاخير نداء الادريسي، من ص 164 . 165، مع نداء آخر أيضاً في ص 135، وانظر الاهرام، عدد 10131 في 10 . 3 ت 1911. عدد 10125، في 3 . 7 . 1911 (من تقرير من الحديدة في 22 . 6 . 1911) وقال شتولمن ص 95.

وبارسال حملة جديدة من الحديدة، واستخدام البواخر الحربية تحت اشراف محمد علي باشا الذي وصل إلى جيزان في 21 يونيه 1911 امكن حينئذ الحفاظ على المدينة من السقوط[1].

غير ان محمد علي باشا لم يتجاسر على محاولة اختراق طوق الحصار المضروب على جيزان من ناحية البر، وهكذا ظل اتباع الادريسي سادة الموقف في الحفائر، ومن هناك دأبوا على شن غارات ليلية لعدة أشهر على مواقع الاتراك[2]. والطريق الموصل إلى اللحية والمقطوع من قبل الثائرين غدا في وضع مكن اتباع الادريسي من القيام بهجمات مستمرة على القوافل التركية، حاول الانتفاضيون بزعامة الشريف منصور بن علي، والشريف محمد بن زيد باحتلالهم لابار المصاليب التي كانت تزود اللحية بالماء ان يخلقوا نفس الحالة التي اوجدوها في الحفائر، غير ان الضابط التركي حمدي بك زحف في 14 يوليه 1911 على رأس اربع كتائب، مدعمة بقبائل الواعظات، والجامعي والزعلية، ضد الثائرين من عبس بني مروان البني حسن، واتيح له ان يسترد الآبار، وان يضرب اتباع الادريسي، وان يحدث قتلى في صفوفهم كان من ضمنهم الشريف منصور[3]، ولكن المحاربين لم يدحروا نهائياً من منطقة اللحية الا في 22 يوليه، وكان عليهم ان ينسحبوا جهة الشمال[4]، غير ان مواقع الادريسي لم تفقد بذلك كلها، فقد كانت الأرض المنبسطة من عسير، وبالذات من ميناء البرك في الشمال إلى أبو عريش في الجنوب ما تزال في يده، كما كانت قبل ذلك. ومن هنا بدأ يحضر لمقاومة جديدة.

الفصل الثالث

انتفاضة الادريسي الثانية ضد الاتراك

بمعاضدة الاستعمار الايطالي

عندما اعلنت ايطاليا الحرب في 29 سبتمبر 1911في طرابلس الغرب ضد الدولة العثماني كان محمد علي الادريسي ما يزال في حالة حرب مع الاتراك في عسير تهامة،[5] قبيل اندلاع الحرب التركية . الايطالية مباشرة كان الباب العالي قد حاول عقد اتفاقية مؤقتة مع الادريسي، لمنعه من

---

[1] قارن كمالي الاهرام، عدد 14532ن في 1 . 12 . 1924، وانظر الاهرام، عدد 101245، في 5 ت 7 . 1911، (من تصريح وزير الداخلية التركي خليل بيك).

[2] قارن الاهرام، عدد1017، في 26 . 8 . 1911 (تقرير من عدن) والعقيلي ص 98، والاهرام، عدد 10150، في 1 . 8 . 1911.

[3] قارن الاهرام، عدد 10147،في 28 . 7 . 1911 (من تقرير مرسل من الحديدة) والاهرام، عدد 10150، في 1 . 8 . 1911 (اقرأ هنا أيضاً نداء قائدي الادريسي) وكذلك الاهرام، عدد 10155، في 7 . 8 . 1911.

[4] قارن شتولمن ص 95.

[5] قارن كمالي باشا، الاهرام عدد 14533، في 2 . 12 . 1924.

التحالف مع ايطاليا، ولهذا الغرض قام والي اليمن عزت باشا، والامام يحيى بالتفاوض معه، وخلال ذلك وضع الاتراك شرطاً، وهو ان يتوجه الادريسي إلى الاستانة لعقد معاهدة الصلح هذه، أدرك محمد علي ان الأمر هنا يتعلق فقط بمناورة خائبة، ولذلك فانه رفض ، وفشلت كذلك محاولات التوسط التي قام بها السيد الشراعي باشا[1]. بعيد اندلاع الحرب التركية . الايطالية اراد متصرف عسير كمالي باشا اتباع تكتيك آخر، فبموافقة اجتماع ضم مشائخ عسير السراة، عقد في ابها، ارسل خطاباً إلى الادريسي، يقول له فيه انه في مثل هذا الوقت الذي مر به "الإسلام " مسؤول عن نسيان الماضي كله، والوقوف إلى جانب الخليفة للدفاع عن عسير السراة ضد أي هجوم محتمل من قبل الايطاليين "الكفرة" وافق الادريسي على الاقتراح ظاهرياً، وزاد على ذلك بأنه كان منشغلاً بمثل هذه الفكرتن لدرجة إذ كان سيقترحها على المنصرف وارسل وفداً برئاسة حمد يحيى باصهى إلى شعبين من منطقة رجال المع غرب ابها، للتفاوض حول عقد اتفاقية، كان هدف الادريسي الرئيسي هو حمل المتصرف في مثل هذا الظرف الصعب على تقديم مزيد من التنازلات، غير ان الباب العالي لم يكن مستعداً لذلك، ولذلك فقد

قطع المتصرف المفاوضات بحجة انه لا يستطيع مبارحة ابها.[2]

كانت الأعمال الحربية قد امتدت في هذا الوقت إلى ساحل اليمن الغربية،وجهد الاستعماريون الايطاليون أثناء ذلك في اكتساب الادريسي للكفاح ضد الاتراك.

ولمواجهة اي هجوم ايطالي على الحديدة رابط الطراد التركي "بايكي سفكيت" بجوار جزيرة كمران مع 6 زوارق مدفعية، كما رابط (يخت) بجوار جزيرة فرسان، وفي 2 أكتوبر 1911 ظهرت سفينتان حربيات ايطاليتان "اريثوس" و"فولتورنو" في ميناء الحديدة، وقامت باغراق زورق بخاري تركي كان موجوداً في الميناء، واطلقت على المدينة 25 قذيفة، (100) وفي نفس الشهر قام مسيو علي غويستاني الافريقي . بتحريض من الايطاليين . باحراق بعض العشش حول الحديدة، وبفعل شدة الرياح امتدت النيران بسرعة، واحرقت 1400 منزل من المنازل المبنية بالقشّ.[3]

وفي منتصف نوفمبر 1911 احيط محمد علي باشا علما بأن الطرادين الايطاليين "قالابريا" و"بيمونتا" اجتازا قنال كمران في اتجاههما إلى جيزان، ولتجنب الوقوع بين نارين، بأن تتعرض جزان للهجوم من الجانبين من البحر عن طريق البواخر الحربية الايطالية، ومن البر عن طريق اتباعد

---

[1] نفس المصدر، وكذلك الاهرام، عدد 14534، في 3 . 12 . 1924، نفس المذكرات (اورد كمالي باشا هنا نص رسالة وجهها الادريسي إلى الامام يحيى، متعلقة بالمفاوضات).

[2] المصدر السابق.

[3] قارن ايمهوف، المصدر السابق، وشتولمن ص 99.

الادريسي، الأمر الذي يمكن ان يؤدي إلى التدمير الحتمي لكل فصائله، كان على محمد علي باشا ان يغادر المدينة، وان يتوجه مع كتائبه إلى القنفذة التي بلغها في 19 . 11 . 1911، وهكذا فإن جيزان الخالية من الوجود التركي سقطت في يد الادريسي.[1].

وفي شهر نوفمبر 1911 قامت البواخر الحربية الايطالية أيضاً باطلاق قدائفها على المراكز الهامة والاستراتيجية في جنوب البلاد، على الشيخ سعيد، باب المندب، وكذلك على موانئ المخاء، غليفقة، الخوخة، لم تستطيع البطاريات السواحلية التركية ان تخرج من الميدان أكثر من الطراد الايطالي "قالابريا" وكرد على ذلك ظل الاسطول الايطالي يواصل قذف المعسكر التركي في جبانة الحديدة لعدة ايام، ولكن دون احداث خسائر تذكر في الجانب التركي، ولتعزيز مواقعهم سحب الاتراك من فصائلهم المرابطة في الجبال كتائب عدة إلى تهامة، غير ان هذه التعزيزات لم تحل دون ان تقوم القوات البحرية الايطالية، التي كان تحت تصرفها أيضاً الطوربيدان المطاردان "غاريبالدينو" و"روفينيتو" اللذان ليس إلى مقاومتهما من سبيل بفرض حصار بحري من 12 . 15 نوفمبر 1911 على الساحل الممتد من رأس عيسى إلى غليفقة في أول الأمر، ثم مد الحصار إلى القنفذة، عبر اللحية،[2]وضرب المواني الهامة مثل ميدي، وقبل كل شيء اللحية بقذائف مدفعيتها.[3] ان مما ينبغي ابرازه هنا عمليات القذف التي تعرض لها ميناء الكثيب بعد ذلك في فبراير 1912، وقد احدث الامبرياليون الايطاليون بذلك اضراراً بسكة حديد الحديدة . صنعاء التي كان رأس الكثيب نقطة بدايتها ولقد قاد ذلك إلى نزاع فيما بعد بين فرنسا، البانية الفعلية لهذا الخط الحديدي، وبين ايطاليا، (عالجت في الهامش تطور وتاريخ بناء الخط)[4] استغل اتباع الادريسي عملية ضرب ميدي

---

[1] قارن كمالي الاهرام 14538 في 8 . 12 . 1924، وايمهوف المصدر السابق والعقيلي ص 98 . 99.

[2] قارن ايمهوف، المصدر السابق، وشتولمن ص 99، وقارن أيضاً العقيلي ص 103.

[3] قران كمالي، الاهرام، عدد14536، 5 . 12 . 1924.

[4] قارن شتولمن ص 100 . 101، ورحلة في بلاد العربية السعيدة، نزيه مؤيد العظم، القاهرة 1937 ص 39 وشميدت، ص 76.

مشروع سكة حديد الحديدة . صنعاء الذي كان الاتراك يرغبون في مطلع القرن العشرين في اسناد بنائه إلى البنك الالماني من أجل تثبيت سيطرتهم في اليمن، سلم من قبل وزارة الاشغال التركية إلى شركة احتكارية (سانديكات) فرنسية في 1909 (قارن شتولمن ص 100، والسياسة الكبرى للحكومات الاوربية 1871 . 1914، الجزء 14، 1927،النصف الاخير ص 529).

وهكذا اتيح لفرنسا التي كانت ترفع دائماً دعاوى على الموقع الاستراتيجي الهام، الشيخ سعيد، والتي من أجل ذلك دخلت في منافسات شديدة مع القوى الاستعمارية الاخرى، اتيح لها اخيراً ان تحصل على المشروع، وقد وافقت تركيا على ذلك، ليسقط من اجل تعزيز هيمنتها على اليمن، وانما أيضاً من أجل دفع الاستعمار الفرنسي عن طريق منحه هذا الامتياز إلى الكف عن دعاويه على الشيخ سعيد، وقد عهد ببدء العمل إلى جماعة بنكية فرنسية.. وقد تكونت

للقيام بتطويق المدينة وتطويق الحامية التركية الموجودة بها، وبعد 27 يوماً اتيح للادريسي . مدعماً بالقوات البحرية الايطالية ت ان يحتل المدينة، وان يأسر الاتراك[1] والى فبراير 1912 اتسعت الانتفاضة حتى شملت مناطق أخرى من تهامة، وقدم الايطاليون للأمير فوق ذلك من جملة ما قدموه 7 مدافع، و3000 بندقية، ونقوداً، ومواد غذائية، واعطوه اضافة إلى ذلك راية خضراء، تستطيع قواربه تحت حمايتها ان تسافر إلى كل مكان،[2] للتمكن قبل كل شيء من شراء الذخيرة، والاسلحة من مصوع وعدن.[3]

من أجل تأمين المواصلات بين ابها والقنفذة ارسل متصرف عسير في 19 . 11 . 1911 4 كتائب مشاة، 4 مدافع، ورشاشين إلى محايل، جاعلاً قيادتها لحيدر بيك، وفي عيده على طرق تيه

شركة خاصة "بخط الحديدة . صنعاء" وبمقتضى قانون خاص صدر في أغسطس 1909 بدأت الشركة العمل، وقد احضرت المواد بقرض تركي قدره 22.7 مليون فرنك، كان قد سلم إلى الشركة، ووضع في مارس 1911 للتداول في بورصة باريس، واتفق على رد القرض وفوائده على أن تقوم الشركة بمد المرحلة الأولى من الخط إلى باجل (160 ك م) بالاستناد إلى مردود القرض ...برئاسة المهندس. ومضى العمل إلى نوفمبر 1912 (المصدر السابق ص 101 نقطة البداية للخط في الجبانة بقرب رأس الكثيب شمال الحديدة، حيث ان ظروف الانزال البحري هنا افضل منها في الحديدة (قارن شنولمن ص101 وشميدت ص 75) وكان مخططاً ان يمد الخط من رأس الكثيب إلى باجل، ثم إلى وادي ظفور، وصفى زكريا، في "المقتطف" الجزء 91، في (2 . 7 . 1937) وضع حجر الاساس من قبل عزت باشا في 1 . 3 . 1929هـ (2 . 3 . 1911) (قارن الاهرام، عدد 10037، في 20 . 3 . 1911، من تقرير من الحديدة) والاهرام عدد 10025 في 6 . 3 . 1911 وشتولمن ص 1.

احضرت المواد، وبدأ العمل ضد رغبة بريطانيا، وايطاليا، قبل نشوب الحرب التركية والايطالية كان العمل مستمراً في المساحة الممتدة بين الجبانة والحديدة، حتى توقف بفعل الضرب الايطالي للخط. (قارن قبل نشوب الحرب التركية الايطالية (قارن وصفى زكريا، المصدر السابق) وفي ربيع 1913 استؤنف العمل في الخط، (شتولمن ص 102) بنيت السكة بالفعل، (قارن العظم ص 39، والواسعي (الطبعة الثانية) ص 35، ومؤلفين آخرين) وفي 15 يوليه 1915 وردت الأنباء بأن العمل في الخط توقف نهائياً (شتولمن ص 102، اليمن سلسلة العالم الإسلامي . د. هيوارث دوماً، القاهرة 1952، ص 36 "مواد التي كانت موجودة أثناء ضربه نقلت إلى بور سعيد وعدن، ثم إلى حيفا من أجل استخدامها في خط سكة حديد الحجاز، (شتولمن ص 102 . 103) ولكن المؤلف يعود إلى القول بأنه يتبنى الرأي بان (كل مواد الخط، بما في ذلك خط الحديدة . الجبانة قد اختفت) شتولمن ص 103 والى هذا الرأي يميل مؤلفون عرب آخرون، حيث يكتب العظم في ص 39 بأن (اليمنيين قاموا خلال الحرب العالمية الأولى بانتزاع حديد الخط، واستخدموها في بناء بعض بيوتهم) وفوق ذلك قال انه رأى بقايا العربات المحطمة بنفسه.

[1] قارن ايمهوف، المصدر السابق، والعقيلي ص 106.

[2] قارن ايمهوف، المصدر السابق، وشتولمن ص 99.

[3] كمالي باشا، الاهرام عدد 14536، في 5 . 12 . 1924.

الوعر نشب قتال متصل بين القائد التركي والانتفاضيين، بحيث انه لم يتمكن الا في المساء من بلوغ الموقع، وفي نفس الوقت تقدم محمد علي باشا بنفسه إلى محايل على رأس 5 كتائب مسلحة وممتازة التي كانت قد وصلتها تعزيزات من الحجاز، وفي 21 . 12 . 1911 وصل إلى الموقع[1] كان الهدف من هذه العمليات العسكرية هو الحيلولة دون ان تتسع الانتفاضة إلى جبال عسير، وان يقطع الطريق الهام الموصل إلى ابها، وفي فبراير 1912 زحف محمد علي باشا مع بعض قواته، وبصحبته قائد اللواء حيدر بيك، والرائد زكي بيك الشركسي، والرائد زكي بيك الكردي ضد الثائرين الذين كمنو في قنا، كان الغرض اجراء عملية تطهير شاملة للمنطقة المحيطة بطريق القنفذة . محايل . ابها، غير ان قائد القوة الادريسية مصطفى الادريسي تمكن من ضرب الاتراك، وبذلك حمل قبيلة رجال المع القوية على الانضمام إلى الانتفاضة، وبدون انقطاع شن محاربوا القبائل هجمات ضد قلعة محايل، واضطروا العثمانيين إلى ترك هذه النقطة المفصلية البالغة الاهمية، والانسحاب في مارس 1912 إلى ابها،[2]بذلك قطع الطريق بين ابها والقنفذة من جديد، اتسعت الانتفاضة الآن شملت جبال عسير، وضمنت إليها القبائل والعشائر هناك امثال شعف تمنية، عبيدة قطحان، شهران، القود، بللحمر، سهام، شريف، بني شهر، بل وبلغت حتى غامد\ وزهران في اقصى الشمال.[3]

كان مخطط عزت باشا قائد ووالي ولاية اليمن .كما ابلغه لمتصرف عسير في 7 مارس 1912 . يقوم على اجراء حركة تطويق للانتفاضيين، يعاد بها "الهدوء والنظام" في البلاد، وطبقاً لهذا المخطط ينبغي ان يزحف10000 رجل من المشاة، والفرسان، والمدفعية (27 كتيبة في رأي شتولمن) من الزهرة التي تبعد 35 ك م شرق اللحية، تحت قيادة حمدي باشا، متجهين إلى مقر الادريسي في صبيا الذي يبعد 170كم من الزهرة.

وفي نفس الوقت اراد الامام يحيى ان يزحف من الجبل بمحاربي قبائله الزيدية ضد المقر الصيفي للادريسي . النظير . الذي يبعد 70 ك م جنوب شرق صبيا. وكان محتسباً ان يتقدم متصرف عسير من ابها صوب صبيا، ولاعطاء حركة التطويق طابعها الشمولي، فسيرسل شريف مكة قوة

---

[1] كمالي باشا، الاهرام عدد 14538 في 8 . 12 . 1924.

[2] كمالي باشا الاهرام عدد 14535 في 4 . 12 . 1924، عدد 14536 في 5 . 12 . 1924، في 15 . 12 . 1924.

[3] كمالي باشا، الاهرام عدد 14540 في 10 . 12 . 1924، وعدد 14544، في 15 . 12 . 1924.

تحت قيادة نجله فيصل، تتقدم من الشمال عبر القنفذة إلى داخلية عسير، وحسب تقدير عزت باشا فأن هذه القوة الجبارة سوف تلحق بانتفاضة الادريسي هزيمة ساحقة ونهائية.[1]

وفي اللحظة الاخيرة فهمت السلطات التركية ان تنفيذ المشروع مصحوب بمصاعب لا تقهر، اولاً لأن تهامة من الزهرة في الجنوب إلى القنفذة في الشمال كانت ترتفع عليها راية الادريسي، ولانه لم يكن يوجد غير ماء قليل متاح، وحرارة لاهبة، ولان السير على شواطئ تهامة كان من ناحية أخرى بسبب انتشار الاسطول الايطالي القوي في محاذاتها امراً مستحيلاً، وفوق ذلك كان على متصرف عسير ان يخشى احتلال ابها من قبل الثائرين فور مغادرته لها، والوقوع في كماشة اتباع الادريسي الذين يهيمنون على مسالك الطرق، كما ان امام ابن حميد الدين واجبات اولى، هي تصفية الأمير الادريسي من منطقته الخاصة، والبذات من رازح التابعة للواء صعده، قبل ان يتمكن من الزحف ضد المقر الصيفي لخصمه الطموح، وضد عسير، ولذلك كان لابد ان يسقط هذا المشروع، [2]

وبالاضافة إلى ذلك حدثت للمتصرف في مارس 1912 صعوبات جديدة، حيث تمردت عليه 4 كتائب، واضطر من أجل ذلك إلى اعطائها اجازة مفتوحة إلى وطنها، غير انها سرعان ما وقعت تحت التطويق من قبل الانتفاضيين برئاسة محمد طاهر في نقطة عجمة الواقعة على بعد مرحلتين غربي محايل، وكان على المتصرف ان يرسل 600 جندي، ممن كانوا يرفضون مواصلة الحرب أيضاً، لانقاذ زملائهم، وهو ما اتيح لهم بعد قتال شديد ومن ثم توجه الجميع نحو القنفذة.[3]

كانت القنفذة واقعة في هذا الوقت تحت وابل نيران الاسطول الايطالي الذي كان يتكون من 6 بواخر حربية، وفي 8 و9 ابريل قام الاسطول بهجوم جديد مركز، دعم من البر من اتباع الادريسي الذين كانوا يتشكلون من قبائل قنا البحر، المنجم، القوز الشاهد، وقد تمكن الايطاليون بذلك من تدمير 4 زوارق مدفعية تركية، وغنيمة زورق واحد، ووقعت القنفذة خلال ذلك تحت الحصار الكامل وكانت الصدفة وحدها هي التي انقذت الفصائل التركية المحاصرة في القنفذة، ذلك ان البواخر الحربية الايطالية لم تطلق نيرانها على الفصائل التركية فقط، وانما على حلفائها الخاصين من رجالات الادريسي، الذين اضطروا نتيجة لذلك إلى التقهقر،[4] علاوة على ذلك فإن النجدة المرسلة من الحجاز تحت قيادة الأمير فيصل بأمر من الباب العالي، والمكونة من كتيبتين

---

[1] كمالي باشا، الاهرام، عدد 14535 في 4 . 12 ت 1924، وعدد14537، 31 . 12 . 1924، (مأخوذة من رسالة وجهها الشريف فيصل إلى متصرف عسير في 5 . 5 . 1912) وانظر شتولمن ص 105، والعقيلي ص 104.

[2] قارن كمالي باشا، الاهرام في 14535 في 4 . 12 . 1924، وعدد 14563 في 8 . 1 . 1924.

[3] كمالي باشا الاهرام عدد 14535، في 4 . 12 . 1924.

[4] المصدر السابق، وايمهوف، المصدر، السابق، والعقيلي ص 104.

تركيتين، ومن بلوك الجندرمة الحجازي كانت قد وصلت، وبضم القوة التركية التي كانت ما تزال موجودة في القنفذة إلى جانب القوة التي قدم بها.

تقدم الشريف ضد موقع الانتفاضيين الرئيسي في قوز ابي العير، وفي أول الأمر امكن لقائد الادريسي ابن سرداب ان يوجه في مايو 1912 إلى فيصل ضربة شديدة، ولم يستطع فيصل الا في وقت متأخر دحر العسيريين إلى منطقة القنع، وفي خطاب له إلى المتصرف بتاريخ 19 . 5 . 1912 كتب الشريف بأنه احتل . بعد قتال طويل . مواقع حلى، الكفيرة، العمق، وانه اخذ بارق،[1] ولكن لا المتصرف ولا فيصل تجاسر على محاولة استعادة محايل التي كانت تحت سيطرة اتباع الادريسي، وبالدرجة الأولى قبيلة رجال المع القوية، والتي وضعت في حالة دفاع، وبذلك كانت قوات فيصل في قوز الشاهد غير قادرة على القيام بعمليات عسكرية جديدة.[2]

وفي ابريل 1912 دعا المتصرف بعض المشائخ إلى ابها، وبالذات مشائخ بني مغيط وبني مالك، وعلكم، وربيعة فيدة، وشهران، ورفيدة اليمن، وقحطان، وزعي، وبني بشر، وعبيدة، حيث امكنه بعد مداولاته معهم ان يقنعهم "بخيانة" الادريسي لتحالفه مع الايطاليين "الكفرة" وان يكسبهم إلى جانبه، وقد وضعوا تحت تصرفه في أول الأمر 600محارب، نما عددهم فيما بعد إلى 1000 رجل، وضعوا تحت قيادة زكي باشا، وبقوة مؤلفة من العرب المحاربين، الذين كانوا تحت قيادة مشائخهم، بما فيهم الحسن بن علي بن عائض، ومن6 كتائب مشاة نظامية، (20000 جندي) وبطارية جبلية، و4 بلوك مترا اليوز، و6 مدافع، و4 مدافع رشاشة، تقدم المتصرف في 16 ابريل 1912 ضد القبائل الثائرة في جبال عسير، بينما تسلم الأمير الاي حيدر بك قيادة مدينة ابها وعسير كلها نيابة عن المتصرف. كان هدف هذا التحرك العسكري هو منع التحام الانتفاضيين في عسير السراة، وعسير تهامة، والحيلولة دون تطويق ابها مرة اخرى، وضرب الثائرين في عقر دارهم، واطفاء مواقد الانتفاضة واحداً بعد الاخر، وعلى نحو منفرد، وقد حدثت أول معركة بين المتصرف، والثائرين من قبيلة بني مالك في مايو 1912 في طريق تمنية، جنوب غرب ابها، وقد انتهت . كما انتهت أيضاً معركة وادي ركان . بانتصار المتصرف وحلفائه،وكان على رجالات الادريسي ان ينسحبوا إلى تهامة، لقد قاد هذا النصر السريع والساحق إلى ان قبيلة قحطان استسلمت للمتصرف من ذات نفسها، وفي 4 يونيه كان استئناف المسيرة من تمنية، وبدون الاصطدام بمقاومة تذكر انطلقت الفصائل التركية وحلفاؤها إلى شهران الواقعة شرق ابها، والتي بلغوها في 17 يونيه، وقد اتيح للمتصرف ان يواصل عملياته على امتداد جبال عسير، وبذلك فتح الطريق بين نماص الموقع

---

[1] كمالي باشا،الاهرام عدد 14557ن في 31 . 12 . 1924، وشتولمن ص 105، والعقيلي ص 103 . 104.

[2] كمالي باشا، الاهرام، عدد 14535، 4 . 12 . 1924.

الرئيسي بين بني شهر والقنفذة، وللحيلولة دون حدوث أي هبة جديدة بين قبائل جبال عسير السراة، وضع حامياته خلال مسيرته . في كل المواقع الهامة،[1] وبذلك حسمت نهائياً هبات عسير السراة. والان اصبحت منطقة تهامة هي محور الانتفاضة الادريسية، وكما في السابق فإن قبائلها ظلت تساند الكفاح ضد الاتراك. ومن الأرض الواقعة جنوب شرق أبو عريش، والتي استولى عليها الادريسي بحوالي 500 من اتباعه، وارسل في يونيه 1912 قوة لاحتلال جزيرة فرسان، وتوجه هو بالذات في يوليه 1912 (شعبان 1329هـ) إلى ميناء ميدي[2] وقد دعم الايطاليون هذه الأعمال ببواخرهم الحربية، كما دعموا سابقاتها، وقد تمكنت القوة المزودة بأحد عشر زورقاً ذات سلاح حربي وفير، والموضوعة تحت قيادة طاهر رضوان من طرد الفصائل التركية التي كانت مرابطة في الجزيرة في فرسان،[3] ومن ميدي بدأ الادريسي في قايدة الكفاح ضد الاتراك في الجنوب، ووزع منشوره الموجه ضد الامام يحيى الذي "قام في اعانة العدو علينا".[4]

كان الامام قد وضع نفسه منذ بداية الحرب الايطالية . التركية في جانب الاتراك، ورغم وساطة سلطان لحج فإن المفوضية الايطالية لم تستطع دفع الامام إلى ان يهب ضد العثمانيين، فقد ادرك جيداً الاغراض الحقيقية للايطاليين، وقد جعله ضرب الموانئ اليمنية من قبل الاسطول الايطالي في حالة عضب شديد، كما توضح ذلك كلماته: "انهم يتصورون كل شيء (يرونه امامهم) قطعة من شحم"[5] وقد اظهر لذلك للسلطات العثمانية استعداده لوضع 50000 رجل تحت تصرفهم، للدفاع عن البلاد ضد العدو الاجنبي وحليفه الادريسي، ولكن الهجمات الخبيثة للاستعماريين الايطاليين لم تثر الامام فقط، وانما اثارت أيضاً فئات واسعة من السكان، وبالذات سكان جبال اليمن، وقد تجمع في الجامع الكبير لصنعاء أكثر من 20000 رجل من اهل صنعاء، ومن قبائل حاشد، وذو محمد، وذو حسين، وارحب ، ونهم، وخولان، وبني بهلول، وسنحان، وهمدان، وبني الحارث، وبني حشيش، وبلاد الروس، وبلاد البستان. ومن هنا انطلقوا في شكل مظاهرة إلى قائد

---

[1] كمالي باشا، الاهرام، عدد 14540، في 10 ـ12 . 1924 وعدد 14543 في 13 . 12 . 1924 وعدد 14545، في 15 . 12 . 1924، في 16 . 12 . 1924، وعدد 14547، في 17 . 12 . 1924، وعدد 14555، في 30 . 12 . 1924.

[2] قارن ايمهوف، المصدر السابق، العقيلي ص 107.

[3] قارن شتولمن ص 105 والعقيلي ص 107.

[4] اقرأ منشور الادريسي لدى العقيلي ص 135 . 140.

[5] التعريف باليمن، عباس فاروقي، نيويورك، 1947 ص 57.

ووالي ولاية اليمن عزت باشا، واعلنوا استعدادهم للدفاع عن سواحل اليمن. ومن جانبه وعد الوالي بابلاغ الباب العالي بهذه التظاهرة القوية، وبهذا الاستعداد الكبير.[1]

كان الامام مهتماً قبل كل شيء بأقصاء نفوذ الادريسي من منطقته الخاصة، ولم تكن قواه كافية للاشتراك أيضاً في الدفاع عن سواحل اليمن. ومن جانبه وعد الوالي بابلاغ الباب العالي الهدوء خيم على الهضبة الوسطى من اليمن، والى جعل الاتراك في وضع، سحبوا معه كل قواهم العسكرية تقريباً إلى تهامة لمجابهة سياسة التوسع الايطالية الخطرة، بطاقة اشد، غير ان الاستعماريين الايطاليين لم يجرؤوا على مهاجمة داخلية اليمن، لأن القوة التركية التي كانت ترابط في هذا الوقت في تهامة وفي اجزاء أخرى من البلاد كانت تبلغ 30000 رجل.[2] ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن السكان اليمنيين . باستثناء اتباع الادريسي . كانوا على اهبة الاستعداد للدفاع عن وطنهم إلى آخر رمق، حتى يحولوا دون غزوها من قبل الاستعمار الايطالي، وقد حدد الامام يحيى موقفه من الاستعماريين الايطاليين وموقفه من الادريسي بقوله:

"بينما الإسلام اليوم في حرب مع الايطاليين، يعمل الادريسي لصالح العدو، ان ذلك ضد مشيئة الله".[3]

وخلال شهر مارس . ابريل 1912 (ربيع الثاني 1330) تقدم قائد الامام وعامله على صعدة محمد بن الهادي أبو نيب رأس محاربين من قبائل حاشد، همدان، وغيرها على القبائل الشمالية في خولان الشام، جماعة وسحار . التي كانت قد انضمت إلى الادريسي، معززاً بقوة أخرى بقيادة أحمد بن قاسم حميد الدين، تمكن أبو نيب بعد كفاحات شديدة من اخضاع جماعة وسحار، وكذلك محاربي القبائل العسيريين،وتمكن بذلك من تصفية نفوذ الادريسي من هناك، وفي نفس الوقت فأن جيش الامام الذي حصل على غنائم كبيرة واصل قتاله ضد رازح، وظل النصر حليفه، والآن غدت قبائل الامام وقبائل الادريسي المحاربة تقف في مواجهة بعضها البعض في منطقة غرب صعدة.[4]

---

[1] قارن الاهرام، عدد 10228، في 30 . 11 . 1911 (من رسالة من صنعاء من السيد محمد بن علي) وقارن أيضاً، هدية الزمن في اخبار لحج وعدن، أحمد فضل بن علي محسن العبدلي، القاهرة 1351 (1932م) ص 254، كتب الواسعي في ص 246 من مؤلفه السابق (الطبعة الثانية) وغيره من المؤلفين بأن الامام ابدى استعداده للاتراك لتجنيد 100.000 رجل للدفاع عن اليمن ضد الايطاليين، وفي رأينا ان ذلك من قبيل المبالغ.

[2] قال شتولمن ص 104.

[3] يمهوف، المصدر الاسبق.

[4] قارن الواسعي ص 246 . 247 والعقيلي ص 89، وكذلك الكرملي ص 88، والجرافي، عبد الله عبد الكريم، المقتطف من تاريخ اليمن القاهرة 1951 ص 224، واخرين، ذكر ايمهوف ان فصائل الامام تحت قيادة أبو نيب

لتعزيز أتباعه من قبائل عبس، بني مروان، بني نشر، في كفاحهم ضد الاتراك في جنوب تهامة فقد ارسل الادريسي نجدة تحت قيادة محمد طاهر رضوان.[1] وخلال شهر أغسطس 1912 سار الكفاح لصالح الثائرين، اضطرت معه الوحدات التركية المندحرة إلى التقهقر نحو الحديدة، وفي جنوب شرق الحديدة اتخذ الكفاح مع قبيلة الزرانيق القوية طابعاً أكثر حدة.[2]

وفي أغسطس 1912 حدث قتال استغرق عشر ساعات غرب حجة مع انصار الادريسي الذين خسروا 150 قتيلاً و300 جريح، بينما لم يخسر الاتراك الا القليل.[3]

فقط في 21 سبتمبر 1912 حصلت الفصائل العثمانية بقيادة سعيد باشا على نصر في شمال البلاد.[4]

والان عقدت ايطاليا وتركيا معاهدة لوزان . اوشى للصلح التي ابرمت في 18 أكتوبر 1912، بينما الحصار البحري على سواحل اليمن يرفع،[5] والادريسي واتباعه يمنحون . بناء على طلب الايطاليين . عفواً عاماً من قبل الباب العالي.[6]

وكنتيجة للانتفاضة، وللحرب الايطالية تكون بزعامة الادريسي حجر الاساس لامارة في منطقة صبيا . أبو عريش، لم تعترف بها تركيا رسمياً، ولكن الباب العالي كان مضطراً . بسبب (وساطة الايطاليين) اولاً، وبسبب نشوب حرب البلقان التي قامت في أكتوبر 1912 ثانياً . إلى ان يقبل مؤقتاً بوجود هذه الامارة[7]

وعند تقييم موقف الادريسي والامام يحيى يجب القول في البداية، بأن العوامل الموضوعية والذاتية التي حركت الامامين إلى الكفاح ضد التحكم، والاضطهاد الاستعماري التركي، ومن أجل الحصول

وصلت في تقدمها إلى المقر الصيفي للادريسي النظير، ولكن العقيلي يشير على نفس الصفحة ان ذلك حدث في 1341 (1922 . 1923)

وفي تصورنا انه من المحتمل ان يكون جيش الامام قد بلغ عام 1912 جبل النظير، اما الاستيلاء النهائي على مقر الادريسي فلم يحدث الا مؤخراً.

[1] العقيلي ص 107.

[2] شتولمن ص 106.

[3] قارن الجريدة الفوزية الالمانية في 6 . 9 . 1911(وفق بلاغ وزارة الحرب التركية في الاستانة) وشتولمن ص 105 . 106.

[4] قارن شتولمن.

[5] قارن الواسعي ص 246، والمحامي ص 334.

[6] قارن الدولة العربية المتحدة، امين سعيد، الجزء الثالث القاهرة 1930 ص 6.

[7] كمالي باشا، الاهرام، عدد 14530، في 28 . 11 . 1924.

على الاستقلال الذاتي كانت لها نفس الغايات، وفي مواجهة الاحتلال التركي فقد كان ظهور كل من الامام يحيى والامام الادريسي اهمية تاريخية تقدمية.

غير ان الامام يحيى استند في كفاحه ضد الحكم العثماني، ومن اجل الحصول على الاستقلال الذاتي . على قوى الشعب اليمني، بينما لم يعتمد الادريسي سوى بشكل جزئي على قوى الجماهير الشعبية، واعتقد انه بامكانه بمساعدة الايطاليين ان يصل إلى النصر على نحو أسرع، وقد تطور الدعم الايطالي من التزويد بالسلاح إلى التدخل العسكري المباشر.

وفي منشوره الذي وجهه من ميدي ضد الامام يحيى حاول الادريسي ان يبرر ميله إلى الايطاليين بالقول بأن الدين يسمح باحضار السلاح من "الكفرة" لمكافحة العدو، وعلاوة على ذلك فإن مذهب "الزيدية" لا يجيز الحصول على السلاح فحسب، وانما أيضاً "الاستعانة بالكفار في الجهاد"[1]

لم يكن الامام يحيى موافقاً على هذا التفسير للدين، وللتعاليم الزيدية، وبقطع النظر عن هذه التفسيرات الدينية فإن التحالف مع الامبريالية الايطالية من قبل الادريسي لا يمكن الا ان يدان بقوة، ذلك ان ايطاليا الاستعمارية كانت عدوا اسوأ للشعب اليمني من الاتراك، لقد كانت تركيا تمثل قوة استعمارية من النمط القديم، وكانت قد اخذت تتحلل تحت ضربات حركة الكفاح الاستقلالي للشعوب المضطهدة من قبلها، بينما كانت ايطاليا تبحث كدولة الاهتمام باحتلال الشريط الساحلي الغربي لليمن، ذي الاهمية الاستراتيجية البالغة، ولم يدعم الاستعماريون الايطاليون الادريسي، لانهم كانوا يتعاطفون مع الكفاح الاستقلالي للشعب اليمني، وانما من أجل مصالحهم الاستعمارية، لقد كان الاستعمار الايطالي يأمل عن طريق التأثير المباشر وغير المباشر في تكوين امارة ادريسية في عسير وفي كل السواحل الغربية لليمن في ان يخلق امارة تابعة له، لا تخدم فحسب كقاعدة لسياسته التوسعية تجاه شمال اليمن، وانما أيضاً لتكون نقطة انطلاق ملائمة لتهديد الحكم البريطاني في جنوب اليمن، لقد فشل تحقيق هذه المشاريع الاغتصابية لاسباب على رأسها الموقف المعادي للايطاليين الذي التزمته اكثرية الشعب اليمني، والتزمه الامام يحيى معها، هذه الاكثرية التي ادركت جيداً ان السيطرة على بلادهم من قبل الايطاليين لن تعني الا نهبا واضطهاداً اسوأ بكثير مما كان عليه الأمر قبلاً خلال الحكم العثماني، وفي هذا المجال لعبت من ناحية أخرى قوة الفصائل التركية دوراً لا يمكن الاستهانة به، حيث عملت على كبح مطامع الاستعمار الايطالي التوسعية في اليمن.

ومهما يكن فانه يجب القول بأن الادريسي لم يدرك بالكامل مخاطر الاستعمار الايطالي، وفي هذه الناحية كان الامام يحيى . سياسياً . أبعد نظراً، ولقد اضرت المساعدة الايطالية بالادريسي أكثر مما

---

[1] اقرأ المنشور لدى العقيلي ص 135 . 140.

افادته، فبمعاضدتهم كسب مينائي جيزان، وميدي، ولكنه فقد تعاطف كثرة كاثرة من مشائخ عسير السراة، ثم فقد تعاطف كل سكان هذه المنطقة تقريباً، على الرغم من ان الادريسي لم يكن قائدهم السياسي فحسب، وانما قبل كل شيء زعيمهم الديني، وكان تحالفه مع الايطاليين هو السبب العميق في الدعم الذي قدمه بعض مشائخ عسير السراة للاتراك من خلال محاربي قبائلهم، وهو السبب الذي من اجله استسلم هذا الاقليم كله تقريباً دون مقاومة للاتراك، ومن هنا يمكن فهم لماذا كانت الانتفاضة الأولى التي قادها الادريسي ضد الاتراك أكثر قوة وجبروتا من الثانية.

وفوق ذلك فإن السكان اليمنيين في عسير السراة توقفوا عن دعم كفاح الادريسي ضد الاتراك. ولم يبق إلى جانبه غير قبائل عسير تهامة، وبعض قبائل في جنوب تهامة اليمن، الذين كانوا دائماً اتباعاً للعائلة الادريسية، والذين كانت له معهم علاقات وثيقة(عن طريق الزواج، والتأثير الديني، وما اشبه ذلك) لم يستخلص الادريسي النتائج الصحيحة من هذا التعاون الخاطئ مع ايطاليا، وستبرهن الاحداث التالية انه تحالف فيما بعد أيضاً مع قوة امبريالية اخرى، من أجل توسيع امارته.

لقد برهن كفاح الشعب اليمني الذي بدأ محلياً للتحرر من ليكون مع الوفد، وانضم إلى بعثة الصلح متصرف الحديدة، وفقيه زبيد السيد عبد الباري الاهدل، ومن الحديدة توجهت البعثة إلى المقر الجديد للادريسي في جيزان، لم تفد المفاوضات مع ابن ادرس إلى أي نتيجة، رغم المرونة التي اظهرها الوالي، وعادت بعثة الصلح في جمادي الثانية (مايو 1913).[1]

لقد طالب أمير جيزان إلى جانب جيزان وميدي بجزيرة فرسان، والى جانب المناطق المحكومة من قبله طالب بأقليم عسير كله،وبمناطق أخرى في جنوب تهامة. لم يكن الباب العالي على استعداد لتلبية هذه المطالب الواسعة، وهكذا فإن المفاوضات قطعت في أغسطس 1913 نهائياً.[2]

واشتعل الكفاح من جديد بين الادريسي من ناحية، وبين الاتراك والامام يحيى من ناحية اخرى، وكانت عبس الواقعة جنوب حرض هي الساحة الرئيسية لهذا القتال، ولان الشيخ الكبير لعبس يحيى علي ثواب، انتقل إلى جانب الاتراك فقد انتزعت عبس من يد الادريسي مؤقتاً،[3] وفي نوفمبر 1913 استعاد العثمانيون أيضاً جزيرة فرسان،[4] وفي نفس الوقت تمكنت قوات الامام يحيى من

---

[1] قارن الواسعي ص 251، وشتولمن ص 106، والجرافي ص 244، والكرملي المصدر الاسبق.

[2] قارن شتمان ص 106.

[3] العقيلي ص 108.

[4] شتولمن ص 107.

احتلال منطقة رحم من اراضي رازح،[1] وفي فبراير 1914 (ربيع الأول 1332هـ) اندفعت إلى الامام تحت قيادة محمد بن الهادي في اتجاه تهامة، واستولت على حرض[2]

والان سعى الادريسي، وقد وضع بين نارين، نار الامام يحيى، ونار الاتراك، الي عقد صلح مع الباب العالي، على اساس الاضطهاد التركي، والذي قاد طائفة الزيديين فيه الامام يحيى، وقاد طائفة الشوافع فيه محمد الادريسي، برهن بشكل قاطع ان اليمنيين كانوا في الوضع، الذي يمكنهم بقواهم الخاصة من التحرر من نير العثمانيين، ولقد برهنت الانتفاضة اليمنية العامة في عامي 1910 . 1911، والنتائج الكبرى التي تحققت مع بداية هذا الكفاح بوضوح كامل انه كانت توجد في هذا الوقت امكانية لاقامة ولاية يمنية موحدة، متحررة من الحكم الاجنبي.

غير ان الادريسي حاول خلال الانتفاضة ان يمد نفوذه إلى صعدة التي كانت تعتبر المقر الرئيسي للائمة الزيديين، وهو ما آثار غضب الامام يحيى، وقاد الى عداء مستحكم بينهما بطبيعة الحال، ولقد ادى طموح الادريسي لتأسيس امارة خاصة به في جزء من اليمن، إلى انشطار عملية الكفاح الموحد، وبالتالي إلى اعاقة بناء دولة يمنية موحدة، ولهذه المهمة التاريخية، وحتى من أجل اقامة امارة ادريسية خاصة، لم يكن يمتلك ابن ادريس الشروط الموضعية الكافية لقد كان واجبه التاريخي يتمثل في الكفاح تحت قيادة الامام يحيى الذي كانت تدعمه جوهرياً قوى شعبية عريضة،فقط بهذا الشرط كان خلق دولة يمنية موحدة، ولكن الادريسي لم يرغب في الخضوع لابن حميد الدين، وكان يطمح شخصياً إلى توسيع حكمه بكل الوسائل إلى مناطق أبعد من اليمن، ولقد رفض كل المحاولات التي بذلت معه فيما بعد، بقصد حمله على قطع علاقات التحالف مع ايطاليا، والخضوع للسلطان العثماني، والاعتراف بقيادة الامام يحيى، على الرغم من ان الاستعداد لتركه صاحب السيادة في منطقته، ولدفع مكافأة شهرية له. لقد شكلت بعثة صلح من قبل الاتراك مكونة من رجال دين مرموقين، مثل حسين كامل افندي، السيد قاسم العزي، والقاضي عبد الكريم أحمد مطهر، وكان على رأسها الوالي الجديد محمود نديم، وفي فبراير 1913 (ربيع اول 1331هـ) كان تحركها من صنعاء، وارسل الامام من جانبه . وكان على علاقة حسنة مع الوالي . من مقره في السوده نائبه في حجور السيد أحمد بن يحيى عامر، منحه الاستقلال الذاتي في عسير، تماماً كذلك النوع من الاستقلال الذاتي الذي منح للامام يحيى، ولهذا الغرض ارسل حاكم جيزان في يوليه 1914 بعثة برئاسة صديقه الطبيب الدكتور عزت افندي الجندي، الذي حمل معه أيضاً رسالة خطية الى الباب العالي "وحسب اعلانين من القسطنطينية في 15 و16 يوليه 1914 ينبغي ان يكون قد

[1] العقيلي ص 89.

[2] الواسعي ص 257.

طالب الادريسي بأن يصبح الأمير الوارث في عسير، وان يدير البلاد باستقلال كامل، وان لا ترسل الحكومة التركية لا موظفين، ولا فصائل إلى عسير، وفي مقابل ذلك اراد الادريسي ان يلتزم بالاعتراف بسيادة السلطان، وان يرفع العلم (العثماني) وان تقام صلاة الجمعة باسم السلطان كخليفة (الدعاء له)"[1]

اظهر الباب العالي انه غير مستعد للتنازل طوعياً عن عسير أو غيرها من الاجزاء اليمنية، لأن ذلك كان يعني بداية افول حكمه الاستعماري في اليمن كلها.

والامارة الادريسية التي اقامها الادريسي في قضاء صبيا في عسير تهامة رغم ارادة الاتراك اتسعت مع بداية الحرب العالمية الأولى إلى وادي العين بين ميدي واللحية.[2]

الفصل الرابع

تحالف الادريسي مع بريطانيا العظمى ضد تركيا خلال الحرب العالمية الأولى

على عكس موقف الامام يحيى الذي بقي بعيداً عن حلبة الصراع بين بريطانيا وتركيا، على أمل ان يكون هو الوارث الوحيد لليمن في حالة سحق بعضهما البعض، فأن الادريسي اختار التعاون مع الجانب الاقوى. مع بريطانيا العظمى، على أمل تحقيق طموحاته.

وكما التهب الصراع في جنوب البلاد، كان محتدماً في غربها، حيث دفعت بريطانيا وتركيا إلى السواحل الغربية لليمن بقوى لا يستهان بها. وفي عام 1915 بدأت انجلترا حصاراً بحرياً على جزيرة كمران[3] وفي نوفمبر 1914 بدأ محمد علي الادريسي . الذي سيصبح حليفاً لانجلترا . الانتفاضة في هذه المناطق ضد الاتراك، وقطع بذلك الاتصال البري بين شمال اليمن والحجاز[4].

وكمثل نعطي على موقف الادريسي خلال الحرب، كانت محاولته في مطلع ابريل 1915 بمساعدة قبائل مناصرة اعتقال قسم من طاقم الطراد الالماني "امدن" الذي مع القبطان فون موكي أراد الوصول إلى دمشق على الطريق البري للحديدة، حيث جرت مهاجمته بجوار الليث، دون نجاح ما،[5] وقد دفع موقف الادريسي الانجليز للدخول في مفاوضات معه من أجل ان يشن القتال في

---

[1] شتولمن ص 107 . ص 108.

[2] الريحاني ص 301، اشار بريموند في ص 82،86 من مؤلف السابق أنه كان يرابط جنود اتراك في جيزان خلال الحرب العالمية الاولى، غير ان مجرى الاحداث لم يبرهن في الواقع على ان الاتراك استعادوا جيزان، لذلك فانني اعتبر تصور بريموند خطأ.

[3] قارن، عدن واليمن، سيربيرنارد رايللي، (ترجمة عربية غير منشورة) القاهرة 1959 ص 120، وجزيرة العرب جان جاك بيربي، بيروت 1960 ص 137، وبريموند ص 82.

[4] بريموند ص 79.

[5] قارن شتولمن ص 31.

شمال اليمن من ناحية البر ضد الاتراك، ومن أجل ذلك فانهم عقدوا معه في 30 أبريل 1915 "معاهدة صداقة" (صدقت في 1915/11/6) وقد نصت المعاهدة التي وقعت من قبل المعتمد البريطاني في عدن ب، ج، ك شاو، ومصطفى الادريسي على "اعلان الحرب على الاتراك، وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا والسيد الادريسي المذكور آنفاً وأعضاء قبيلته" وقد وصف الادريسي بأنه "أمير " صبيا "واطرافها "وقد التزم محمد علي بمكافحة الاتراك، وطردهم من مراكزهم في اليمن، وتوسيع اراضيه على حسابهم،والامتناع عن كل حركة عدائية ضد الامام يحيى، ما دام هذا لا يضع يده بيد الترك، وتتعهد الحكومة البريطانية المحافظة على اراضي السيد الادريسي من كل اعتداء يقع من قبل أي عدو كان على السواحل، وبضمانة استقلاله في اراضيه الخاصة، وستعاون الحكومة البريطانية الادريسي بالمال والمؤونة، وستكون هذه المعاونة متناسبة مع ما يقوم به من الكفاح ضد الاتراك، وتسمح الحكومة البريطانية للادريسي أثناء الحصار البحري المضروب على سواحل تركيا في البحر الاحمر . ان يتاجر مع عدن وسواحلها، وبمقتضى الملحق فأن جزيرة فرسان . منعا لمطالب ايطاليا . تعطى للادريسي[1].

والان اخذ الادريسي يقود الكفاح ضد الاتراك بكل الوسائل الموجودة تحت تصرفه، ومن جميع النواحي، وقد ارسل جزءاً من قواته حتى ضد صعدة،[2] وفي كفاح مظفر زحفت فصائله تحت قيادة مصطفى الادريسي في تهامة إلى المركز الرئيسي لفرقة 21 التركية المرابطة في اللحية، وفي سبتمبر 1915 هوجمت مدينة اللحية بحراً من قبل البواخر الحربية البريطانية، وبراً من قبل رجال الادريسي، وبعد ثلاثة أيام من القتال كان على المهاجمين . بفعل المقاومة التركية الشديدة . ان ينسحبوا، وقد اتيح للبطارية الارضية التركية ان تتلف باخرة حربية بريطانية،[3] وخلال انسحابها إلى الشمال قامت قوات الادريسي باحتلال ميناء عسير الهام جداً، وهو القنفذة، في 1916/8/15 يوليو لأول مرة[4] كما اتيح أيضاً لشريف مكة ان يحتل ميناء الليث في 1916/8/15 والواقع في اقصى شمال عسير، والذي كان قد ضم منذ امد طويل إلى ولاية الحجاز،[5] والآن حاول ان يمد

---

[1] اقرأ نص المعاهدة في "جزيرة العرب في القرن العشرين"، حافظ وهبة، القاهرة، 1956 ص 320 . 321، واقرا نقاط المعاهدة لدى العقيلي (ص 114 . 115) وقارن: تكوين الدول في الاجزاء العربية التابعة لتركيا منذ الحرب العالمية، نشوؤها، اهميتها، وقدراتها على البقاء اريش تويف، هامبورج، 1929، ص 122.

[2] الريحاني ص 129.

[3] شتولمن ص 110 . 111.

[4] الريحاني ص 299، والسياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط، حسين فوزي النجار، القاهرة 1953 ص 433.

[5] ثورات العرب في القرن العشرين، أمين سعيد، القاهرة، ص 47.

نفوذه إلى عسير، ولكن ذلك كان يتعارض بالطبع مع مطامح الادريسي الذي من أجل ذلك قام في نهاية خريف 1916 بالاجهاز على فصائل الشريف حسين في قوز العير[1].

ومنذ أغسطس 1916 كان أمير مكة قد طالب الانجليز بتسليمه ميناء القنفذة، وقد استجاب له هؤلاء،وحملوا الادريسي على التخلي عن القنفذة لصالح الشريف،[2] وقد أخلى الادريسي القنفذة بالفعل، ولكنه لم يكن راضياً عن القرار البريطاني، لانه بذلك قد ابطل ما تضمنته المعاهدة المبرمة في ابريل 1915 من وعود بتوسيع سلطاته على حساب الاتراك، وفي يناير 1917 جددت المعاهدة وكانت التغييرات هنا متعقلة بجزيرة فرسان، وبالذات منح امتياز بترولي للانجليز من قبل الادريسي، والاعتراف بسيادته من قبل بريطانيا العظمى على سهل تهامة من اللحية في الجنوب إلى الحدود الجنوبية للقنفذة في الشمال والتزمت الحكومة البريطانية بحماية بلاده من الاعتداءات الخارجية، واعلن الادريسي من ناحية عدم اقامته أي علاقات سياسية أو تجارية مع أي دولة اجنبية[3].

كانت عسير السراة التي غدت معزولة عن البحر نتيجة احتلال سواحل عسير . هي الهدف التالي للادريسي، وفي أول الأمر اراد القيام بعمليات ضد أبها التي كانت تدار من قبل المتصرف محي الدين والتي كانت محصنة تحصينا غير عادي، كان الشيخ الكبير لعسير السراة الحسن بن علي بن عائض، وكل مشائخ وقبائل عسير السراة تقريباً قد وقفوا إلى جانب السلطات التركية، نظراً لانهم لم يغفروا للادريسي تحالفه مع الايطاليين، وانتقاله الآن إلى جانب الانجليز، ولهذا بقيت كل محاولات الادريسي بالزحف على ابها بلا نتيجة[4].

وفي مطلع 1917 قرر قائد الاسطول البريطاني في البحر الأحمر سيررونالد ويميس مهاجمة اللحية بالتعاون مع اتباع ابن ادريس،[5] وقد تمكن مصطفى الادريسي خلال الهجمات على المدينة المدعمة بالسفن الحربية البريطانية من اخذ اللحية، غير انه اتيح للفرقة 14 التركية التي كانت تحت قيادة غالب بك بفضل معاضدة قبائل الواعظات ووادي مور ان توجه ضربة ساحقة للادريسي وانحصاره في دير حسين، والعطن، وان تغنم كل الاسلحة والمؤن

---

[1] قارن: إلى التاريخ الزمني للبلاد العربية، 1، موسيل ليبرزج، 1918 ص 32.

[2] قارن الريحاني . ص 299، وامين سعيد، في جريدة "المقطم" عدد 13784، في 23 . 5 . 1934 والنجار ص 433، واخرين.

[3] الريحاني ص 299، وقلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، القاهرة، 1933، ص 358، والنجار، ص 433.

[4] قارن النجار، ص 299، وحمة ص 356، وفي بلاد عسير، فؤاد حمزة، القاهرة 1951، 0المقطم) عدد 12783، في 22 . 5 . 1934، وكمالي باشا، (الاهرام) عدد 14514 في 22 . 11 . 1924.

[5] بريموند، ص82.

تقريباً، ولذلك سحب مصطفى الادريسي فصائله من منطقة اللحية إلى شمال البلاد، وفر هو شخصياً على ظهر باخرة حربية بريطانية إلى جزيرة كمران،[1] وفي فبراير 1917هاجم الانجليز . مستعينين بالطراد "فوكسط اللحية من جديد، واضطروا الاتراك إلى مغادرتها مؤقتاً،[2] وبعد قتال شديد متبادل احتل الادميرال ويميس في 12 يونيو 1917 ميناء الصليف، الذي كان يستخدمه الاتراك حتى هذا الوقت لتوجيه نيران مؤثرة من موقعه على حركة الانجليز البحرية في اتجاه جزيرة كمران،[3].

حينئذ وجه البريطانيون انذاراً إلى الفصائل التركية المرابطة في الحديدة باخلاء سبيل الهنود والانجليز المعتقلين هناك، رفض الاتراك الانذار،وكرد على ذلك قذف البريطانيون المراكز التركية حول الحديدة وحطموا الميناء، وحاولا احتلال المدينة، غير ان المقاومة الشديدة حملتهم على التخلي عن هذا الهدف،[4] وبذلك فشل المشروع الانجليزي أيضاً في احتلال كل السواحل اليمنية، والان حاول الادريسي ان يقود هجوماً جديداً ضد الاتراك بمساعدة محاربين من قبيلتي حاشد وبكيل، اللتين كانتا تقفان إلى جانب الامام يحيى طواعية، وقد املت هذه المجاميع من المحاربين ان تحصل على غنائم كبيرة من خلال العمل ضد الاتراك في تهامة. مدعمين من مقاتلين من يام تقدموا تحت قيادة منصور بن حمود،وابو مسمار، واحمد بن عبد الله بن بكري المرواني ضد الاتراك في وادي مور، غير أنهم ردوا على اعقابهم على الفور، وفقد الادريسي بعد ذلك انصاره في عبس الذين انضموا إلى العثمانيين[5].

وظلت الحالة كذلك بدون تغيير جوهري، حتى شن سير اللنبي هجوماً شاملاً وناجحاً ضد الجبهة التركية . الالمانية في 19 سبتمبر 1918،[6].

ففي نفس الوقت قذفت بشدة . كجزء من هذا الهجوم العام . المخاء، الحديدة، الصليف، اللحية[7].

والحديدة وحدها تعرضت للضرب من قبل 15 باخرة حربية بريطانية[8].

---

[1] قارن العقيلي ص 109 . 111.

[2] قارن بريموند ص 82 والعقيلي ص 111.

[3] قارن بريموند، ص 82 . 83.

[4] المصدر السابق ص 83 . 84، وقارن بيربى ص 90.

[5] قارن العقيلي ص 112.

[6] قارن: يقظة العرب، جيورجي انطنيوس (الترجمة العربية) دمشق، 1946، ص 2562 . 263.

[7] قارن العقيلي ص 112، والريحاني ص 259 واخرين.

[8] قارن اليمن، ماضيها وحاضرها، د. أحمد فخري، القاهرة 1957 ص 167.

وكان الادريسي قد اعد نفسه أيضاً لهذه الساعة الحاسمة، وقد زوده البريطانيون بأسلحة وذخائر، ومؤن كافية، وقد زحف انصاره . الذين كانوا يتلقون المشورة من ضابط بريطاني . إلى ابي حللق الواقع جنوب اللحية، وهكذا اخذ المركز الرئيسي للفصائل التركية في اللحية الذي كان يهاجم بحراً من البواخر الحربية البريطانية، وبراً من انصار الادريسي[1]. فقط بعد عقد الهدنة في 30 أكتوبر 1918 احتلت الحديدة من قبل البريطانيين[2].

لم يكن انهيار المملكة العثمانية والحكم الاستعماري التركي نتيجة الضربات العسكرية المدمرة التي كالتها لها القوى الامبريالية للحلفاء فقط، وبالذات بريطانيا العظمى، لقد كان السبب العميق لذلك تمثل بالدرجة الأولى في التركيب الاقتصادي . الاجتماعي القديم المستهلك للمملكة العثمانية. لقد اندلعت الحرب العالمية الأولى في وقت كانت حركة التحرير اليمنية المعادية للاتراك (لم اعالج هنا نضال اليمنيين في المنطقة الجبلية ضد الاتراك الذي كان اشمل واشد واصفي من نضالهم في تهامة) وحركة التحرر المعادية لهم في الجزيرة العربية، وفي غيرها من الاقاليم قد اضعفت فيه الحكم التركي، إلى حد انه لم يكن يحتاج الا إلى صدمة واحدة لتتمزق المملكة العثمانية تماماً. ولم يكن في امكان الدعم النشيط لتركيا من قبل ألمانيا الامبريالية ان يوقف عملية الانهيار هذه. وبذلك أيضاً أخفقت اهدافها التوسعية سواء في اليمن أو في غيرها من اجزاء المملكة العثمانية. لقد انتفض العرب ضد القهر الاستعماري التركي الذي اوجد شقاء مريعاً في بلادهم بهدف الحصول على حريتهم واستقلالهم، ان ذلك هو الذي مكن بريطانيا العظمى وحلفاءها قبل غيره من اختراق الجبهة التركية . الالمانية في كل مكان، لانهم دعموا هنا من قبل اقسام كبيرة من الشعوب العربية.

ولم تكن بريطانيا العظمى في كفاحها ضد المملكة العثمانية تتابع سوى مطامحها الاستعمارية الامبريالية، بينما كان اليمنيون وغيرهم من الشعوب العربية يكافحون من أجل التحرر من النير التركي، فقط. في ضوء وجهة النظر هذه يستطيع المرء ان يقيم كفاح الادريسي تقيماً صحيحاً، لقد اعتقد انه بتحالفه مع بريطانيا العظمى يستطيع ان يؤسس على انقاض الحكم العثماني في اليمن امارة مستقلة تحت زعامته،ولكن منذ اخلت بريطانيا بالمعاهدة بحملة عام 1916 على تسليم القنفذة إلى الشريف حسين، كان يجب ان تكون مشاريعها الحقيقية قد غدت مكشوفة له، غير انه انطلاقاً من موقفه المشروع آنفاً ازاء الامام يحيى، استنتج ان الامكانية الوحيدة لاقامة امارة ادريسية خاصة تتمثل فقط في استمرار التحالف مع بريطانيا.

---

[1] الريحاني ص 349.

[2] قارن رايللي ص 17، وآخرين.

وكانت النتيجة النهائية لهذه السياسة ان منطقة عسير وتهامة لم يتحقق لها الاستقلال، لقد حدث العكس، فالادريسي الذي كان خلال الحرب العالمية الأولى حليفاً لانجلترا اصبح بعد ذلك تابعاً لها.

الفصل الخامس

تأسيس الامارة الادريسية

لم يكن الامام يحيى وحده الذي حصل على مشاهدة مع انسحاب الاتراك من اليمن لتحقيق مشاريعه باستلامه الاسلحة والذخائر التي تركوها في البلاد، وانما أيضاً الادريسي، وكذلك منافسة أمير عسير السراة الحسن بن عائض. فقد تسلم الادريسي من الـ 3000 تركي التابعين لمتصرف عسير محي الدين،[1] الذين استسلموا في الميناء امام الانجليز 10 مدافع، 10 مدافع رشاشة، و800 بندقية، كما كان ابن عائض قد تسلم أيضاً في أبها 1000 صندوق ذخيرة، 7 مدافع، 6 مدافع رشاشة، 1550 بندقية، وكذلك 100 ضابط وجندي[2].

وكانت آخر وحدات تركية في اليمن مع نهاية الحرب العالمية الأولى كانت امام الامام يحيى مهمة توسيع امامته الصغيرة في شمال شرق البلاد. وكان تحقيق هذا الهدف ممكناً فقط من خلال الكفاح الذي لا ينتهي ضد القبائل، ضد الادريسي، ضد البريطانيين، وضد غيرهم من الخصوم، ولم يكن هناك طريق آخر من أجل خلق دولة يمنية حديثة موحدة، وكان اخطر خصوم الامام هم البريطانيون، وحليفهم الادريسي، والاخير كان في شمال البلاد قبل كل شيء هو اصعب خصم. وفي خط مواز للخطوات التي كان الامام يتخذها في اتجاه توسيع قاعدة حكمه نحو الشرق والغرب، والجنوب، كان الادريسي قد اتخذ خطوات حاسمة لتوسيع امارته. بعيد انسحاب الفصائل التركية انطلق اتباعه إلى داخل اليمن،حتى وصلا إلى بني قيس، اسفل جبل حجة. كل السهل الممتد عبر حجور إلى الخميسين في اتجاه شمال غرب سقط في يده،[3] وطبقاً لمفاوضات جديدة اعترفت بريطانيا العظمى بحكم الادريسي على المنطقة التي تمتد شمالاً إلى حلى بن يعقوب جنوب القنفذة[4] وتخلى له البريطانيون عن ميناء الصليف واللحية ومحيطها[5].

ولم يستطع الادريسي ان يقيم حكمه في عسير السراة الا بالاتفاق مع الامير الحسن بن علي بن عائض، الذي عين نائباً هناك[6].

---

[1] قارن العقيلي ص 117.

[2] قارن بريموند ص 85 . 86.

[3] قارن العقيلي ص 113.

[4] قارن بريموند ص 89.

[5] قارن العقيلي ص 118 . 119.

[6] قارن العقيلي ص 118 . 119.

ظلت انجلترا محتفظة بالحديدة لبعض الوقت، وكان هدف تحويل هذا الجزء الساحلي الهام إلى مستعمرة أمراً بالغ الصعوبة، فلم يكن الامام يحيى فقط ضد بقاء البريطانيين في الحديدة، وانما أيضاً سكان المدينة، وكثير من قبائل تهامة، الذين لم يكونوا يهاجمون الفصائل البريطانية الا نادراً، والذين جعلوا لذلك استمرار اقامتهم غير ممكن،[1] ومن هنا فإن الانجليز غادروا الحديدة في 31 يناير 1921، وسلموها إلى حليفهم الادريسي،[2] وانطلاقاً من الحديدة استولت قوات الادريسي بقيادة محمد طاهر رضوان على مناطق أوسع غرب صنعاء، مثل جبل برع، ريعة، عبال، باجل، وغيرها، وفي باجل رابط الجيش الجنوبي للادريسي تحت امرة محمد طاهر رضوان،[3] وبذلك تلامست حدود امارة الادريسي مع منطقة نفوذ الامام يحيى الجبلية، ووقفت جبهتان في وجه بعضهما البعض، كانتا تمتدان من باجل في الجنوب، إلى غرب صعدة، في الشمال، وعلى هذا الخط اشتعلت نزاعات مسلحة شديدة بين اتباع الامام واتباع الادريسي.

لقد اصاب تسليم الحديدة . وهي أهم ميناء في شمال اليمن، وبوابة صنعاء إلى العالم الخارجي . إلى محمد علي الادريسي، اصاب منطقة اليمن الجبلية بأضرار بالغة، إلى حد انه جعل من الصعب عليها اقامة صلة تجارية مع الخارج، والحصول على دخل مالي من خلال ذلك، والى حد ان هدد بناء الدولة الذي بدأ الامام في اقامته،[4] وهدد بتعطيل حركة التوحيد اليمنية.

لذلك فقط كان هدف ابن حميد الدين الأول هو الاستيلاء على الحديدة، وطرد الادريسي . الذي كان يعتبره اجنبياً، ودخيلاً على البلاد . من عسير ومن كل المناطق اليمنية الأخرى . عبثاً حاولت قواته اختراق الجبهة الادريسية، والنفاذ إلى تهامة في اتجاه الحديدة، طالما والامبريالية البريطانية التي اتيح لها خلال ذلك ان تحقق قيام امارة تابعة لها في تهامة وعسير تحت حكم الادريسي، والتي كان عليها ان تخدم كقاعدة لمشاريعها التوسعية في اليمن كلها، ولقد كانت تدعم الادريسي بالسلاح، والذخيرة، والنقود،[5] وكانت على استعداد لحمايته امام هذه الهجمات.

وكيف يستطيع الامام ان يستولي على الحديدة "وأنى له ذلك والانجليز اصدقاء الادريسي، وهم أصحاب السيادة في البحر الأحمر "[6] كما كتب أمين الريحاني.

---

[1] العقيلي ص 113، وقارن الريحاني (261 . 263).

[2] توبف ص 131، وتاريخ الشعوب الإسلامية (الترجمة العربية) كارل بروكلمان، الجزء الخامس بيروت ص 85.

[3] قارن العقيلي ص 113، والجرافي، ص 226، والريحاني ص 301، وآخرين.

[4] قارن أيضاً توبف ص 131.

[5] قارن "المقطم" عدد 12720، في 19 . 12 . 1930، والعظم ص 51، والريحاني ص 205.

[6] الريحاني ص 206.

ومن مركز القوة ارادت بريطانيا التفاوض مع الامام يحيى، بغية الوصول معه إلى اتفاق حول وضع الامارة الادريسية، وكانت الحديدة هي أهم مشروع لوحت له به، واغرته بقبوله، مقابل التنازل عن مطالبه على بقية أراضي الامارة، وكان تسليم الحديدة إلى الادريسي مثابة وسيلة ضغط عليه، ذلك ان انجلترا لم تتخل عن حقوقها الاستعمارية في الحديدة، واحتلال الادريسي للحديدة "مؤقت" إلى ان "يتقرر مصيرها الاخير" وليست بريطانيا "مرتبطة بأي شيء يحدد حريتها في هذا الصدد، سوى مادة واحدة في المعاهدة مع السيد الادريسي، تقره على أرض اخذها من الاتراك في أثناء الحرب"[1] وفي 8 يوليو 1922 أعلن المعتمد البريطاني في عدن استعداده، لترك الحديدة وكل الشريط الساحلي لتهامة، الذي كان قبل الاستسلام في يد الاتراك، ترك ذلك كله للامام، على اساس ان يعترف هذا بحكم محمد علي الادريسي على عسير، ويمكن انجاز قرارات مطابقة لذلك في مؤتمر ينبغي عقده في عدن أو الحديدة.

غير ان ابن حميد الدين ادرك الهدف البعيد للبريطانيين، فبمثل هذه الحيلة ارادوا تثبيت مكانة الادريسي، وصرف عن مهمته في الاستيلاء على عسير. "لاحق للانكليز لا قبل ولا بعد الدور العثماني في الحديدة". هكذا رد الامام يحيى على الممثل البريطاني في عدن، ونحن نهتم "ونحب صون بلادنا عن الذهاب" ولذلك فأنه "لا لزوم للمؤتمر، مهما كانت الحكومة الانكليزية تريد ذلك... وكل الصلح بيد الحكومة الانكليزية"[2].

وازاء رفض الامام يحيى للصلح مع محمد علي الادريسي وفق الشروط الاستعمارية التي قدمتها السلطات البريطانية في عدن، وازاء الدعم المستمر للامارة الادريسية من قبلها، فأن صاحب صبيا كان في الموضع الذي يمكنه من ايقاف الهجمات المتكررة لوحدات الامام. كانت الساحات الرئيسية للمعارك في باجل، وبرع حيث ظل محمد طاهر رضوان في معظمها منتصراً، لكم حاول جيش الامام انتزاع قلعة جبل برع، ليتحكم من هناك في الوضع كله، ولكن بدون طائل، وفي جبل صعفان قرب مناخة، وفي منطقة الجراح "حدثت معارك، تشيب من هولها الاطفال". وفي هذه المعارك لعبت الظروف الجغرافية دوراً هاماً، كان اتباع الامام الذين تعودوا على القتال في الجبال يطوحون باتباع الادريسي إلى تهامة، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون ان يثبتوا هنا، نظراً لأن التهاميين الذين تعودوا على حرارة الجو، وعلى القتال في الأرض السهلية كانوا يجعلون تقدمهم في السهل

---

[1] اقرأ البروتوكولات الخاصة بالنقاش الذي دار بين الأمير علي، نجل الشريف حسين، وبين رجل المخابرات البريطانية الكولونيل لورانس، والذي حدث في 7 . 9 . 1921، في: جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، القاهرة 1956، ص 370 . 372.

[2] الريحاني ص 207 . 208.

غير ممكن، وفي بعض الاحيان كان اتباع الامام . عندما كانوا يتوغلون إلى اسفل جبل صعفان يباغتون في الظهيرة من رجال الادريسي، ويقتلون عن بكرة ابيهم،[1] وقد ظلت كذلك اطراف حراز، وجبل برع، ومنطقة ريعة، ساحات حرب لا تتوقف إلى مطلع 1924[2].

واستطاع الادريسي الثبات أيضاً في الاطراف الشمالية لخط الجبهة . الملتهبة،[3] فقط في بداية سبتمبر 1922 اتيح لجيش الامام ان يستولي على جبل النظير، حيث كان يوجد المقر الصيفي للادريسي[4].

هناك خطابان بين الامام والادريسي يعبران عن وجهة نظر الجانبين ازاء القوى الاستعمارية، ففي مارس 1921 (19 . 56 . 1339هـ) كتب الامام إلى الادريسي: "اننا نرحب بسعي كل من يرجو الله في دفع الدسائس الاجنبية، وصون هذه البلاد العربية من تدخل الاجانب.. و والله لولا ان نرى تحتم القيام علينا بالدفاع عن عادية الكفار على هذه الاصقاع لما حركنا ساكنا." واردف الامام ان المقاصد الحقيقية للاجانب هي فرض "التسلط العام والسيطرة الشاملة على كل من قعد وقام، وبأنهم لا يدفعون الأموال والذخائر الا مقابل غرض عظيم، يعدون الاستفادة منه لدولتهم وملتهم، ولم يحملهم على اظهار عدواتنا الا عدم المساعدة لهم منا في بعض البلاد اليمنية، ولولا ذلك لما كان بيننا وبينهم ما كان وما في بعض البلاد اليمنية، ولولا ذلك ما كان بيننا وبينهم ما كان وما سيكون"[5] وفي ختام رسالته طالب الامام أمير جيزان بأن ينفصل عن الاجانب الذين رفعوا دعاوى على اليمن، ومطالب توسعية فيها.

لم يستطع الادريسي ان يجيب بأكثر من أن العرب لم يستطيعوا ان يغتنموا الفرصة خلال الحرب العالمية الأولى عندما "اعلنت بريطانيا مساعدة العرب، إذا ارادوا الاستقلال، دون تدخل في شيء من شؤونهم، ولكن مع الاسف انهم على آراء متفرقة، واهواء مختلفة، ومرت هذه الفرصة" وبذلك "اثبتوا على انفسهم عدم الرشد، فاحتقرتهم اعين العالم، وصاروا عرضة لانحطاط قوميتهم بين سائر الأمم .."[6]

---

[1] قارن (المقطم) عدد 1378، 24 . 5 . 1934، وعدد 13784، في 23 . 5 . 1934 والمقطم ص 65.

[2] العظم، ص 65.

[3] قارن العظم ص 65.

[4] قارن الجرافي ص 226.

[5] قارن العقيلي ص 113.

[6] اقرأ نص الرسالة لدى العقيلي ص 145 . 148.

لقد كان هذا الهجاء من قبل الادريسي مقصوداً به الامام بالذات، وقد اعتبر أمير جيزان سياسته ذكية بشكل خاص، فقد تحدث مفصحاً عن ذلك على هذا النحو: "انا رقصت الانكليز"![1].

ولكن الادريسي كان في الواقع منذ وقت طويل تابعاً لانجلترا، على ان الوضع تغير لصالح الامام، عندما توفي الأمير محمد علي الادريسي في 20 مارس 1923،[2] فقد استغل حاكم صنعاء التمزق الداخلي السريع في الامارة الادريسية والنزاعات العائلية المستمرة على السلطة فيها، واحتل عام 1925 تهامة الجنوبية كلها، من الحديدة إلى ميدي، وطوح الادراسة إلى عسير تهامة، وكان موشكاً على الاستيلاء على عسير تهامة، وعلى تصفية الامارة الادريسية التابعة، عندما تدخل ابن سعود.

فابن سعود الذي . بعد احتلاله لعسير السراة والحجاز . قويت شوكته واشتد ضغطه من الشمال والشرق، وضع ما تبقى من امارة الادارسة في 21 أكتوبر 1926 تحت حمايته، وبذلك نشأت نزاعات مستمرة بينه وبين الامام يحيى، كانت الحرب اليمنية . السعودية عام 1934 ذروتها العليا، وذلك ما سنتولى بسطه وتحليله في الباب التالي.

الباب الثاني

مطامع ابن سعود التوسعية

في الاراضي اليمنية

1934 . 1919

الفصل الأول

فصل ابن عائض لعسير السراة والحملة السعودية الأولى والثانية لاخضاع المنطقة

وجد الحسن بن[3] علي بن عائض الذي حكمت عائلته عسير قبل احتلالها الاخير من قبل الاتراك، والذي كان مساعداً لمتصرف عسير التركي عام 1911إلى نهاية الحرب العالمية الاولى، وجد نفسه قد وضع في الظل، نظراً لانه لم يستطع ان يكون أكثر من نائب عامل للادريسي في ابها عاصمة عسير السراة، ولم يكن وضع كهذا ملائماً لامير نبيل كابن عائض، وبقناعة بأنه سوف

---

[1] الريحاني ص 333.

[2] تويف ص 122، "المقطم" عدد 13740، في 1 . 4 . 1934 (مقالة لامين سعيد).

[3] ذكر العقيلي في صفحة 119 ان هذا هو الحسن بن محمد، ولكن ذلك غير صحيح،وانا استند في هذا القطع إلى متصرف عسير أيضاً كمالي باشان والى فؤاد حمزة، والى دونكان، والى فايسل والى غيرهم، (انظر كمالي باشا) "الاهرام" عدد 14521 في 19 . 11 . 1924، وحمزة، في بلاد عسير، القاهرة 1951 ص 102، 110، 121، وروبرت دونكان نهوض البلاد العربية، ليبزج، 1935، ص 149، وفايس ص 281.

يدعم من قبل قبائله العسيرية الجبلية بدأ ابن عائض في النصف الثاني لعام 1919 يضع نفسه في موقف مضاد لمحمد علي، كان الحسن بن عائض يطمح إلى الانفصال عن الادريسي، وان يحكم هو لنفسه عسير السراة، وان يغدو ذات يوم فوق ذلك كله سيد عسير كلها، وفي أول الأمر اوضح لمندوب أمير جيزان إبراهيم الشوكاني بأنه
القائمة التالية حول شجرة ال عائض جمعها في ضوء المعلومات المستقاة من فؤاد حمزة ص102.

غير مستعد لدفع زكاة عسير السراة، وفي نفس القوت منع نقل الاسلحة،[1] والذخائر التي بقيت، وتركها الاتراك في ابها، منع نقلها عن طريق مندوب الادريسي هذا.

قام شريف مكة الحسين الذي بينه وبين الادريسي عداء مستحكم، والذي كان يطمع أيضاً إلى مد سلطانه إلى عسير، قام بتحريض ابن عائض للانتفاض على الادريسي، واثار ضده عدداً من المشائخ، وبصورة خاصة اولئك المشائخ من بني شهر، الذين كانت بينه وبينهم صلة قرابة.

والحسن بن عائض الذي كان قد أصبح صديقاً لشريف مكة منذ عام 1911، بعد ان عين مساعداً لمتصرف عسير، بناء على اقتراح من الشريف، اجرى اتصالات مع الحسين من أجل كسر حكم الادريسي في عسير السراة كمرحلة اولى، وقد قام بالمفاوضات مع الشريف ابن عمه محمد بن علي بن عائض،[2] وكان هدف الحسين من التعاون مع ابن عارض هو العمل بسرعة ضد اعدائه كابن سعود، والادريسي، وعلى امل ان تقدم له عسير السراة ذات الوضعية الجبلية قاعدة استراتيجية ممتازة لمشاريعه التوسعية في اتجاه اليمن ونجد، فانه وعد محمد بن علي بن عائض بالمساعدة والدعم، وقد وعد ابن عارض من جانبه بشن الكفاح ضد الادريسي الوهابيين. وبعد الاتفاق على كل ذلك كر عائداً إلى ابها.[3]س بعد ذلك ارسل الحسن بن علي بن عائض وفداً إلى الادريسي لابلاغه بأن الاتفاق الذي تم بينهما بأن يكون نائباً للادريسي في ابها لم يعد يعترف به.

قام محمد علي الادريسي باعتقال الوفد، وقطع طريق المواصلات بين عسير السراة، والساحل وضرب حصاراً على جبال عسير التي كان يعتمد سكانها على الاستيراد من مينائي ميدي وجيزان، غير ان الاجراء بدأ بدون اثر، حيث ان ابن عائض عوض ذلك عن طريق الاعتماد على ميناء القنفذة الذي كان بيد شريف مكة.

---

[1] قارن العقيلي ص 120، ودونكان ص 149.

[2] العقيلي ص 130، "المقطم" عدد 11455، في 5 . 11 . 1926، (من مقال حول عسير).

[3] قارن العقيلي 120، ودونكان ص 149، كتب دونكان على نفس الصفحة ان الشريف منح ابن عائض 25000 جنيه استرليني، ومثل هذا الرأي دعم من قبل فايسل في ص 251 من المصدر السابق.

وبتحريض من ابن عائض بدأ شيخ محايل أول عمل حربي، حيث هاجم بمحاربيه الحامية الادريسية التي كانت مرابطة في منطقته، والتي كان يتكون معظمها من رجال صوماليين، فسقطت قلتها الهامة، وقتل 24 من أفراد حاميتها، وجرح 12 منهم، واستسلم الباقون.[1]

جهز الادريسي جيشاً بقيادة وزيره حمود سرداب الحازمي، مدعماً بالفصائل النظامية التي كانت تحت امرة الضابط التركي سليم بك، وزحفت القوة على عسير السراة، وعندما بلغت سفح تهلل، هجمت على فصائل ابن عائض التي كانت مرابطة هناك، ودار قتال انتهى بانتصار ابن عارض، بينما انسحبت قوات الادريسي المضروبة إلى مركز الشعبين.[2]

وبذلك تمكن ابن عائض من الاستقلال بكل عسير السراة، وعندما وجد محمد علي الادريسي نفسه مهدداً من الجنوب الشرقي عن طريق الامام يحيى، ومن الشمال والشرق عن طريق الشريف حسين، وحليفه ابن عائض، توجه طالباً مساعدة ابن سعود.

كان أبعد سعود يراقب الحوادث في هذا الوقت بانتباه خاص، وقام بتحرض الوهابيين من بين العسيريين لاحباط مشاريع ابن عائض، بدأت العناصر العسيرية الموالية لسلطان نجد في نقد الحسن بن عائض، بحجة انه لا يعيش حياة الوهابيين الورعة، وعندما ضاق بهم أمير عسير السراة، اخذ يتتبعهم ويضطرهم إلى الخضوع له[3]: وجد النداء الذي وجهه أمير جيزان صداه المنتظر لدى عبد العزيز آل سعود، لأن هذا كان يفكر باستمرار في وضع يده على عسير السراة، قبل ان يكون الامام يحيى، والشريف حسين قد بسطا سلطانهما عليه، لقد عرف ان التحكم في هذا الجسر الارضي الجبلي الفائق الاهمية، سوف يمكنه من مراقبة مجرى الاحداث التاريخية في الجزيرة العربية كلها، وتحديد مسارها، والتحكم فيها، وقطع الطريق على الشريف حسين، والامام يحيى من بلوغ عسير، وعزل الحجاز أيضاً من خلال ذلك، وتطويقه واحتلال عسير السراة يمكن ان يقدم "افضل مفتاح لاحتلال الحجاز، والاماكن المقدسة أيضاً، وان يشكل كذلك منصة الوثوب ونقطة الانطلاق للتوسع في اتجاه تهامة اليمن في الغرب، ونجران في الشرق"[4] لكل هذه الأسباب مجتمعة، استجاب عبد العزيز لطلب الادريسي بسرعة، وارسل بعثة إلى محمد علي الادريسي إلى جيزان، عاصمة امارته، كان على رأسه نجلة فيصل بن عبد العزيز، وخلال المفاوضات تمكن الوفد السعودي من تحقيق شروطه، واحلامه، ففي الحجة 1338هـ (21 أغسطس 1920) عقد

---

[1] قارن العقيلي ص 121.

[2] المصدر السابق.

[3] قارن دنكان ص 149، والعقيلي ص121.

[4] قارن كمالي باشا، الاهرام، عدد 14520، في 7 . 11 . 1924.

في صبيا ما أسمي بمعاهدة الصداقة بين الجانبين، موقع عليها من قبل محمد علي الادريسي من ناحية، وعبد الله محمد الراشد، وناصر بن حمد الجار الله، وفيصل بن عبد العزيز من ناحية أخرى،[1] وطبقاً للاتفاقية اتفق الفريقان على ان "تكون اليد واحدة على اعداء الدين" وتنازل الادريسي للامام عبد العزيز عن القبائل الآتية مع مناطقها: وادعة، قطحان، رفيدة، عبيدة، . بما في ذلك بني بشر، وبني طلق . شهران، بني شهر غامد، عسير غامد، قضاء محايل، بما في ذلك بني ثوعة، أهل بارق، ترقش وغيرها، أي كل عسير السراة تقريباً، وكذلك أيضاً منطقة حلى من عسير تهامة. واحتفظ علي الادريسي . فيما عدا تهامة . بمنطقة قبيلة رجال المع من عسير السراة، والتي تقع في اسفل عسير السراة من ناحية الغرب.

واعلن الفريقان انهما لن يرفعا دعاوى على ما تحت يد كل منهما.[2] وهكذا فإن الادريسي الضعيف تخلى عن عسير الجبلية مع سكانها اليمنيين الثائرين الذين هددوا عرشه، وسلمها إلى ابن سعود، حتى يخضع هذا انتفاضتها، وليتملكها، وعلى امل ان يتمكن الادريسي من ان يحافظ على ما تبقى من امارته في تهامة من الامام يحيى، والشريف حسين، وبذلك اراد ان يحمل على صداقة ومعاضدة الرجل القوى، عبد العزيز.

بعد عقد الاتفاقية ارسل ابن سعود وفداً إلى ابن عائض، طلب منه ان يتوجه حسب نائح عبد العزيز، وان يمتثل لامره، وقد رد الحسين بن عائض على الوفد السعودي بقوله: "إذا لم يكف ابن سعود ورجاله عن المداخلة مع قبائل عسير فانني سأجهز على بيشة، واستولى عليها"[3] كانت بيشه هذه تمثل الحدود الجنوبية لنجد مع اقليم عسير اليمني.

---

[1] قارن الكتاب الاخضر السعودي بيان عن العلاقات بنى المملكة العربية السعودية والامام يحيى، مكة، 1934 ص 177 . 178، وتاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، صلاح الدين المختار، الجزء الثاني، بيروت 1957، ص 400، و"المقطم" عدد 13784، في 23 . 5 . 1934 (مقالة لامين سعيد) والدولة العربية الكبرى، امين سعيد، الجزء الاول، القاهرة 1936 ص 383.

[2] تنص الاتفاقية أيضاً على تخلي الادريسي عن يام . أي نجران . وعن بني جماعة، وسحار لصالح ابن سعود (اقرأ نص المعاهدة في الكتاب الاخضر السعودي) الانف الذكر (وثيقة رقم 54) ص 177 . 178 والمختار، ص 399 . 400، وقارن أيضاً "المقطم" عدد 11239 في 17 . 2 . 1926 وعدد 13784، في 23 . 5 . 1934. ان مما يدعو إلى العجب حقاً ان يتناول الادريسي لابن سعود عن المناطق المذكورة (نجران، بني جماعة، سحار) ذلك لانه . أي الادريسي . لم يحكم هذه المناطق لا قبل الحرب العالمية الأولى ولا بعدها، ان السبب لذلك يكمن من ناحية في انه كان للادريسي نفوذ معين في بعض الاحيان في هذه المناطق، ومن ناحية أخرى لانه اراد بذلك شد ابن سعود إلى جانبه في الكفاح ضد الامام يحيى، وان كان تسليم عسير في ذاته كان كافياً لخلق مشاكل بين الامام يحيى وعبد العزيز.

[3] قلب جزيرة العرب: فؤاد حمزة، القاهرة 1933 ص 356، 387، نفس الرد يمكن قراءته لدى المختار ص 260.

بعد ذلك اعد ابن سعود في مايو 1921 قوة تتكون من 2000 رجل تحت رئاسة ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي[1] رسالة إلى ابن عائض، طالبه فيها بالخضوع لابن سعود، كان جواب الحسن بن عائض على هذا الطلب ان بعث إلى القائد السعودي مشطاً من الرصاص،[2] وهو ما كان يعني لدى هذه القبائل العربية علامة استعداد للانقضاض على العدو، وزحف أمير عسير السراة مع محاربي قبائله اليمنية إلى حجلة، لمواجهة الفصائل السعودية، وهنا حدثت حرب ضروس بين الإخوان . قبائل البدو السعودية . وبين رجال عسير الشجعان. خسر ابن عائض الحرب، وتكبد اتباعه هزيمة قاسية، ودمرت الحجيلة من قبل البدو والمتعصبين من الإخوان ، والذين حصلوا على غنائم كبيرة،[3] ونتيجة لذلك انتقلت بعض قبائل عسير إلى جانب بن جلوي، وعاد الحسن بن عائض مع الذين بقوا معهما من المحاربين اليمنيين إلى ابها، على الرغم من ان ابها كانت محصنة على نحو جيد، الا انها كانت تنقصها المدافع اللازمة لذلك، والمدافعون الكافون لها، ولذلك فانها لم تستطع الثبات طويلاً في وجه هجمات الإخوان الشديدة والقوية، وهكذا اخذت المدينة عنوة، ودمرت معالمها، وبيوتها، وآبارها، ولقد اضر احتلال الإخوان البدو بالمنطقة ضرراً بالغاً ومن جميع الوجوه،[4] وهرب الحسن بن عائض ومحمد بن عائض إلى حصتهم حرملة الذي كان قائماً على رأس قمة، والذي كان بسبب طرقه الوعرة وغير المعروفة غير قابل للوصول إليه من قبل الغزاة، وفر بعض اعضاء عائلة الحسن بن عائض إلى تهامة، غير انه قبض عليهم من قبل رجال الادريسي، وارسلوا مع الوفد العسيري الذي كان قد اسر من قبل، والذي سلف الحديث عنه، إلى ابن جلوي،وفي نفس الوقت اتيح للوهابيين احتلال عسير السراة كله تقريباً، بما في ذلك

---

[1] قارن حمزة ص 356، 387، وتاريخ المملكة العربية السعودية، د. حسن سليمان، والسيد محمد ابراهيم، القاهرة 1958، ص 282 و"المقطم" عدد 13740، في 1 . 4 . 1934 (مقال لامين سعيد) وصقر الجزيرة، أحمد عبد الغفور عطار، الجزء الثاني، مكة 1364 (1945)، والمختار ص 260.

غير ان صلاح الدين المختار، وعبد الغفور عطار يريان ان ارسال القوة قد تم في شعبان 1338هـ (ابريل 1920) وقد اعتبرت ذلك غير محتمل، ذلك ان ارسال حملة مجهزة لاحتلال عسير لم يحدث الا بعد عقد معاهدة الصادقة في 16 الحجة 1338 (31 . 8 . 1920) وقد كتب امين سعيد حول ذلك بوضوح: "بعد عقد المعاهدة من جانب السيد محمد ووفد ابن سعود ارسل ابن سعود قوة بقيادة عبد العزيز بن مساعد لاحتلال عسير والارض الجديدة التي وقعت الآن ضمن مجاله" (امين سعيد، المقطم. عدد 13784)، في 23 . 5 . 1934.

[2] قارن العقيلي ص 122.

[3] قارن: في بلاد عسير، فؤاد حمزة، القاهرة 1951 ص 97، وعطار ص 338، والمختار ص 261.

[4] قارن حمزة، ص188، والعقيلي ص 123، و "الامام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود" سيد عبد الحميد الخطيب، الجزء الأول، القاهرة 1951 ص 36.

محايل، بني شهر، غامد، وعندما وجد الحسن بن عائض وابن عمه ان الأرض قد سحبت تحت اقدامهما، فأنهما استسلما للقائد الوهابي، الذي احضرهم إلى ابن سعود[1] وقد آثر السلطان الوهابي عبد العزيز الا يعامل اميري عسير كمهزومين، لانه اراد اكتسابهما لنفسه. ليتمكن بمساعدتهما من الهيمنة على عسير السراة، ولهذا فانه عين احسن بن عائض معاوناً لحاكمه الوهابي في ابها،[2] بعد حوالي شهر اقامة في الرياض عاد الحسن ومحمد إلى عسير السراة. فوراً بدأ ابن عائض الذي لم يتخل عن امله في انتزاع بلاده من الحاكم النجدي مرة أخرى بمطالبة ابن سعود بعزل الأمير الوهابي من ابها شويش الضويحي، وبعزل خلفه أيضاً عبد الله بن سويلم، وبعد ذلك غادر المدينة متجهاً إلى حصنه حرملة، من حيث اجرى اتصالاً مع شريف مكة. ولان الشريف حسين كان ما يزال يطمح إلى اثارة عسير، فانه وعد ابن عائض بتقديم المساعدة والدعم.

حالاً اشتعلت انتفاضة في بني شهر البعيدة عن ابها جهة الشمال، حيث كان للشريف نفوذ على بعض مشائخها، ارسل الحاكم الوهابي الجديد نجدة من ابها إلى عامله السعودي في بني شهر، غير انه هزم من محاربي المنطقة، وعلى الفور انقض ابن عائض من حرملة على ابها، والتي حوصرت من قبل رجال عسير 10 أيام . انهارت مقاومة الحامية السعودية، واستسلم الحاكم الوهابي الجديد فهد العقيلي مع فصائله لابن عائض وقام الأمير العسيري الذي أصبح الآن من جديد سيد الموقف بطرد الغزاة السعوديين، من ابها إلى نجد، وحمل شيخ محايل سليمان بن مخالد على طرد الحامية السعودية الموجودة هناك، غير انه ما كادت الفصائل الوهابية تصل إلى شهران شمال غرب ابها، حتى قامت بتجميع قواها من جديد، وبدأت المقاومة هناك، وقد اتيح للمحاربين اليمنيين من العسيريين كسر المقاومة، واحراق مركز الوهابيين الرئيسي في خميس مشيط، واسر فهد العقيلي بالذات، وبذلك تمكن ابن عائض من استعادة كل عسير السراة.[3]

خشي ابن سعود الذي حقق حتى الآن انتصارات كبيرة ضد اعدائه في نجد والحجاز من انتصار الأمير اليمني في عسير سيشجع كل خصومه في منطقة شمر والحجاز للنهوض للكفاح من جديد ضده، ولذا فانه عزم على استعادة عسير الثائرة والهامة بكل ما في يده من قوة، وفي شوال

---

[1] قارن العقيلي ص 123، وحمزة، قلب جزيرة العرب، القاهرة 1933 ص 356، 387، والمختار ص 261 . 262، وعطار ص 338، و"المقطم" عدد 13740، في 1 . 4 . 1934 (مقال لامين سعيد).

[2] قارن عطار ص 339، والخطيب ص 36، والتيارات العربية، عبد الجبار عبد الله، القاهرة 1959، ص 95، يقع الدكتور حسن سليمان والسيد محمد إبراهيم في خطأ، عندما يكتبان في ص 82 من المصدر الاسبق ان محمد بن عائض . وليس "حسن" . هو الذي عين معاوناً في أبها، هو القائد السياسي وأمير عسير، ولذلك فانه ينبغي ان يكون الأولى بأن يعين في هذا المنصب.

[3] المختار ص 262 والعقيلي ص 123 . 124، 194.

1340هـ (يونيه 1922) أرسل حملة جديدة تتكون من أكثر من 10000 بقيادة ابنه فيصل، قام محاربوا بني شهر بمواجهته إلى بيشه، حيث بدأ الكفاح، وحسم لصالح الوهابيين، وقتل 200 من العسيريين. قام ابن عائض الذي كان قد تقدم مع اتباعه إلى خميس مشيط بعملية انسحاب إلى حجلة، حيث اتخذ مواقعه الدفاعية، ومن جديد كانت حجلة ساحة حرب ضارية بين العسيريين والوهابيين، وقد اتيح للقوة السعودية المتفرقة هذه المرة أيضاً ان تقهر المحاربين الثائرين بكل قسوة. وللمرة الثانية انسحب الحسن بن علي بن عائض مع الفصائل التي بقيت معه إلى ابها. تقدمت القوة السعودية إلى الامام،واستولت على مدن وقرى عسير السراة، وفي شهر صفر 1341هـ (سبتمبر 1922) قام فيصل بعملية انتقام دموية مروعة، وقد اعتبرت ابها مدينة معادية، واخضعت ونهبت بكل شراسة، ودمرت البيوت والقلاع التي تحيط بها، وغدا هذا الاضطهاد، والسلب، والتدمير الضاري والخشن والفظ لعمران والاهالي عسير في ابنها ولاملاكهم مثلاً سياراً على الوحشية ليس في عسير فحسب، وانما في اليمن كلها.[1]

وخلال ذلك كان الادريسي يتعاون عسكرياً مع الوهابيين، فقد ارسل قوة بقيادة مصطفى النعمي حاكم رجال المع إلى محايل، حيث قامت باطفاء أحد مواقد الانتفاضة هنا،بينما هرب شيخ محايل سليمان بن مخالد إلى الحجاز، في الوقت الذي سويت فيه بيوته بالارض،[2] واثناء الاستيلاء على ابها انسحب الحسن بن عائض وابن عمه محمد إلى قلعتهم العالية في حرملة.

وقبل احتلال ابها كانا قد كتبا إلى الادريسي مطالبين اياه بنسيان الماضي نهائياً، وان يهب نفسه للقضية المشتركة، قضية انقاذ عسير من الغزاة الوهابيين، فإذا ما وافق على ذلك فانهما لعسير السراة.

لم يجرؤ ابن ادريس الضعيف على ان يلبي هذا النداء عسكرياً، وكتب في مطلع الحجة 1340هـ (26 يوليه 1922) رسالة إلى ابن سعود، عبر فيها عن رغبته، بأن يترك له السلطان الوهابي عسير السراة، وفي 25 صفر 1341 (17 أكتوبر 1922) تسلم رسالة جوابية حادة من عبد العزيز، حذره فيها من الانقياد لاصحاب الفتنة في عسير الذين رفضوا . حسب قوله . "الطاعة" ومن التعلق بالاوهام، أو نقض الاتفاق الذي تم من قبل، فإذا ما تمسك الادريسي برأيه، فإن عليه ان

---

[1] اسد الجزيرة قال لي، محمد رفعت، القاهرة ص 134، والمختار، ص 263، وعطار ص339 . 341، وكذلك د. حسن سليمان، وسيد محمد إبراهيم ص 282 وحمزة ص 356 . 387 وفؤاد حمزة، في بلاد عسير، القاهرة 1951 ص 118 . 119 وفايسل ص 281، و"المقطم" عدد 1145، في 5 . 11 . 1926..

كتب فايسل في نفس الصفحة "حصل ابن سعود على عشرين في المائة من الغنيمة كنصيب شرعي".

[2] قارن العقيلي ص 149

يبلغ ابن سعود بذلك، وفي ختام رسالته شدد عبد العزيز على ضرورة ان يتشاور الادريسي مع فيصل.[1]

في ذعر انحنى الادريسي الضعيف لهذا الانذار، وترك عسير السراة لابن سعود من جديد، وفوق ذلك فانه ساعد على القضاء على انتفاضة ابن عائض.

لم يعد مع الحسن بن علي عائض سوى الدفاع عن مصيره في قلته حرملة، التي دافعت وصمدت حرملة حوالي ست ساعات امام الحصار الذي ضرب عليها من الفصائل السعودية المهاجمة، وقدر ابن عائض بأنه لا معنى له ان يمكث وقتاً أطول في قلعته، ذلك لأن عسير السراة كلها تقريباً كانت قد سقطت في يد الوهابيين، وكان عليه ان يفر مع ابن عمه إلى حليفه الشريف حسين.

وخلال ذلك امكن السعوديين بمساعدة بعض العسيريين بلوغ حصن حرلة، غير انهم لم يجدوا على أي حال ابن عائض هناك، وقد صبوا حام غضبهم على حرملة التي قاموا بتهديمها.[2]

طلب ابن عائض مساعدة الشريف، ولان هذا لم يتخل عن آماله في انتزاع عسير السراة من الوهابيين مرة أخرى، فقد وضع تحت تصرف الأمير العسيري حملة عسكرية، حيث بعث إلى عسير 200 جندي من الجيش النظامي مجهزين بالمدافع والبنادق، والمدافع الرشاشة، تحت قيادة الملازم الثاني حمدي بك، وكانت القوة مصحوبة بمحاربين من القبائل بزعامة حاكم القنفذة، وقائدها الشريف عبد الله بن حمة الفعر، ومن جانبه ارسل فيصل بن عبد العزيز بعض قواته إلى تهامة لاعتراض ملة. ولكنها لم تستطع الصمود امام قوة الشريف، واضطرت إلى التقهقر، وتقدم الشريف عبد الله صوب ابها، غير انه لم يكن ممكناً الوصول إلى اتفاق بينه وبين الملازم الثاني حمدي بك حول الطريق الافضل الذي ينبغي اجتيازه، وبرغم تحذير الضابط اصر الشريف على السير في الطريق الذي وقع عليه اختياره. اراد الوهابيون الذين كانوا على علم جيد بالمسيرة ان يستفيدوا من هذه الغلطة التكتيكية، وهكذا فأنهم نصبوا كميناً لقوة الشريف، وعندما وصلت إلى نقطة لا تبعد عن ابها كثيراً، انقضت عليها الفصائل السعودية المختفية فجأة، ومزقت الحملة الشريفية شر ممزق، فقط مع البقية الباقية من الرجال تمكن الشريف الملازم الثاني حمدي بك من النجاة بالهرب إلى تهامة، ولم يتح لهم الحصول على لحظة تنفس في بارق، حيث ظلت الفصائل السعودية تتعقبهم

---

[1] العقيلي أيضاً، واقرأ لديه في ص 150 . 151 نص رسالة ابن سعود الادريسي.

[2] قارن حمزة، ص 121، وحمزة، قلب جزيرة العرب، ص 256 . 387، وكذلك المختار ص 263 . 624، وعطار ص 341 . 343، والخطيب ص 37 ، والعقيلي ص 124.

بدون توقف، ومن بارق لاذوا بالفرار إلى القنفذة.[1] بعد هذا النصر الساحق، وبعد ان اعاد فيصل هيمنة ابيه في عسير السراة، عين سعيد بن عفيصان اميراً هناك، بينما عاد فيصل في 21 جمادي الأول 1341 (8 . 1 . 1923) إلى الرياض[2].

ولكن لا ابن عائض ولا ابن الشريف مال إلى قبل هذه الهزيمة وكلف أمير مكة حاكمه في القنفذة عبد الله بن حمزة الفعر بأن يعبئ محاربين لصالح الحسن وابن عمه محمد،ومن تهامة تحركا على رأس الفصائل المجندة، والمزودة بالبنادق والمدافع نحو ابها. كان ابن سعود على علم بهذا التحرك وكلف شيخ عشيرة عبيدة القوى المنحدرة عشيرته من قبيلة قحطان، والذي كان متعاوناً معه بأن يعلن تضامنه مع الحاميات السعودية المرابطة في ابنها، وان يتصدى لجيش ابن عائض، وهكذا ارسل ابن عفيصان قوة محاربة مدعمة بمحاربين قبائليين تابعين لشيخ عبيدة، متروك بن شفلوت، وقد تمكنت من دحر حملة ابن عائض، قبل ان تقترب من ابها، وهرب الحسن بن علي بن عائض ومحمد بن عائض هذه المرة أيضاً إلى تهامة[3].

لم يرد ابن عائض رغم الاخفاقات المتتالية ان يلقي السلاح من يده، وبدأ يعد نفسه للكفاح من جديد لخوض مغامرة جديدة، ولم يتوقف كذلك شريف مكة عن دعمه، ومن بني شهر اشتعلت انتفاضة تحت قيادة الشيخ الكبير لبني شهر الشبيلي بتحريض من الحسن، ودعم من الشريف ضد الاحتلال السعودي. ولم تكن الحاميات في عسير في الوضع الذي يمكنها من المقاومة، حالاً ارسل ابن سعود محاربيه من الإخوان إلى اميره الجديد عبد العزيز بن إبراهيم للعمل سوياً مع الحاميات المرابطة في عسير السراة من أجل القضاء على انتفاضة بني شهر وعلى احتمالات تطورها في اتجاه خطر.[4]

في هذا الوقت العصيب توجه إلى مكة 2000 حاج من المنطقة الجبلية للمملكة اليمنية،وقد سافروا عبر الطريق الاعتيادي الذي يمر ببلاد بني شهر، وعندما بلغوا في حوالي النصف الثاني من أغسطس 1923 وادي التنومة الواقع في بني شهر، احاط بهم الفرسان والمشاة السعوديون برئاسة عبد العزيز إبراهيم بحجة انهم لابد ان يكونوا نجدة مرسلة من الامام يحيى إلى شريف مكة، وقد

---

[1] عطار ص 343 . 344، والمختار ص 363 . 264 والخطيب ص 37، وحمزة ص 386، وعبد الجبار ص 95، ود. حسن سليمان محمود وسيد محمد إبراهيم ص 282.

يرتكب الاخيران خطأ عندما يكتبان في نفس الصفحة بأن عبد الله الفعر هو شريف الحجاز.

[2] قارن عطار ص 344، والمختار ص 264، والخطيب ص 37.

[3] قارن عطار ص 344.

[4] قارن عطار ص 344، ومجلة "الفتح" عدد 392، في 12 . 1 . 1353 (25 . 4 . 1934) (مقالة لمحب الدين الخطيب).

قتل الحجاج اليمنيون من قبل الإخوان عن بكرة ابيهم، باستثناء 5 أو 6 افلتوا من نفس المصير، واخذت اموالهم كغنيمة، ولم يعرف الالم له حدوداً في اليمن، ان هذه الدراما التي تركت اثراً حزيناً ضخماً في اليمن كلها لم تحدث بدون اوامر من ابن سعود، وتشجيع الاستعمار البريطاني الذي حبذ احتلال عسير السراة من قبل ابن سعود.[1]

---

[1] قارن الواسعي، الطبعة الاولى، 264، والكرملي ص 93، وجريدة "البلاغ" عدد 3347، في 30 . 9 . 1933، (من برقية الامام يحيى إلى محمد اديب عبد العزيز محرر جريدة الرابطة الإسلامية في القاهرة) و(المقطم) عدد 11363، 10 . 7 . 1926، لا توجد معلومات صحيحة حول التاريخ المحدد، فحافظ وهبة يكتب في ص 275 من مؤلفه السابق ان ذلك حدث عام 1919، بينما كتب الواسعي ص 264، والاب انستاس الكرملي في ص 93، ونزيه مؤيد العظم في ص 218 . 219 ان ذلك حدث في 1340هـ (أي في 1921 . 1922م) وذكر ايمن سعيد ان الحجاج قتلوا عام 1921 (المقطم، عدد 13785، في 24 . 5 . 1934) وهو نفس التاريخ الذي اورده في كتابه (اليمن) القاهرة 1951 (ص76) غير ان 1341هـ (1922 . 1923) وهو نفس التاريخ الذي حددته أيضاً جريدة المقطم، عدد 11455، في 5 . 11 . 1926.

والتاريخ الاخير هو الذي يقترب من الحقيقة، وفي أول الأمر اريد ان اميل إلى الرأي بأن الحجاج سافروا من المملكة المتوكلية اليمنية في الشهر الذي يسافر فيه الحجاج اليمنيون على اقدامهم عادة، ولكن الحادث يجب ان يكون قد جرى في العشرة الأيام الأولى لشهر محرم عام 1922 (أي في النصف الثاني لشهر أغسطس 1923) ان البرهان على ذلك هو ان الحاكم السعودي السابق لعسير السراة ابن عفيصان توفي عام 1342هـ(1923) وتلاه في المنصب عبد العزيز بن إبراهيم الذي يتحمل ذنب هذه الدراما، ولان الحجاج ينبغي ان يكونا قبل عشرة محرم 1342هـ في مكة فيجب ان تكون المأساة قد حدثت في العشرة الأولى لهذا الشهر، (أي بين 14 و 24 أغسطس 1923) وكتب العظم في ص 220 (ولدى بحثي الدقيق في اليمن والحجاز ونجد ومصر مع اناس مسؤولين أي موظفين في هذه الحكومات وواقفين على بواطن الأمور، واناس غير مسؤولين، ولكنهم يتتبعون حوادث البلاد العربية باهتمام كثير، عن الأسباب الحقيقية التي حدت بالاخوان الوهابيين لاغتيال هذا العدد العظيم من الناس، وهم ذاهبون إلى بيت الله الحرام، تحققت ان لبعض الاجانب ضلعا في هذه المؤامرة، وقد كانوا يتوخون منها اثارة الفتنة بين الملك عبد العزيز والامام يحيى، وامتداد نار الحرب من الحجاز إلى اليمن، وقالوا لجلالة الملك عبد العزيز باساليب شتى وعن طرق عديدة وبواسطة اناس كثيرون بأن جلالة الملك حسين رحمه الله استنجد بالامام يحيى ليقاتل معه، فاعتذر الامام عن الدخول في الحرب بصورة رسمية علنية، ولكنه اوفد هذه الخمسة الالاف أو السبعة آلاف نسمة بصورة حجاج لكي يتطوعوا في الجيش الحجازي، ويقاتلوا ابن السعود تحت راية الحسين، ويظهر ان جلالة الملك عبد العزيز قد اخذ بهذه الدعاية الباطلة، وامر جنده من الإخوان بأن يبيدوا هؤلاء الناس عن بكرة ابيهم..."

اريد اولاً ان انفي هنا ان يكون الامام قد ارسل هذه الجموع لمعاضدة الشريف حسين إلى الحجاز أو سير، ولو كانوا قد بعثوا بقصد الحرب لكانوا جاءوا مسلحين، وكل المؤلفين الذين اشرت اليهم تقريباً يمثلون الرأي بأن هذه الالف من الرجال كانت بدون سلاح.

بعدئذ استمر القتال بين الوهابيين وبني شهر، وقد تمكن الوهابيون بعد معارك دامية من الانتصار على بني شهر.[1]

في هذا الوقت كان ابن عارض قد غدا مستعداً للقتال، كان شريف مكة قد عمل من اجل تجنيد سرايا جديدة لصالح الحسن بن عائض، وخلال مسيرته إلى ابن عائض جماعات الهاربين من بني شهر، وقد بلغ في تقدمه إلى محايل، وعندما اراد مواصلة السير اكتشف ان عبد العزيز بن إبراهيم قد ارسل قوات سعودية سارعت إلى احتلال الطريق الهام (تيه) أو طريق (شعار)، أدرك الحسن ان الطريق إلى ابها غدا الآن مقطوعاً، وغدا المضي فيه إلى الامام يعني خطراً جاداً، بل ويمكن ان يكون انتحاراً، ولا سيما ان محاربيه وجدوا انفسهم عملياً تحت نيران الفصائل السعودية التي تتحكم من شعار في الوضع كله،ولذلك فانه اثر سحب محاربيه من محايل إلى القنفذة، والقاء السلاح نهائياً والى الابد، ومن حصنه في حرملة الذي توجه إليه مع ابن عمه محمد دعا عبد العزيز بن إبراهيم واستسلم له، وذهب مع الحاكم الوهابي إلى عبد العزيز بن إبراهيم واستسلم له، وذهب مع الحاكم الوهابي إلى ابها، ومن هناك اخذ مع محمد بن عائض إلى الرياض، حيث امضى بقية حياته كمعتقل.[2]

وبذلك اتيح لابن سعود ان يمج حكمه من جديد إلى عسير السراة، أي من الحدود الشمالية للمكلة اليمنية إلى حدود الزهران والقنفذة، حيث منطقة نفوذ الشريف حسين، والى الحدود الغربية الشمالية لعسير تهامة في مواجهة الامارة الادريسية، والتي كانت منطقة حلى منها ضمن دائرة الحكم السعودي، وعلى هذا النحو أصبح عسير السراة بعاصمته ابها ملحقاً تابعاً لنجد.[3]

وهكذا فإن محمد الادريسي الذي كان يريد ابعاد المخاطر المحتلمة للتطويح به من تهامة أيضاً عن طريق ابن عائض والشريف حسين غدا الآن في مواجهة مخاطر أكبر واكثر جدية بعد احتلال الفصائل الوهابية لعسير السراة، ولتتجنب هذه المخاطر الجديدة كان على الادريسي ان يكافح جنباً إلى جنب مع السعوديين ضد ابن عائض وضد الشريف، وان يمتثل لنصائح سلطان نجد، وان ينقاد له في آخر الأمر. بتخليه عن عسير السراة لصالح ابن سعود وضع ابن ادريس نفسه في المكان الصعب، ووضع ما تبقى من امارته في تهامة على كف عفريت.

---

[1] قارن مجلة "الفتح" القاهرية، عدد 392، في 12 . 1 . 1353 (25 . 4 . 1934) وعطار ص 344.

[2] قارن عطار ص 344 . 345، والعقيلي ص 124.

[3] قارن حمزة ص 387، وتويف ص 124، والاهرام، عدد 17706، في 24 . 3 . 1934.

ولكن هل كان بامكان صاحب جيزان ان يتصرف على نحو آخر؟ ان يقصى الادريسي من عرشه من قبل ابن عائض والشريف حسين فإن ذلك لم يكن محتملاً إلى حد بعيد، ذلك لأن الادريسي والشريف كانا سواء بسواء حليفين لبريطانيا العظمى.

وكان الادريسي بالذات هو الرجل الأول في اليمن الذي كانت انجلترا تستخدمه في الصراع ضد يحيى حميد الدين، ومن أجل ذلك كانت تزوده بالسلاح والذخيرة، وفوق ذلك فإن بريطانيا العظمى التزمت منذ الحرب العالمية الأولى ووفق معاهدة ابريل 1915 بأن تحمي امارة الادريسي من أي هجوم بحري. وان تستعمل كل الوسائل السياسية وان تهتم بحل كل المشاكل بينه وبين خصومه.[1]

وقد كرر رجل المخابرات البريطانية الكولونيل لورانس هذا الموقف الذي التزمت به بريطانيا العظمى ازاء الادريسي بعبارات واضحة للأمير علي نجل الشريف، وذلك في 7 سبتمبر 1921، حيث قال له ان انجلترا قد اعطت الادريسي وفق مادة تضمنتها المعاهدة الآنفة الذكر الحق بان يحكم كل أرض اخذها من الاتراك أثناء الحرب، واوضح الكولونيل لورانس للامير علي في نفس الوقت ان "بريطانيا العظمى لم تعترف ولن تعترف الآن بأي سيادة في عسير"[2] من هذا العرض يتضح بأن انجلترا ما كان لها ان تقبل باسقاط الادريسي في تهامة عن طريق الشريف أو ابن عائض، وانها لم تعترف بحكم الادريسي في عسير السراة، مسببة ذلك بالقول بأن الادريسي لم ينتزع هذه المنطقة بالوسائل العسكرية من الاتراك.

ومن ذلك يمكن ان نستنتج اولاً بأن الادريسي الذي كانت امارته تحت حماية بريطانيا العظمى لم يكن يملك بأي حال من الأحوال الحق في التخلي عن عسير السراة، أي عن جزء من اليمن لصالح ابن سعود، فتلك لم تكن غلطة مدمرة قاتلة من الادريسي فحسب، وانما أيضاً خيانة وطنية، ومن هنا نفهم لماذا كان الامام يحيى يتهم الادريسي باستمرار ويعتبر انه لايملك أي حق في اليمن، وانه كان هنا مجرد اجنبي فيها.[3]

ومن ناحية أخرى فقد سمحت بريطانيا العظمى لابن سعود باحتلال عسير السراة، لتغرس بذلك سفودا في لحم اليمن من جبهة الشمال، ولتغري بذلك أيضاً عبد العزيز القوى بأن يوجه من هناك رأس حربته ضد خصم البريطانيين العنيد الامام يحيى، ان تدقيق الملاحظات التي اوردها نزيه مؤيد العظم من ان وراء اغتيال 3000 حاج يمني في تنومة كانت تقف اوساط اجنبية سيقودنا إلى التالي:

---

[1] قارن نقاط المعاهدة لدى العقيلي ص 114.

[2] اقرأ بروتوكول بين الامير علي والكوونيل لورانس لدى حافظ وهبة ص 370 ـ 372.

[3] قارن الريحاني ص 308، والعقيلي ص 200.

لا يمكن ان يكون المؤلف قد قصد بهذه الاوساط الاجنبية أحد غير بريطانيا العظمى، ذلك لانه لم تكن توجد في الجزيرة العربية أي قوة استعمارية أخرى لها اليد الطولى فيها، وكان ابن سعود متحالفاً معها غير بريطانيا العظمى. وكان الاستعماريون على وعي بأن الشريف حسين الضعيف لم يكن في الوضع الذي يمكنه من حكم عسير السراة، ومن ان يشكل من هناك خطراً حقيقياً على الامام يحيى وعلى وحدة اليمن، ولم يكن هناك أمير عربي في الجزيرة العربية عدا ابن سعود كان قادراً ومستعداً لأن ينهض بهذه المهمة، مهمة اقتطاع الاراضي اليمنية من اطرافها، وتهديد مشروع الوحدة اليمنية الذي كان يراود ابن حميد الدين.

ولقد ارتكب الحسن بن عائض غلطة ضخمة، عندما تحالف مع الشريف حسين الضعيف ضد الادريسي، كان على ابن عائض ان يستخلص الاستنتاج المنطقي من الهزيمة الكبرى التي مني بها جيش الشريف الذي كان مكوناً من 10000 من البدو و 4000 من الجنود المجهزين الحديثين، والذي كان تحت قيادة ابنه عبد الله في 24 مايو 1919 على يد اتباع ابن سعود الذين كانوا برئاسة خالد ابن لؤي، ملك الهية المعروفة التي تمت في التربة[1] أي في مكان لا يبعد كثيراً عن منطقة نفوذ ابن عائض، لقد كان ذلك وحده كافياً ليمنع أمير عسير السراة من التعاون مع رجل واهن القوة كشريف مكة.

والان يطرح السؤال الطبيعي نفسه، وهو ما هو الموقف الذي اتخذه يحيى حميد الدين حيال هذه الاحداث؟ كتب فايسل: 'كان الامام يحيى بعد نهاية الحرب العالمية للحظة في وضع يستطيع منه ان ينتزع منه حكم العربية "الجزيرة العربية" لنفسه" ذلك ان الانجليز كانوا في هذا الوقت متعبين.[2] لم يتوجه الامام . في رأينا . بروح الشعار الذي رفعه (اليمن لليمنيين) والا فأين كان عندما استولى ابن سعود على عسير السراة،[3] نعم ساءت العلاقات بشكل ملحوظ بين الامام وبين عبد العزيز عندما احتل هذا عسير السراة،[4] ولكن هل كان ابن حميد الدين في المكان الذي يتيح له ان يحول بين سلطان نجد وبين الاستيلاء على عسير السراة؟

---

[1] قارن: تكون الدولة العربية المركزة الموحدة بزعامة ابن سعود، (1902 . 1932) ليبرزج، 258 ص 57، ووهبة ص 39، وحمزة ص 324.

[2] فايسل ص209.

[3] قارن "المقطم" عدد 13588، في 4 . 10 . 1933 (من مقالة للتفتازاني).

[4] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص 1، وبيهم ص 214 و"عبد الله فيلبي" . ترجمة جون فيلبي رجل المخابرات البريطانية لدى ابن سعود ومستشاره . تأليف خيري حماد، بيروت 1961 ص 214، والمقطم عدد 11363 في 10 . 7 . 1926 ودونكان ص 236.

في واقع الأمر كان ابن حميد الدين في هذا الوقت في نزاع مستمر مع البريطانيين في جنوب البلاد،ومع حليفهم الادريسي في غربها، وقبل كل شيء كان الامام مهتماً بانتزاع الحديدة من الادريسي، وهي الميناء الوحيد الذي كانت الحاجة إليه ملحة، والذي كان يصل اليمن بالعالم الخارجي، وكانت عسير السراة جزءاً من الامارة الادريسية التي كان صاحب صنعاء يريد تصفيتها، حقاً تمرد ابن عائض، وفصل عسير السراة عن الامارة الادريسية، غير ان الحسن بن عائض لم يتوجه إلى يحيى حميد الدين، للتعاون معه على تصفية ما تبقى من الامارة الادريسية. وانما تحالف مع شريف مكة الذي كان طامحاً إلى توسيع سلطانه إلى بعض الاجزاء اليمنية. ولولا ان الحسن قد تحالف مع الامام لكان قد وفر على اليمن . بما في ذلك عسير كلها . كثيراً من المحن، كان المضي المشترك بين ابن حميد الدين وابن عائض سيقود ليس فقط إلى وضع نهاية لامارة الادارسة التابعة للبريطانيين، والى دفعها على طريق تجنيب اليمن من استمرار حالة التمزق، والى دفعها على طريق التوحيد.

ولكن الامام الزيدي المعتقد لم يكن مرغوباً من الأمير السني ابن عائض، لانه ما كان ليحتمل وجود امارة تحت حكم ابن عائض داخل امامته، ولانه كان يريد ان تكون يده هي العليا في البلاد، ويريد ان يكون سيد اليمن غير المنازل.

ومن هنا فإن الحسن بن عائض فضل صديقه القديم الضعيف، شريف مكة، وقد قاد ذلك إلى الفشل الذريع لكل مشاريعه، وفي هذه الحالة لم تكن قوى الامام كافية، لمنع الشريف حسين من التدخل في شؤون عسير، وللوقوف في وجه ابن سعود، وانقاذ عسير السراة من الوقوع تحت وطأة الاحتلال السعودي.

كانت ايادي الامام مشدودة الوثاق عندما سمع باغتيال3000 حاج من مملكته، ذلك لانه كان عليه ان يحل معضلات كانت ملتهبة مع البريطانيين، ومع الادريسي، نعم حدث تبادل للرسائل بين الامام وابن سعود فور اغتيال الحجاج اليمنيين، وبعد الاستيلاء على سعير السراة، وبالنسبة لاغتيال الحجاج فقد اعتذر السلطان الوهابي لدى ابن حميد الدين، وابلغه بأنه مستعد ان يدفع الدية، وقد ترك الامام له حسم هذه المسألة، من حيث انه جعله حكماً فيها، غير ان عبد العزيز لم يبت في القضية.[1] وقد ارسل في نفس السنة، أي عام 1923، وفداً فقط، كان يتألف من ضابط وشيخ للوصول مع يحيى إلى اتفاق، ولان ابن حميد كان منصرفاً إلى مشاغل مع بريطانيا العظمى

---

[1] قارن المقطم عدد 11455، في 5 . 11 . 1926، "البلاغ" القاهرية أيضاً، عدد 3247، في 30 . 9 . 1933، (من برقية من الامام يحيى إلى محمد اديب عبد العزيز، محرر جريدة الرابطة الإسلامية) والمقطم عدد 13785، في 24 . 5 . 1934 (من مقالة لامين سعدي).

والادراسة، فقط ترك أمر الوصول إلى اتفاق حول عسير السراة للوقت، ووضع مسألة اغتيال الحجاج في المقدمة، ومع ذلك لم يحدث أي تفاهم حول هذه المسألة، وعاد الوفد السعودي دون الوصول إلى نتيجة.[1]

كان الامام يحيى يرى ان عليه ان يحل مشاكله اولاً مع الادراسة قبل ان يتمكن من الوقوف في وجه ابن سعود، ولان عبد العزيز قبل ان يتمكن من الوقوف في وجه ابن سعود، ولان عبد العزيز نفسه غداً أيضاً طامحاً لانتزاع ما تبقى من الامارة الادريسية في تهامة. وكان الصراع . لهذا السبب . يدور بين يحيى وسلطان نجد على تهامة أكثر ما يدور على عسير السراة التي كان الأمير الوهابي قد بسط يده عليها.

خلاصة القول ان فصل عسير السراة من امارة الادريسي لم يكن عائداً فحسب، إلى طموح ابن عائض في ان يقيم هنا امارة خاصة به، وانما أيضاً إلى واقع ان قبائل عسير السراة كانت قد انفصلت عن الادريسي منذ 1911 . 1912، عندما تعاون هذا تعاوناً وثيقاً مع الاستعمار الايطالي، والمقاومة العنيدة التي انجزتها تحت قيادة الحسن بن عائض قبائل عسي السراة الشجاعة، والجسورة على الموت ضد الفصائل الوهابية كانت استمراراً متصلاً للكفاحات التاريخية التي قادتها عسير ضد الاحتلال السعودي الأول في مطلع القرن 19، وكانت تعبيراً عن التقاليد الثورية للشعب اليمني، ولا سيما تقاليده الكفاحية في مواجهة خط التوسع الإقليمي السعودي تجاه اراضيه اليمنية.

واذا ما كانت مقاومة عسير السراة قد انهارت فإن السبب لذلك يعود من ناحية إلى تفوق قوة ابن سعود، وتعود من ناحية أخرى إلى خيانة الادريسي، الذي لم يتخل للسلطان الوهابي عن عسير السراة فحسب، وانما أيضاً عاضده في اخضاع قبائل هذا الاقليم الشمالي الجبلي من اليمن.

الفصل الثاني

صراع الادراسة على العرش وتمزق امارتهم

محمد علي ادريس مؤسس الامارة الادريسية الذي توفي في 20 مارس 1923 لم يعين خلفاً له، وقد ترك أمر حل هذه المسألة المعقدة لمجلس العائلة الذي كان ينبغي عليه ان يتولى اختيار الخلف[2] وقد اتجه رأي المجلس في البداية إلى اختيار اخي المتوفي، وهو الحسن بن علي الادريسي الذي كان معروفاً بالورع، ومخافة ان يؤدي انتخابه إلى نزاع عائلي بينه وبين اولاد محمد علي، ينبغي ان يكون قد اثر الابتعاد عن اعتلاء كرسي الامارة.

---

[1] قارن المقطم عدد 211363 في 10 . 7 . 1926.

[2] قارن فايسل حمر ص 270 . 271، وتويف ص 122.

وينبغي ان يكون قد زكى موقفه ذاتياً بأسباب انه لا يرغب في الانصراف بهذا المنصب الدنيوي عن اعماله الدينية الأكثر اهمية[1]. وفي الاجتماع الذي عقد في صبيان والذي شارك فيه إلى جانب العائلة شخصيات أخرى من الامارة، وبعد جدل مثير وطويل، تمت في مارس 1923 مبايعة علي الادريسي، الابن الأكبر لمحمد علي الادريسي والبالغ من العمر 18 عاماً، (ولد في 1905) كامام،[2]

غير أنه في مثل هذا الظرف ظهر عمه الكبير السيد مصطفى، الذي ابان حياة محمد علي لعب دوراً قيادياً في مكافحة الاتراك.

والذي عين حاكماً للمنطقة الجنوبية[3] من الامارة منذ انسحاب الاتراك إلى محمد علي، وقد جاء هذه المرة في 23 شعبان 1341هـ (1923/4/10) قادماً من الاقصر (بمصر)، لم يكن مصطفى الادريسي العنصر الرئيسي في العائلة الادريسية، وانما أيضاً العضو الذي تربطه بانجلترا اوثق صداقة مصطفى الادريسي بالبريطانيين إلى الوقت الذي كان فيه مصطفى ابان الحرب العالمية الأولى مقيماً في مصر، وقد استدعي أيضاً من قبل محمد علي إلى اليمن للتفاوض مع الانجليز حول عقد المعاهدة البريطانية . الادريسية لعام .1915[4]

لم يكن . من ناحية أخرى . علي بن محمد الأمير الجديد والحدث للامارة . صاحب تجارب في هذا المجال، ولهذا فإن صعوده على عرش الامارة لم يكن حدثاً ساراً بالنسبة للبريطانيين، ولحجب مآربه فانه . أي مصطفى . قام في البداية بمبايعة الأمير علي، غير انه لم يمض وقت طويل حتى نزع مصطفى الادريسي القناع عن وجهه،وقد عبر عن عدم رضاه في صعود علي بن محمد إلى العرش على نحو مكشوف، واقترح على مجلس العائلة انزال علي الادريسي عن العرش، ووضعه تحت الوصاية، وارساله إلى مصر لمواصلة دراسته في الازهر، وفي مكانة ينبغي وضع شخص آخر مقتدر من العائلة.[5]

ان هذه المعارضة الحادة من قبل مصطفى الادريسي لا يمكن ارجاعها فحسب إلى مطامح ذاتية، وانما أيضاً إلى تحرض له من قبل البريطانيين، وينبغي ان يكون علي الادريسي قد أدرك ان وراء معارضة مصطفى كانت تقف بريطانيا العظمى، ولهذا فانه لم يكن مما يدعو إلى العجب ان يتخذ

---

[1] قارن الريحاني ص 302، فايسل ص 250، وتويف ص 122 . 123.

[2] قارن الريحاني ص 302 والعقيلي ص 245 . 246، والمقطم عدد 13783، في 22 . 5 . 1934(مقال لامين سعيد).

[3] قان العقيلي ص246 . 247.

[4] قارن "المقتطف" الجزء 78، في 1 . 3 . 1931، (من مقال للكاتب الاسترالي فريديريكروبرتس)

[5] قارن العقيلي ص 246 . 247.

الأمير علي موقفاً عدائياً ازاء البريطانيين،[1] وان يتوقف البريطانيون عن تقديم المساعدة والدعم له، كما كانوا يفعلون مع والده،[2] واكثر من ذلك، فانه على الرغم من التزام ابيه المتوفى وفق المعاهدة البريطانية . الادريسية لعام 1917 بعدم اعطاء أي شركة أخرى عدى الشركات البريطانية امتياز استخراج واستغلال مصادر البترول المقدر تواجدها في جزيرة فرسان[3] فإن الأمير علي . على العكس من ذلك . رفض ان يبيع الانجليز هذا الامتياز البترولي، عندما ارسلوا إليه لغرض الجنرال هولمز [4] وهكذا قاد مصطفى الادريسي . مدعوماً من البريطانيين . سياسة معارضة نشطة ضد الأمير علي. وقد ادت دعاية مصطفى إلى اختلافات في الرأي في امارة الادراسة، بل والى انقسام في الموقف السياسي للقبائل، وقد وجدت دعايته صداها الايجابي لدى جماعة مهمة من رجالات الامارة الاوائل الذين يقف على رأسهم محمد يحيى باصهى الذي كان الوزير الأول في بلاط محمد علي الادريسي، وكان أكبر تاجر في الامارة، وكانت تضم هذه الجماعة المؤثرة محمد حيدر القنى رئيس المحكمة العليا، ومحمد طاهر رضوان الآمر الأعلى للجيش الجنوبي المواجه لجيش المملكة المتوكلية اليمنية على خط الجبهة الامامي . الادريسي وفي نفس الوقت كسب مصطفى إلى جانبه كل مشائخ وزعماء تهامة الجنوبية تقريباً حيث كان يحكم من قبل، امثال شيخ الواعظات الكبير هادي هيج، وشيخ عبس الكبير وغيرهم، ولكنه لم يستطع ان يحصل على تأييد قبائل عسير تهامة بالذات، التي بقى جزء منها على ولائه للامير علي، مثل قبيلة المسارحة القوية، التي كانت تنتمي إليها أم اخيه عبد الوهاب ومثل قبائل أبو عريش، الضمد، الحكمية، الحسيني، أي معظم قبائل عسير تهامة، وكان بعض مشائخ صبيا والمنطقة الشمالية من عسير تهامة يرون جعل علي الادريسي تحت وصاية الحسن أخ الامير المتوفي، على ان يبقى مصطفى في منصبه حاكماً لتهامة الجنوبية.[5]

غادر مصطفى الادريسي العاصمة صبيا، واتجه إلى الجنوب لتهيئة مشائخ المنطقة هناك للانتفاضة ضد الأمير علي. ولهذا الغرض فأنه كان يزور بتكرار مدن الموانئ الهامة جيزان، ميدي. اللحية،وعندما برح الأمير علي صبيا قاصداً الجنوب في 8 شوال 1341هـ (24/مايو 1923) لمتابعة دسائس مصطفى ضده عن كثب، وبلغ ميدي في 30 شوال 1341هـ (29 مايو

---

[1] قارن فايسل ص 210، 212.

[2] د. فخري ص 168.

[3] قارن الريحاني ص 219، و"البلاغ" عدد 3506 في 17 . 6 . 1934.

[4] قارن المقطم. عدد 11347، في 25 . 6 . 1926.

[5] قارن العقيلي ص 247 . 248.

1923) أدرك جيداً انه امام وضع ناشئ مهدد، وسادت بينه وبين كل العائلة تقريباً حالة من سوء الثقة، شملت حتى عمه الحسن، الذي غدا هو أيضاً طامحاً للوصول إلى السلطة واكتشف أيضاً ان كل رجالات الامارة مشتركون في المؤامرة المبيتة ولحماية نفسه قام بتزويج القبائل التي ما تزال موالية له بالسلاح والذخيرة،[1] وبدأ يمارس حكماً شخصياً تحكيماً لا مبالياً زاد في زعزعة الموقف السياسي الخارجي الضعيف لبلاده، واحدث في الداخل وضعاً اقتصادياً فاسداً غير محتمل،[2] وفي البادية تمكن من وضع جماعة مصطفى،وجماعة الحسن في الظلال، وكبحهما عن اطلاق العنان للانتفاضة الجاري التحضير لها.

وفي أبريل 1924 ظهر سخط مصطفى والحسن معاً،[3] واتحد حزباهما، وقررا خطف الأمير علي خلال حفل ذكرى وفاة الجد الكبير، مؤسس الطريقة، أحمد بن ادريس، فإذا ما نجحت المؤامرة فسيكون الحسن وصياً على علي، ومصطفى نائباً له في تهامة الجنوبية، ولكن الأمير علي كان قد احيط علماً بالمؤامرة، فشارك في الاحتفال، ولكنه غادره قبل بدء ممارسة الطقوس الدينية، وتوجه على الفور إلى جيزان، وفشلت المؤامرة، وقام بتحصين مدينة جيزان، التي كانت توجد بها مستودعات الذخيرة، وكلف خاله من أمه محمد هارون بالدفاع عن المدينة، وبدأ بتعبئة انصاره، ورابط سليم بك قائد الكتيبة النظامية في الحفائر، حيث كانت توجد الآبار، وحشدت القبائل المصارحة، الحكمى أبو عريش في معسكر الواصلي الرئيسي، من حيث اراد الزحف نحو صبيا، وكان المتآمرون بلا حول ولا قوة، فقد عزل مصطفى الادريسي بوجودة في صبيا . عن اتباعه في تهامة الجنوبية، وكانت قبائل المنطقة الشمالية من صبيا التي كان يعتمد عليها

الحسن غير قادرة وحدها لايقاف زحف الأمير ولهذا فضل الحسن ومصطفى التصالح معه، ومن صبيا توجها على رأس جموعها وجموع المنطقة الشمالية وضمد إلى معسكر الامام علي في الواصلي، حيث عقد اجتماع شارك فيه أعضاء العائلة، ورجالات الامارة، وزعماء المخلاف السليماني، وهنا ابرم صلح بين الطرفين، واعترف الحسن ومصطفى بعلي كامام، وبايعاه من جديد، وعين مصطفى نائباً للامير في تهامة الجنوبية واعلن عفو عام.[4]

وبذلك أتيح للامير الشاب مؤقتاً ان يوقف النزاع على العرش، وأن يحول دون سقوطه.

---

[1] العقيلي ص 248 . 250.

[2] تويف ص 122 . 123.

[3] المصدر السابق و"المقطم" عدد 11210، في 14 . 1 . 1926.

[4] قارن العقيلي ص 250 . 254، و"المقطم" السابق.

وخلال هذا الوقت الذي كانت فيه عملية تدهور الاوضاع في الامارة الادريسية تسير على قدم وساق شددت السلطات السعودية في عسير السراة من تدخلها في الشؤون الداخلية للامارة.[1] وفي اغلب الأمر ان ابن سعود حليف البريطانيين قد وقف خلال النزاعات الانفة الذكر إلى جانب مصطفى والحسن، ذلك ان العلاقات بينه وبين الأمير علي كانت سيئة بشكل ملحوظ[2] وادرك شريف مكة الوضع الضعيف الذي وحدت الامارة الادريسية نفسها فيه،وقبل قليل من طرده من الحجاز من قبل ابن سعود وضع مشروع معاهدة بينه وبين الادارسة[3] لم يستهدف منه فحسب وضع الامارة الادريسية المزعومة المترنحة والمهددة من قبل ابن سعود والامام يحيى تحت سيطرته، وانما شكل أيضاً مظاهرة شريفية . انجليزية عامة ضد الامام يحيى ومحاولة خبيثة لزيادة اليمن تفتتاً، فقد نص مشروع المعاهدة من جملة ما نص عليه على النقاط التالية:

ينبغي قيام "امارة شافعية"تكون عاصمتها "تعز"، ويكون "نقيل سمارة" حدودها الشمالية، بحيث يكون الحد الفاصل بين المنطقة الزيدية، والمنطقة الشافعية التي تمتد حدودها الجنوبية (كأمرة شافعية) إلى حدود سلطنة الحوشبى، والتي تبدأ حدودها الغربية من مدينة بيك الفقيه في تهامة، على ان يكون المخاء هو ميناء الامارة وبذلك تضم الامارة الشافعية لواء تعز، ولواء آب (خلال الحكم التركي كانت متصرفية تعز) ويجب ان تضم أيضاً سلطنة يافع العليا، والسفلى، وامارة الضالع، ومشيخة العلوى، والصبحية.

ان من الملاحظ ان هذه الامارة الشافعية المشرع لقيامها تكون . بالذات . من مناطق كانت من ناحية أجزاء من المملكة المتوكلية اليمنية، ومن ناحية أخرى من مناطق امارات وسلطنات، ومشيخات كان الامام يحيى قد انتزعها بالفعل من البريطانيين، باستثناء يافع السفلى وبعض اجزاء من يافع العليا، التي كانت ما تزال تحت حكم الاستعمار البريطاني، وباستثناء الصبحية التي كان جنود الامام قد اخلوها.

لم يقترح مشروع المعاهدة بأن يكون أمير هذه الامارة أحد أولاد الشريف، ولكن يظهر منه تماماً ان هذا ينبغي ان يكون من عائلته، وعلى هذه الامارة الشافعية الجديدة ان تصل إلى اتفاقات مع امارة الادراسة، بحيث . على سبيل المثال . تكون هناك وحدة في الشؤون العسكرية والاقتصادية.

وطبقاً لمشروع المعاهدة فستكون كل من سلطنة لحج وسلطنة حضرموت مربوطة بالامارة الشافعية الجديدة، على ان تمتد حدود سلطنة لحج إلى حضرموت، بحيث تشمل سلطنة الفضلى، والحوشبي،

---

[1]

[2] فايسل ص 271.

[3] قارن: خمسون عاماً في جزيرة العرب، حافظ وهبة، القاهرة 1960 ص77.

وامارة العوائق، ومشيخة القطيبي، وما جاورها من المشيخات والقبائل الاخرى، وحسب نص المشروع فأن مناطق "سلطنتي لحج وحضرموت والمناطق الجديدة التابعة لكل منهما ستتبع في جميع امورها السياسية ومعاملاتها.. هذه الامارة،بدلاً من الحكومة الحامية" على ان "تكون تعز (عدن) كما في الحاضر، مدينة تجارية، ومركزاً لاقامة المندوب السامي البريطاني، وتحل مشكلة عدن، وما جاورها مثل الشيخ عثمان في مجلس الحلف العربي" وعلى ان يعترف كل من سلطان حضرموت، ولحج بملك الحجاز كملك على العرب كافة "ويبايع جلالته في المستقبل بمقام الخلافة الاسلامية، إذا اقرها الحلف العربي" وعلى ان يرسلا وفدين مع وفد الامارة الشافعية الجديدة إلى مجلس الحلف العربي في الحجاز، الذي يملك حق تعيين سلاطين سلطنتي حضرموت ولحج، والذين يصدق على تعيينهم ملك العرب "وتتعهد الامارتان

المكذورتان. الحج وحضرموت بتنفيذ جميع القرارات والخطط التي رسمها أمير الامارة الجديدة فيما يتعلق بنهضة البلاد ورقيها" ويقرر مبدأ اقتصادي عام بين الامارات المذكورة يكون كدستور للتعاون على كل ما من شأنه انهاض البلاد اقتصادياً، و"توحد العملة والمسكوكات، وتضرب باسم جلالة ملك العرب، حسبما يقرر فيما بعد" وتوحد شؤون الجندية والتربية والتعليم. اضافة إلى الاقتصاد. كما توحد التعريفة الجمركية في الامارات المذكورة، ويوحد البريد، وتسعير طوابع الحجاز، ويشمل التوحيد حتى الزي الوطني، ويعترف بالعلم الحجازي العربي الحالي علماً عربياً عاماً. وتلغى الرايات الحاضرة، و"تقرأ خطبة الجمعة" "باسم جلالة ملك العرب في مدن وامصار هذه الامارات كافة"، وتوافق وتتعهد امارة لحج والامارة الجديدة على قبول مد السكة الحديد الحالية في عدن ولحج إلى داخلية البلاد، و"يؤلف مجلس خاص يسمى فيما بعد وبشكل من هيئات رسمية معينة من قبل امارة لحج وحضرموت، ويرسل إلى عاصمة الامارة الجديدة للنظر في الأمور المحلية، والمشاكل والعلاقات الخارجية، عن صلاحية مجلس الحلف العربي، ويعقد اجتماعاً سنوياً، مدته تقرر فيما بعد" و"على الامارة الجديدة والامارتين لحج وحضرموت تنفيذ قرارات مجلس الحلف العربي" و"لا يجوز لكلتا الامارتين لحج وحضرموت مخابرة أمير من امراء الجزيرة العربية في شأن من الشؤون السياسية، وفيما يتعلق بادارة البلاد، ويكون المرجع في مثل هذه الأمور أمير الامارة الجديدة، فإذا وقع اختلاف بينهم وبينه ترفع المسألة للاعتاب الهاشمية أو مجلس الحلف العربي في المستقبل" و"يحق للامارة الجديدة قبول قناصل الدول الاجنبية التجاريين فقط، في تعز ومخا"[1]

وهنا ينتصب السؤال فيما إذا كانت أصابع بريطانيا العظمى قد لعبت عند وضع مشروع هذه المعاهدة، وفي مبدأ الأمر اريد ان أشير إلى ان شريف مكة الذي أعلن نفسه ملكاً على العرب كان

---

[1] اقرأ نص مشروع المعاهدة وما يتعلق بها لدى حافظ وهبة المصدر السابق ص 78 . 83.

طموحاً منذ نهاية الحرب العالمية الأولى إلى وضع المنطقة الاضافية من اليمن تحت سلطانه، ولم يقف البريطانيون ضد هذه المطامح، طالما وهي لا تتسع لتمس منطقة محمياتها ونفوذها، وخلال حياة محمد علي الادريسي الذي كان يجمع في يده خيوط وحدة الامارة والذي كان يديرها بنجاح ويقود كل قبائل الامارة خلفه فأن بريطانيا العظمى حالت بين الشريف وبين محاولة توسيع نطاق سلطانه في اتجاه الامارة الادريسية.

غير ان الامارة غدت تدار الآن من قبل الأمير الضعيف علي ابن محمد الادريسي المعادي للبريطانيين، والذي عادى أيضاً حتى ابن سعود،ومحاولات مصطفى الادريسي، والحسن الادريسي في خلعه قد فشلت، ولم يبق من حلفاء بريطانيا سوى الشريف حسين، الذي ارادت من خلاله ان تعيد فرض نفوذها في امارة الادراسة من جديد، وفي هذا الصدد يجب الاشارة إلى المقترحات البريطانية التي قدمت إلى الأمام يحيى في ديسمبر 1923، والتي رغب الانجليز بمقتضاها في الاعتراف بابن حميد الدين حاكماً على اليمن كلها، بما في ذلك لحج وحضرموت، ومقابل ذلك كان ينبغي عليه ان يعطي البريطانيين امتيازات اقتصادية، وحقوقاً تجارية خاصة في اليمن، وان يسمح لهم بمد خط السكة الحديد عدن . لحج عبر الضالع وتعز إلى صنعاء، ومن المعروف ان الامام يحيى كان حذراً من "الاجنبي" ومخافة فقدان سلطانه المطلق على يد البريطانيين فقد رفض هذه المقترحات (انظر بريمدوند ص 90 . 91، وفاروقي ص 60، والاهرام، عدد 1474 في 6 . 2 . 1924).

ومشروع المعاهدة الانف الذكر الذي قدمه الشريف حسين احتوى من جملة ما احتوى عليه "روح" الاقتراحات البريطانية التي قدمت إلى الامام يحيى والتي اريد لها ان تأخذ في حالة قبولها صبغة معاهدة بينها وبينه، لذلك فأنه يمكن ان تقدر بأن السلطات البريطانية أوعزت إلى عملائها في الحجاز ولدى الشريف . بعد ان رفض يحيى حميد الدين هذه الاقتراحات البريطانية، وبعد ان غدت الامارة الادريسية المزعومة واقعة تحت تهديده المباشر . بأن يدفعوا شريف مكة إلى التفاوض مع الادارسة حول مشروع هذه المعاهدة، وينبغي ان يكون من اهداف انجلترا من مثل هذا المشروع غير العملي هو ازعاج الامام يحيى، وتهديده ومنازعته في مملكته الخاصة، وابعاده عن الامارة الادريسية، ناهيك عن ان هدفها الابعد هو ضرب مشروع وفكرة الوحدة اليمنية في الصميم.

غير ان التطور في اليمن وفي الجزيرة العربية أخذ مجرى مختلفاً تماماً عما نص عليه مشروع المعاهدة الخيالي.

إذ ما كان مصطفى الادريسي يتوجه في مطلع 1343هـ (مطلع أغسطس 1924) إلى اللحية، من حيث يمارس عمله كحاكم للمنطقة الجنوبية، حتى جمع زعماءها من حوله، وكان تعيينه حاكماً في

منطقة تتبعه تقريباً من الناحية العملية من هدفه، اسرع الأمير علي بن محمد الادريسي إلى اللحية، لتدارك الأمر، وقام مصطفى بدفع المشائخ . حيث لم يستكمل استعداداته بعد . إلى اقتراح اصدار منشور . انطلاقاً من ان مصطفى ما يزال موالياً له . يعلن فيه بأنه لم يعد هناك أي سوء تفاهم بين الأمير وبين حاكمه في اللحية وان مصطفى الادريسي منذ الآن سيكون نائبه بحق في المنطقة الجنوبية، وبعد ان أقر الامام الادريسي هذا الاقتراح كر عائداً إلى إلى جيزان،[1] بذلك تمكن مصطفى من تهدئة الأمير، ليكسب وقتاً، يحضر نفسه خلاله للانتفاضة، ومن أجل الحصول على نقود وذخائر للحركة فأنه قام بالاتصال باصدقائه البريطانيين، وقد أدت المفاوضات مع الحكم البريطاني في جزيرة كمران إلى نتيجة مؤداها، ان يمنح مصطفى الادريسي مقابل اعطائه قوداً وذخيرة . شركة انجليزية حق استغلال جبل الملح الموجود في الصليف، وعندما علم الأمير علي بهذا التصرف من قبل البريطانيين بلغ به الغضب اشده، وارسل خطاباً إلى الحكومة البريطانية وبرقية إلى الملك الانجليزي جورج الخامس، احتج فيهما على هذا العمل واوضح انه هو امام وحاكم الامارة الادريسية، وليس مصطفى، وازاء ذلك فأن الحكومة البريطانية لم تتمسك بأن تلعب هذا الدور إلى النهاية، وتم الغاء الاتفاقية.[2]

ولكن ذلك لم يغير واقع ان مصطفى الادريسي قد اعد حركته التي ازمع القيام بها مع كل شخصيات الامارة تقريباً، ومع مشائخ جنوب تهامة، وبموافقة البريطانيين، وانه قام بتوزيع منشورات أعلن فيها خلع الأمير علي باعتباره غير قادر على حمل اعباء منصب الامارة، وضرب ضربته التي اخذ بها تهامة الجنوبية كلها بما في ذلك الحديدة،[3] وفي نفس الوقت قام بتجهيز قوة تحت قيادة نجله المهتدى للزحف نحو الشمال، وقد اتخذت من جبل الملح قاعدة لها ومضت إلى الامام إلى ابي حلق.

ومن ناحية اخرى بادر الأمير علي بتعبئة اتباعه من قبائل عسير تهامة القوية، وتسليحهم ووضعهم تحت لواء أخي امه عبد المطلب، وفي قافلتين تقدمتا صوب الجنوب، احداهما في محاذاة الشاطئ برئاسة مكي بن أحمد القبي، والاخرى عبر داخلية تهامة بزعامة قاسم بن إبراهيم العكفي، حالاً ضربت طليعة قوات مصطفى الادريسي التي كانت مرابطة في ابي حلق، والى الامام مضت قوات الأمير علي، وفي وادي مور أخضعت جيش الأمير المتمرد، وبدأت قبائل تهامة الجنوبية تتخلى عنه، وتنتقل إلى جانب جيش الأمير الشرعي المنتصر، وحتى الشيخ الكبير لقبائل

---

[1] قارن العقيلي ص 271.

[2] المصدر السابق ص 257.

[3] قارن فايسل ص 250، وتويف ص 123، والعقيلي ص 258.

الواعظات هادي هيج أعلن تضامنه مع الامام علي، وبمعاضدته اتيح لفصائل الأمير ان تستولي على معسكر جيش مصطفى في جبل الملح بعد بضعة أيام فقط، واستجابة لرجاء مصطفى الذي هرب من اللحية إلى الزيدية مكن هادي هيج نجل المهتدي المحاصر في قلعة جبل الملح من النفاذ بجلده[1] واجتاحت قوات الأمير علي كل المدن امامها من الزهرة عبر الزيدية إلى الحديدة، وبذلك أنهار التمرد تماماً وفي أكتوبر 1924 هرب مصطفى الادريسي إلى جزيرة كمران، ومن هناك توجه لاقامة قصيرة في عدن، ثم غادرها إلى الاقصر في مصر، حيث كان يقيم من قبل بصفة شبه دائمة.[2]

جاء الأمير علي الادريسي إلى الحديدة وأمر بنفي كل الشخصيات المهمة في امارته، نظراً لمشاركتهم النشطة في المؤامرة، وذهب الجميع على الفور اما إلى عدن، أو جزيرة فرسان، أو مصر وكان بينهم محمد طاهر رضوان قائد جيش الحدود الجنوبي المواجه لجيش الامام، وكون جهاز حكومي جديد، كان على رأسه اخو امه السودانية: فاصبح خاله محمد هارون وزيراً للبلاط في صبيا، وخاله عبد المطلب نائباً له في الحديدة، وقائداً لجيش الحدود الجنوبي.[3] ان هذا التغيير الحكومي الذي لم تشارك فيه زعامات البلاد الحقيقية لم يكن من شأنه ان يساعد الأمير الغاضب. ولقد حدث العكس، حيث فقد تعاطف كثيرين من مشائخ عسير تهامة وبصورة خاصة اولئك الذين اصحوا في المنفى، وعزم الأمير فوق ذلك على اتخاذ اجراءات عقابية ضد مشائخ الجنوب لاشتراكهم في مناصرة تمرد مصطفى الادريسي، وهدد على نحو خاص الشيخ الكبير لهذه المنطقة هادي هيج.[4]

وعلى الرغم من فشل هبة مصطفى الادريسي فانها قد اضعفت الامارة الادريسية بشكل ظاهر والاجراءات العقابية التي اتخذها الأمير علي قد احدثت اثراً بالغ الضرر في كل امارته.

كان الامام يحيى يتابع من الهضبة سير الاحداث في تهامة باهتمام كبير، واعد للامر عدته، وقد ترك في اول الأمر الادراسة يسحقون بعضهم بعضاً، وانتظر في صبر الفرصة الملائمة للانقضاض عليهم، وكان يرى ان الاحداث في امارة الادارسة تتطور لصالحه، وتركها تنضج

[1] قارن العقيلي ص 259 . 260، والمقطم عدد 11210، في 14 . 1 . 1926.

[2] قارن تويف ص 23 أو فايسل ص 250، والعقيلي ص 260، والمقطم عدد 11210 في 1 . 1 . 1926 اشار العقيلي في ص 272 إلى ان الاستيلاء على الحديدة من قبل اتباع الأمير علي لم يتم الا في رجب 1343هـ (حوالي 24 فبراير 1925) غير ان ذلك لا يتطابق مع الواقع، ويتناقض مع مجرى الاحداث، فالاستيلاء على الحديدة يجب ان يكون قد حدث عندما هرب مصطفى الادريسي.

[3] قارن العقلي ص 260 . 261، والمقطم عدد 11210، في 14 . 1 . 1926، وفايسل ص 250.

[4] قارن العقيلي ص 261 . 266، وفايسل ص 271.

وبفعل الظروف المتأزمة والمتفاقمة داخل الامارة الادريسية فأن هذه قد غدت من الضعف والتفكك بحيث انها لم تكن تحتاج الا إلى ضربة واحدة لتنهار تماماً.

ولقد استغل الامام يحيى هذا الوهن في الامارة الادريسية، ووجه ضربته بالفعل ،وهكذا فأن خط الحدود غير الطبيعي والذي ظل ممتداً لوقت طويل في محاذاة الهضبة من عبال قرب باجل في الجنوب إلى عسير تهامة، والذي كان إلى هذا الوقت يفصل امارة الادراسة عن المملكة المتوكلية قد تم اختراقه في نهاية 1924 من ناحيتين، فقد هجم جيش بقيادة عبد الله بن أحمد الوزير على باجل[1] التي كانت تشكل عقدة مفصلية رئيسية لخط الحدود واستولى عليها، وحاصر الفصائل الادريسية المرابطة هناك في جبل برع من جميع النواحي، وأجهز عليها، (إلى ان تم الاستيلاء على برغ ينبغي ان يكون قد قتل هنا حوالي 2000 جندي من جيش يحيى حميد الدين، و3000 من جيش الادراسة)[2] واجتاح جيش الوزير في نفس الوقت المناطق الهامة القريبة مثل عبال وبني سعيد، ومحيطهما،[3] وفي نفس الفترة أيضاً ارسل نجل الامام الكبير، احمد، من مركزه في حجة الواقعة شمال غرب صنعاء، جيشاً آخر نحو تهامة بقيادة علي بن حمود، وقد تقدم بظفر في سهل تهامة جهة، وادي مور، الواقع شمال الحديدة، وقد سهل الشيخ الكبير لهذه المنطقة هادي هيج الذي كان قد ابلغ الإمام قبل ذلك تضامنه معه لتسهل عملية الزحف،وفي يناير 1925 اخذت مدينة الميناء اللحية،[4] وبعد بعض المواقع بين جيش الامام وجنود الادراسة قرب الحدية دخل عبد الله الوزير على رأس جيشه في ابريل 1925 مدينة الحديدة، بينما هرب القائد والحاكم الادريسي عبد المطلب بباخرة شراعية إلى جيزان.[5]

---

[1] قارن الوحدة العربية بين 1916 . 1945، القاهرة 1959 تأليف أحمد طوربين، ص 161 والكرملي ص 94 أشار ستيوارت وليمامز إلى انه تم الاستيلاء على باجل في مطلع 1924 (وليمامز، بريطانيا والدول العربية، القاهرة، ص 202) ولكني اميل إلى الرأي بأن ذلك لم يحدث الا بعد فشل انتفاضة مصطفى الادريسي، أي في نهاية 1924 تقريباً، وذلك ما يمكن فهمه أيضاً من عرض العقيلي، انظر ص 273.

[2] قارن العظم ص 51.

[3] قارن العقيلي ص 273.

[4] قارن العقيلي ص 274، وتويف ص 173، والجرافي ص 233، و"الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية" محمد كمال عبد الحميد، القاهرة ص 190.

[5] قارن العقيلي ص 250، وتويف ص 123، والعظم ص 37، وعبد الحميد ص 190،والعقيلي ص 273 وكتب العقيلي في نفس الصفحة ان الاستيلاء على الحديدة من قبل جيش الامام حدث بعد ان امضى الحاكم الادريسي عبد المطلب ستة أشهر ونصف في الحديدة، أي وفق حسابه من نهاية رجب 1343هـ إلى منتصف صفر 1344هـ (حوالي 24 ت 2 . 1925 . مطلع يونيه 1925) ولكن ذلك غير صحيح، ويتناقض مع المعلومات التالية التي اوردها المؤلف نفسه: فقط كتب في ص 273 . 274 ان عبد الله الوزير اخذ الحديدة بدون مقاومة، بعد

وتم احتلال موانئ ابن عباس،الصليف، الخوبة، قرى الضحى، الزهرة، المنيرة، الزيدية، المراوعة، وغيرها من المواقع الساحلية من قبل الجيشين المتقدمين، وفرت بقايا الحاميات الادريسية إلى ميدي واستمر الهجوم العام للجيش اليمني في ربيع نفس العام حتى وصلت فصائله إلى بني ندر على حدود عبس، في شمال تهامة[1] وفي ذهول اتجه الأمير علي بسيارته مصحوباً بوزير بلاطه محمد هارون صوب اللحية، وعندما كان على بعد ميل منها رأى انها قد غدت في يد الجيش الزاحف باسم توحيد اليمن، وعاد إلى الفور إلى ميدي، ومن هناك ركب البحر إلى جزيرة كمران في مواجهة اللحية ومن كمران اجرى اتصالاً عن طريق البرق بلندن، طالباً المساعدة، ولكن بدون جدوى، وقفل في شهر الحجة 1343هـ (مايو 1925) عائداً إلى ميدي[2] لم يكن بامكان بريطانيا، التي لم تكن تعد الادريسي من حلفائها ان تحول دون الاستيلاء على هذه المناطق الساحلية من اليمن، وان كانت قد حاولت ان تمنع جيش التوحيد اليمني من تصفية بقية الامارة الادريسية، وكانت مهتمة بقطع الطريق عليه، لئلا يتقدم بعيداً صوب عسير، ويجهز على الامارة كلها.[3] ولتحقيق هذا الغرض كان لابد من خلع علي الادريسي أولاً، حيث ان البريطانيين لم يحصلوا منه على أي فائدة تذكر، وكان الحسن بن علي الادريسي الذي كثيراً ما حاول انتزاع السلطة من ابن اخيه، هو الشخصية التي نوى البريطانيون جعلها خلفاً لعلي الادريسي، ذلك ان الحسن كان معروفاً بصداقته مع البريطانيين،[4] وعلى الفور بدأ الحسن في اعداد نفسه لاسقاط الأمير الشاب، وفي أول الأمر لم تساعده الظروف في عسير تهامة، حيث ان الجميع تقريباً كانوا في حرب مع يحي حميد الدين، ومع جيش التحرير والتوحيد اليمني.

كان هذا الجيش المحرر الموحد قد تم الاستيلاء على منطقة عبس، وقضى على الفصائل الادريسية في منطقة ابي حللق، واخترق خط الدفاع الأول في حبل، الواقعة على بعد 15 كيلو متر جنوب مدي، واجتاح في حوالي شهر نوفمبر 1925 معسكر الجيش الادريسي القائم هناك، بينما قتل قائده، عبد المطلب، وقام جيش آخر بفتح جبهة ثانية في جبال عسير تهامة في الشرق،

ان كان عبد المطلب قد غادرها قبل ذلك بثلاثة أيام، وليس مستبعداً ان يكون الحاكم الادريسي قد غادر الحديدة في هذا الوقت بعد ان أدرك انه غير قادر على المقاومة، ولقد استندت إلى العظم في انه رغم ذلك قد حدثت اشتباكات بالقرب من مدرسة الصناعات في ظاهر مدينة الحدية بين جيش الامام وجنود الادارسة حتى دكت بعض معالمها دكاً، وذكر العظم انه شاهد بنفسه انقاض المدرسة (العظم نفس المصدر والصفحة).

[1] قارن توبف ص 123، والعقيلي ص 275، والكرملي ص 94.

[2] قارن العقيلي ص 274 . 275.

[3] قارن المقطم عدد 12720، في 19 . 12 . 1930.

[4] قارن بريموند ص92.

وبالذات في بلحارت، وشن جناحاً الجيش اليمني الموحد في تهامة وفي الجبال هجوماً شاملاً، وفي12 جمادي الثانية 1344 (28 . 12 . 1925) اخذت ميدي . بوابة عسير . في سرعة البرق، وفي نفس الوقت اكتسحت مدينة حرض التي تقع في مدخل الجبال على الطريق من صعدة إلى أبو عريش، واحتل جبل شذا وما حوله من مناطق في جبال عسير تهامة.[1]

وهكذا اتيح لجيش التحرير والتوحيد اليمني ان يوجه ضربة مدمرة إلى الامارة الادريسية، وان يطوح بالادارسة إلى ما وراء ميدي، وان ينتزع منهم الجزء الأكبر من امارتهم . حوالي 220 كيلو متر.. وقد مكن الاستيلاء على الحديدة حاكم صنعاء ان يمد سلطانه أيضاً تدريجياً إلى المنطقة الجنوبية الشرقية التي كانت تتبع قبيلة الزرانيق، وغدت المنطقة الساحلية التي يهيمن عليها الامام يحيى تنبسط من ميدي في الشمال إلى قرب الشيخ سعيد في الجنوب وتبلغ مساحتها حوالي 22000 كيلو متر مربع،[2] وهكذا تحولت الامارة المعزولة خلف الجبال إلى دولة ذات سواحل بحرية مهمة. ولكن بينما كان الجيش اليمني يكافح في تهامة، وكانت عملية تصفية الامارة الادريسية التي لم تكن سوى تابع للانجليز تسير على قدم وساق، لم يكن البريطانيون بلا نشاط، وقد حاولوا تحريك ابن سعود للوقوف دون ان يواصل الجيش اليمني زحفه، لوضع حد للعملية التاريخية، عملية تصفية الامارة الادريسية التابعة. وللمساعدة في انهاء النزاع المستمر على العرش بين الأمير علي وبين عمه الحسن، على ان يكون هنا الحل لصالح الأخير.

في هذا الوقت كان عبد العزيز ال سعود قد أصبح حاكم الحجاز، ذلك انه تمكن بموافقة البريطانيين خلال عامي 1924 . 1925 من تجريد الشريف حسين، ونجله علي بن الحسين من عرش الحجاز، ومن طردهما من المنطقة نهائياً.[3]

---

[1] قارن العقيلي ص 276 . 280، وفايسل ص 256، كتب الأخير في ص 210 ان احتلال ميدي قد تم في سبتمبر 1925 غير اني اميل إلى رأي العقيلي الذي يعدم من قبل ريجة المقطم، ذلك ان مراسل الجريدة ارسل لأول مرة من عدن في 6 . 1 . 1926 نبأه احتلال ميدي من قبل الجيش اليمني، (المقطم، عدد 11209 في 13 . 1 . 1926).

[2] قارن فايسل ص 191 . 192.

[3] قارن قوانراد ص 45 فيما بعد . كتب فايسل في ص 209 عن موقف الامام يحيى ازاء ابن سعود والشريف حسين أثناء احتلال الحجاز الاتي: "بقي الامام يحيى محايداً، وبالذات عندما دعاه الحسين عام 1924 لمساعدته ضد ابن سعود،ولكنه لم يفهم كيف يستغل الوضع الفريد فبدلاً من مهاجمة ابن سعود من الظهر، وبدلاً من ان يملي على الفريقين معاً . القائد الوهابي وشريف مكة . شروط الصلح، ظل يحسب في عمى غير قابل للفهم: "سوف يطوح ابن سعود بالملك حسين ولكنه هو بالذات كوهابي سوف يكره ويخشى من قبل كل المحمديين في العالم، إلى حد انه

وكان ابن سعود قد أصبح سيد كل الشواطئ الشمالية لعسير، ذلك انه في ديسمبر 1924 انتزع من يد الشريف الحسين الميناءين اليمنيين الاستراتيجيين في عسير، الليث، والقنفذة،[1] ولم يبق امام طموحات الحاكم الوهابي التوسعية سوى خط واحد مفتوح في اتجاه الجنوب، عبر امارة الادارسة

لا يمكن ان يصبح ملكاً لمكة، حينئذ سأكون الحاكم العربي الوحيد المنحدر من عسيرة النبي. إذ ان ابن سعود لا يعدو ان يكون بدوياً. ومكة سوف تسقط في يدي بدون أي جهد."

من الجائز ان يكون لدى الامام يحيى مثل هذا التصور، ولكني لا اشاطر المؤلف رأيه في انه كان في امكان الامام في هذا الوقت ان يضرب الفريقين، اولاً لانه في ذات الوقت الذي بدأ فيه ابن سعود في احتلال الحجاز، مع نهاية 1924، كان يحيى حميد الدين يحاول تصفية الامارة الادريسية في تهامة. وكان يمكن ان يرتكب مغامرة عسكرية وسياسية، لو انه تحرك في هذا الوقت ضد الفريقين، أو ضد ابن سعود، ولم يتم الاستيلاء على الحجاز من قبل عبد العزيز بدون موافقة بريطانيا العظمى، وذلك ما ادركه يحيى أيضاً.

وفي هذا الصدد كتب امين سعيد بان ابن حميد الدين سأل شخصية قادمة من مكة عن حال الشريف، وعما إذا كان لديه علم عن عملية التعبئة التي قام بها ابن سعود من أجل احتلال الحجاز، وقد ردت هذه الشخصية بالنفي، واخرج الامام رسالة من تحت مخدته كان قد استلمها من الذين يرصدون له الاحداث في الحجاز، واخبره عن هذه الحملة المعدة لاخذ الحجاز، عن اسلحتها، قادتها، عددها، وغير ذلك. (قارن: ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، امين سعيد، القاهرة 1933 ص 191)

لقد اراد يحيى من ناحية تركيز قواه لكسر الامارة الادريسية. وكان من ناحية أخرى مهتماً بوضع اليمن كلها تحت سلطانه، قبل ان يقود سياسة توسعية، وفوق ذلك فأن ابن حميد الدين لم يبق محايداً، عندما غدا الحجاز مهدداً بالسقوط في يد ابن سعود، ففي 3 . 4 . 1344هـ (21 . 10 . 1925) ارسل خطاباً إلى الملك علي في الحجاز والى ابن سعود طالبهما فيه بقبول جهوده السلمية لانهاء الحرب وعقد تصالح بينهما، ولهذا الغرض فأنه ابلغهما بأنه سيرسل على الفور وفداً خاصاً، وقد وافق الملك علي واجاب عبد العزيز بأنه موافق على ارسال الوفد للاشتراك في المؤتمر الإسلامي المعلن عنه، والذي ينبغي ان يبحث امكانية إيجاد ادارة دولية للحجاز، (قارن الخطيب المصدر الاسبق، ص 111، ونص خطاب الامام لدى امين سعيد في المصدر السابق ص19).

وقد بادر الامام يحيى الذي كان مهتماً بألا يمد ابن سعود سلطاته الى الحجاز إلى ارسال مبعوثه. حسين عبد القادر حاكم الحديدة. إلى الحجاز، (قارن المقطم، عدد 11363، في 10 . 7 . 1926).

ولكن عبثاً، ذلك ان جدة استسلمت في 23ديسمبر 1925،وذهب علي صوب العراق إلى اخيه فيصل، وفي 25 . 12 . 1925 اعلنت عبد العزيز انتهاء الحرب، ولاعطاء احتلاله للحجاز صبغة شرعية، فأنه اعلنت نفسه في 8 يناير 1926 ملكاً للحجاز، وبذلك سقطت فكرة عقد المؤتمر الإسلامي) انظر قونراد ص 61).

واهتم الوفد اليمني من ثم، ببحث المشاكل الخاصة بين البلدين مع الوهابيين.

[1] قارن: قلب جزيرة العرب فؤاد حمزة القاهرة 1933 ص 391 كان طموح ابن سعود نحو بناء دولة عربية مركزية من الناحية الموضوعية ملية تقدمية، غير ان الحاكم الاقطاعي لنجد استند لتحقيق هذه المهمة بمقاييس متصاعدة على بريطانيا العظمى، وفي هذا التطلع السياسي نحو الخارج.

نحو المناطق الساحلية لليمن، وقد اخذ ضغط ابن سعود من الشمال والشرق يشتد ويعنف على هذا الشريط الارضي، وأخذ يعد العدة لقطع السير على الجيش اليمني الزاحف نحو عسير.
والمفاوضات التي اجراها المبعوث اليمني حسين عبد القادر حاكم الحديدة مع الوهابيين في الرياض كانت بدون نتيجة[1].
وفي مبدأ الأمر قد تركزت جهود البريطانيين وعبد العزيز ال سعود في شيء واحد، هو العمل اولاً على خلع الأمير علي، وتنصيب الحسن بن علي مكانه من أجل توجيه ضربة معاكسة، حاسمة ضد الجيش اليمني المهاجم بقوة، وللحيلولة بذلك دون التصفية النهائية للامارة الادريسية، وبدفع من ابن سعود، وبناء على دعوة قائد الجيش الادريسي جمال باشا الفزي رئيس الاركان العام التركي السابق وصل إلى صبيا حوالي ديسمبر 1925 قادماً من مكة أحمد شريف السنوسي زعيم الطريقة السنوسية، ومعلم الحسن الديني، ليسهم اولاً عن طريق نفوذه الديني في خلع الأمير علي، وفي تنظيم اتباع الادارسة في عسير تهامة لمقاومة الجيش اليمني الزاحف،[2]وفي نفس الوقت ارسل ابن

---

[1] قارن القطم عدد 11363، في 10 . 7 . 1926 إلى العدو الرئيسي للشعب العربي، يكمن الاختلاف بين سياسة ابن سعود وسياسة الامام يحيى، وبينما اصطدمت اجراءات الامام لتوسيع دائرة حكمه بالمقاومة المريرة للاستعماريين البريطانيين، فقد لقيت مطامح ابن سعود التوسعية تجاه اليمن الدعم المكشوف من قبل الامبريالية الانجليزية.

[2] قارن فايسل ص 250 . 253 . 265، غير ان المؤلف كتب في ص 250 ان السنوسي لم يصل إلى صبيا الا في مارس . ابريل 1926، وقد اعتمدت على إحداث تقارير مراسل المقطم في عدن المرسلة في 6 . 1 . 1926 والقائلة بأن السنوسي قد وصل إلى صبيا منذ شهر أي في ديسمبر 1925 (انظر المقطم، عدد 11209، في 13 . 1 . 1926) ويعدم مثل هذا الرأي من المقطم عدد 11215، في 14 . 1 . 1926.
والان إلى بعض المعلومات عن السنوسي وجمال باشا، ارسل الجد الكبير أحمد شريف السنوسي من قبل أحمد بن ادريس جد العائلة الادرسية . إلى طرابلس الغرب للتبشير بطريقته، وخلال الحرب التركية . الايطالية في طرابلس الغرب عام 1913 قاد أحمد شريف اتباعه بالتعاون مع الاتراك الذين كانوا تحت قيادة الضابط التركي انور باشا ضد الايطاليين، غير ان تركيا خسرت الحرب، وعقدت معاهدة، لوزان اوشي للصلح في 18 . 10 . 1912.
وخلال الحرب العالمية الأولى ارادت الحكومة التركية دفعه إلى شن هجوم تجاه مصر، والقتال ضد البريطانيين غير انه وابن عمه محمد ادريس السنوسي الذي غدا فيما بعد ملكاً لليبيا أبيا تنفيذ هذا المشروع. (خلعته ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 التي قادها العقيد معمر القذافي) وكانت حجته انه لم يكن في وضع يمكنه من ان يكافح في وقت واحد ضد البريطانيين، وضد اعدائه الحقيقيين من الايطاليين، وقد ارسل الانجليز إليه من مصر صديقهم مصطفى الادريسي، للحيلولة دون مهاجمتهم، والى بنغزي توجه نوري باشان اخو انور باشا، وتمكن من اقناع أحمد الشريف بالهجوم،وهكذا قاد الشريف حملته ضد البريطانيين، وبمعاضدته قذفت الغواصة 135 الميناء المصري . السلوم، واغرقت طراداً انجليزياً، ومع ذلك فقط فشل الهجوم، وحوالي أغسطس 1918 سافر السنوسي في غواصة المانية إلى استانبول، بعد الحرب العالمية ساعد الحكومة التركية في التحضير للحرب ضد الفرنسيين في سيزيليا،

سعود وفداً رسمياً برئاسة محمد بن دليم إلى الامارة الادريسية[1]. بقصد معاضدة الحسن في اسقاط الأمير علي.

ولم تكلف عملية اسقاط الأمير خسائر كبيرة على أي حال، حيث انه فقط بواسطة عبيدة حاول مهاجمة صبيا، من حيث كان الحسن يصد الزحف تجاه مقر الأمير في جيزان، وكان اتباع الادراسة منشغلين بالحرب، وفوق ذلك فانه لم يعد يهمهم من يحكم الآن ذلك ان كل شيء في الامارة كان يتمزق، والامارة نفسها بدت آيلة للغروب، هكذا تقدمت مجاميع انصار الحسن على جيزان، وضربوا العبيد الذين كانوا مكلفين بالدفاع عنها امام المدينة. كما ضربوا المحاربين القليلين الذين كانوا هناك من أبو عريش، حوالي نهاية ديسمبر 1925 اخذت جيزان بدون مقاومة، بينما هرب علي الادريسي في سفينته الشراعية إلى جزيرة فرسان، وفي مطلع 1926 دعي الحسن اماماً وتمت مبايعته[2].

وكان على علي وقد فقد العرش ان يعود إلى صبيا، وان يبايع عمه الحسن، ومن ثم توجه إلى كمران فعدن، وبعد اقامة استمرت شهراً سافر إلى الحجاز، حيث امضى بقية حياته[3].

وخلال هذه النزاعات المحتدمة على العرش الادريسي اشتدت وطأة الحرب بين الجيش اليمني الرافع للواء التوحيد، وبين بعض قبائل عسير تهامة، والى جانب هذا الجيش العامل من أجل اعادة وحدة الوطن اليمني، والذي كان ما يزال في حالة هجوم. انتقل عدد من المحاربين من بعض قبائل عسير تهامة، وبالذات من بني حمد، وشبيل، وبعض الشخصيات التي كانت قبل ذلك في المنفى مثل القائد السابق واللامع لجيش الادراسة للجبهة الجنوبية محمد طاهر رضوا، وكذلك علي بن

ودعا إلى الانتفاضة في سيزيليا وكردستان، وعندما قامت الثورة التركية سقطت مكانته لدى كمال باشا، ذلك انه وقف إلى جانب الخليفة عبد الحميد،وكان عليه ان يغادر تركيا، وأن يتوجه إلى سوريا، ولما لم يستطع ان يتلاءم مع الفرنسيين فقط ذهب إلى مكة ومن هناك جاء الآن في مهمة خاصة إلى عسير تهامة (قارن فياسل ص 264، والمحامي ص 334 . 339)، و"البلاغ" عدد 3052، في 20 . 3 . 1933 (ترجمة الاحمد الشريف) و"المقتطف" في 1 . 3 . 1931.

اما جمال باشا فقط كان مساعداً لانور باشا، وكان في طرابلس مع أحمد الشريف، وعمل في خدمة ابن سعود كوزير حرب سواء في الرياض أو جدة، ثم غدا الآن في خدمة الادراسة (قارن فايسل ص 253).

[1] قارن العقيلي ص 286.

[2] العقيلي ص 286 . 287 وقارن المقطم عدد 11209، في 13 . 1 . 1926 (من تقرير من مراسل الجريدة في عدن مرسل في 6 . 1 . 1926).

[3] قارن العقيلي ص 288، والمقطم عدد 11250، في 3 . 3 . 1926 وعدد 111293، في 27 . 4 . 1926 140

أحمد الحازمي وآخرين ممن عادوا إلى اليمن، واعلنوا تضامنهم مع جيش التحرير والتوحيد اليمني،[1] وبعد الاستيلاء على ميدي مباشرة تقدمت فصائل هذا الجيش الباسل إلى الامام، واخذت (صامطة) مفتاح أبو عريش، وبدون توقف واصلت زحفها نحو أبو عريش.[2] وكان ما تبقى من امارة الادراسة مهدداً على نحو جدي بالسقوط في يد جيش التحرير والتوحيد اليمني، غير الاستعماريين البريطانيين سارعوا إلى الحركة، ودفعوا صديقهم ابن سعود إلى العمل، وكما كتب فايسل: "الآن تدخل الانجليز، لقد تواروا خلف ابن سعود، الذي هدد بالزحف نحو عسير، ان واصل اليمنيون تقدمهم، واتبع القول بالعمل، واحتل الميناء الشمالي لعسير، "البرك"[3] والامام الحسن الذي اعاد ترتيب علاقات الامارة الادريسية مع انجلترا وابن سعود[4]، فور صعوده إلى العرش لم يهتم باحتلال السلطان الوهابي لجزء من امارته. لقد حاول بدلاً عن ذلك ومن خلال الاعتماد على الدولة السعودية القوية ان يسند بناء امارته المتهاوي.

وفي يناير 1926 رجا ابن سعود العون، وعلى الفور بدأت التحركات العسكرية تجاه الامارة الادريسية. ولمناقشة شروط هذا الدعم ارسل الحسن في النصف الأول لشهر فبراير 1926 وفداً إلى سلطان نجد، كن عبد العزيز قد فهم جيداً ان الفرصة ملائمة الآن لوضع ما تبقى من امارة الادارسة ضمن دائرة نفوذه، ولذلك فانه وعد الوفد الذي كان تحت رئاسة محمد هادي النعمي بالتدخل في الحرب، وتقديم المساعدة، والدفاع عن الامارة، والشروط التي وضعها للوفد حتمت التعاون بين الادريسي وبينه، وشقت له الطريق ليصبح حاكم عسير تهامة،[5] كما أصبح حاكم عسير السراة من قبل، وليحقق طموحاته التوسعية في عسير كلها.

---

[1] قارن العقيلي ص 283 . 284.

[2] قارن العقيلي ص 284، وحمزة، في بلاد عسير، القاهرة 1951، ص 10.

[3] فايسل ص 211، اشارت المقطم أيضاً إلى ان فصائل ابن سعود احتلت البرك، الميناء الشمالي للامارة الادريسية (المقطم عدد 11342) في 25 . 6 . 1926(من مقال الادريسية (المقطم عدد 11342) تويف أيضاً في ص 123 ان ابن سعود أخضع لحكمه قبائل مستقرة في عسير تهامة.

[4] قارن فايسل ص 272.

[5] قارن المقطم عدد 1220، في 26 . 1 ت 1926، وبرمونت ص 92، وانطنيوس جورجي، يقظة العرب، دمشق 1946 ص 373، ونشرت الجريدة الحجازية (أم القرى) في 19 . 2 . 1926 نبأ تقول فيه ان الوفد وصل قبل أسبوع، وكتبت حول الشروط التي قدمها ابن سعود للوفد، مقابل انجازه مساعدة ثابتة للادارسة (قارن أيضاً المقطم، عدد 11246، 26 . 2 ت 1926، وعدد 11269، في 25 . 3 . 1926 وعدد 11270، وعدد 11272 في 28 . 3 . 1926، وعدد 11293 في 27 . 4 . 1926 وعدد 11276، في 2 . 4 . 1926).

في النصف الأول لشهر فبراير 1926 وصلت فصائل سعودية إلى صبيا وجيزان، بقصد قطع الطريق على الجيش اليمني، كما ارسلت في نفس الوقت فصائل أخرى إلى الجبهة، في اتجاه أبو عريش، حيث كان القتال محتدم الاوار [1] وحوالي شهر مارس 1926 اشتدت الأعمال القتالية بين جيش التحرير والتوحيد اليمني من قبيلة المسارحة والقوات السعودية من جهة اخرى، ولقد اتيح للجيش الادريسي . السعودي الموحد ان يخترق الجبهة اليمنية، وان يضطر الجيش اليمني إلى التقهقر ، ومن قلعة صامطة اتخذ موقعاً دفاعياً له، ومن حرض ارسلت إليه قوة نجدة، غير انه خلال مسيرته تعرض للضرب، ولم تستطيع الفصائل اليمنية الثبات طويلاً امام القوة المتفوقة والمهاجمة للجنود والمحاربين الوهابيين والادارسة، ولذلك فأنها كانت مرغمة على اخلاص صامطة.

والانسحاب إلى حرض[2].

هكذا اتيح للامام الحسن بدعم من ابن سعود ان يتجنب النهاية التي كانت متوقعة لامارته، وان يكسر اندفاع جيش التحرير والتوحيد اليمني، وفي نفس الوقت حاول الادراسة . رغبة منهم في استغلال هذا النجاح . ان يثيروا الجزء الجنوبي من تهامة الذي انتزعه الجيش اليمني منهم، وان يدفعوه إلى التمرد على السلطة المركزية في صنعاء، على امل استعادته منه، ولقد حدثت بالفعل

---

[1] اعترفت الجريدة الحجازية "أم القرى" بأن فصائل ارسلت إلى صبيا وجيزان، وقد زكت ذلك بالقول بأن الادراسة طلبوا هذه المساعدة، واردفت بأن هذه الخطوة اتخذت نظراً لأن كل الاضطرابات التي تحدث في الامارة الادريسية تترك تأثيراً على عسير السراة الواقعة تحت حكم ابن سعود (قارن أيضاً المقطم، عدد 11239، في 17 . 2 . 1926) ومن ميدي ارسل مراسل المقطم تقريراً جاء فيه ان الفصائل السعودية وصلت إلى صبيا وجيزان (قارن المقطم، 11256، في 10 . 3 . 1926، وعدد 11324، في 28 . 3 . 1926).

[2] قارن العقيلي ص 284، وفايسل ص 250، والمقطم عدد 12770، في 11 . 2 . 1931، وعدد 11272، في 28 . 3 ت 1926، وقد اعتمدت أيضاً في اثبات ان الفصائل السعودية قد قاتلت مع اتباع الادارسة ضد الجيش اليمني على المقطم، عدد 1127، في 28 . 3 . 1926، واشارت الجريدة أيضاً ان البعثة الدبلوماسية النجدية في القاهرة سئلت عن اشتراك الجيش السعودي في القتال فأجابت انها لا تستطيع ان تثبت ذلك أو تنفيه، الا انه من ناحية يمنية كان التأكيد بأن الجيش السعودي قاتل جنباً إلى جنب مع الجيش الادريسي في معركة صامطة، وفي المعارك الأخرى التي دارت شمالها، ومن الوقائع المشار إليها يظهر تماماً ان الفصائل الوهابية وصلت إلى امارة الادارسة بناء على رجاء الحسن الادريسي، بقصد التصدي للجيش اليمني، لذلك فأنها مسألة غير قابلة للنزاع، ان هذه الفصائل لعبت دوراً كبيراً في القتال وفوق ذلك فإن قبيلة المسارحة وحدها . مهما كانت قوتها، ومهما كانت مدعمة من محاربي القبائل الأخرى . لم تكن في الوضع الذي يمكنها من وقف أو ضرب عملية الزحف الجبارة التي يقوم بها جيش التحرير والتوحيد اليمني.

هبات في ميدي، بنى مروان، عبس ، ولكنه تم القضاء عليها بعد قتال دائم خاضه الجيش المركزي معها[1].

وبعد أخذ تهامة الجنوبية، واحتلال البرك وما حوله اصبحت حدود الامارة الادريسية مضغوطة في التالي: "من تعشر في الجنوب . حوالي 10 كيلو متر شمال ميدي . إلى منتصف الطريق بين الوسم والبرك في الشمال، والامتداد الارضي (الداخلي) لها كان يبلغ الحدود الشمالية، إلى رجال المع، على منتصف الطريق نحو ابها، ومن هناك في خط موازي إلى الساحل مروراً بأبو حشيش، . 30 كيلو متر نحو الجنوب من أبو عريش، وكانت مساحة البلاد كلها في اعلا تقدير 14000 كيلو متر مربع، وعدد سكانها على اقصى حالة 150000 مواطن"[2].

دفعت بريطانيا العظمى الادريسي للانتقال من مركز الدفاع إلى مركز الهجوم، وشن الحرب ضد الامام يحيى، من أجل استعادة الاراضي المفقودة، ووعدته لهذا الغرض بالمساعدة والدعم، ولكن شن الحرب يستلزم نقوداً، لانه لم يحدث ولو مرة واحدة ان اهدت انجلترا حلفاءها نقوداً فقط قام الادريسي ببيع امتياز للتنقيب عن البترول في جزيرة فرسان الواقعة في مواجهة جيزان، لشركة البترول الاسيوية، "وبيد كومباندور كراوفورد"[3] غير ان جماعة مالية بريطانية أخرى دخلت في منافسة حول الامتياز البترولي، ووعدت الحسن الادريسي بمبلغ نقدي اكبر، ولقيت دعم الحكومة البريطانية، وكما كتب فايسل: "دفعة واحدة ظهر المستر كوبر . حاملاً في الجيب رسالة طلب من وزارة الخارجية البريطانية . لدى السيد مصطفى في الاقصر، وابدى اهتمام بالتهاب بترول جزيرة فرسان، فهم مصطفى وارسل برقية إلى الحسن الجنرال جمال باشا فهم، وسافر على الفور نحو عدن إلى المقيم البريطانيين، والغى برقيا الامتياز الذي كان قد منح لشركة البترول الاسيوية، المستمر كوبر فهم أيضاً، وجاء إلى جيزان مع بقشيش في الجيب، واربع عربات فيات منقولة كهدية للامام الحسن، امام عسير..، واشترى الامتياز مقابل مبلغ كلي قدره 10000 جنيه، زائدا 3000 جنيه قسط ايجار عن السنة الأولى، زائداً قرضاً صغيراً ظريفاً لشراء اسلحة، اضطلعت بتدبيرها بكل ود شركة بترول سارون، نعم كانت تملك في حوزتها . غير ذلك . اسلحة للدفاع عن حقول البترول ضد سمك القرش المعطش للدماء، ولكن اتضح مؤخراً ان سمك القرش لا يخرج إلى

---

[1] تحديد حدود الامارة الادريسية، وعدد سكانها اعطي للمؤلف من قبل مصطفى الادريسي (فايسل ص 279 . 280).

[2] تحديد حدود الامارة الادريسية، وعدد سكانها اعطي للمؤلف من قبل مصطفى الادريسي (فايسل ص 279 . 280).

[3] المصدر السابق ص 212، 270.

البر، حينئذ سلم هذه المادة الحربية إلى الادريسي أيضاً.. وفيما يتعلق بثمنها "الاسلحة" فقط تكفلت بذلك حصة الخمسة والعشرين في المائة التي ينبغي ان تحصل عليها عسير من استغلال البترول، والتي تستخدمها في شراء اسلحة، ينبغي ان تكافح بها عدو انجلترا" أي الامام يحيى، وحركة التوحيد اليمنية. واضاف المؤلف ان "شركة خاصة . هي الشركة الاخت لشركة البترول الانجليزية . المصرية اشترت ... إحدى مجوعة الجزر الاستراتيجية الهامة في البحر الأحمر ، التي وجد عليها . لدهشة الجميع الكبرى . بترول بالفعل..."[1]

وعن طريق الامتياز البترولي جاءت نقود من البريطانيين إلى خزانة الامارة، وفي نفس الوقت احضرت البواخر من عدن اسلحة وذخيرة إلى جيزان،[2] و"منح الادريسي نقوداً واسلحة إلى آخرين، وعقد مع الجوف[3] 0في السهل الشرقي لليمن) ومع الزرانيق، ومع نجران، وتهامة احلافاً سرية" موجهة ضد الامام، بقصد ايقاف عملية توحيد اليمن، وارباك السلطة المركزية في صنعاء بمشاكل داخلية تقعدها عن الحركة في اتجاه تحقيق هذه العملية التاريخية.

وكانت فصائل ابن سعود قد اتخذت مواقعها في امارة الادارسة، وفي هذا الوقت الذي كانت لوح فيه في الأفق حرب انتقامية ضد حاكم صنعاء، شكلت بعثة في القاهرة في مطلع يونيه 1926 من أحمد زكي باشا (مصر) ونبيه بك العظم) فلسطين) مهمتها السفر نحو اليمن والحجاز، للصلح بين الامام يحيى وابن سعود، وبعد اقامة استمرت 56 يوماً في اليمن تلقت البعثة اقتراحات الامام وتوجهت إلى ابن سعود، الذي قدم اقتراحاته إلى البعثة لارسالها إلى الامام، ولم تنته مهمتها على أي حال إلى نتيجة[4]

---

[1] المصدر السابق ص 212 . 213، وكتبت المقطم في عدد 11342، في 25 . 6 . 1926 حول ذلك قائلة ان الحسن منح شركة بريطانية امتيازاً بترولياً في جزيرة فرسان، وحول هذا الامتياز كتبت المقطم أيضاً عدد 11465، في 17 . 11 . 1926 والبلاغ عدد 3506، في 17 . 6 . 1934، كما كتب العقيلي في ص 290 . 291 ، وعطار ص 631.

واشار العقيلي ان الشركة بدأت في انزال المواد الخاصة بالتنقيب في فرسان، وانها بنت منازل من أجل الموظفين، غير ان المؤلف يقع في خطأ عندما يتحدث في ص 291 بأن بيع امتياز البترول لم يحدث الا بعد عقد معاهدة مكة في 21 . 10 . 1926، وهو يناقض نفسه، ذلك انه ذكر في ص 290 ان مصطفى الادريسي قدم إلى صبيا في 1345هـ (1926 . 1927) واحضر معه 60 صندوقاً من الرصاص، طبقاً لبيع الامتياز البترولي. وفي الواقع ان الامتياز بيع في وقت مبكر جداً، وقد كتبت المقطم عدد 11342، في 25 . 6 . 1926 حول ذلك، وحول الثمن المدفوع من اجله، وهو 230000 جنيه.

[2] البلاغ عدد 3506، في 17 . 6 . 1934.

[3] فايسل ص 213.

[4] قارن المقطم عدد 11393، في 10 . 7 . 1926، وعدد 13547، في 17 . 8 . 1933 والواسعي ص 275.

على ان حملة الادريسي وحلفائه لم يجرؤوا على اعلان الحرب ضد اليمن،واوقف الامام من جانبه حملته الهجومية، حاول الايطاليون الذين كانوا في هذا الوقت قد انشأوا علاقات وثيقة مع يحيى حميد الدين اقناع الامام الحسن بالتفاهم مع الامام يحيى حول سلمي، إذ لم يعجب الايطاليين ان تقع امارة الادارسة تحت نفوذ ابن سعود حليف البريطانيين، والافضل ان تضع ضمن دائرة نفوذ الامام يحيى الذي كان قد اكتسب الايطاليون تعاطفه، والذي من خلاله ربما استطاعوا تحقيق مطامعهم في اليمن، ولذلك قدم الايطاليون سيارة فيات هدية للامام الحسن، وارسلوا إليه مندوبين عدة، كان من بينهم كافلير سكنيتي، غير انه اتيح لمصطفى الادريسي الذي قدم للتو من مصر، والذي كان معروفاً بأنه الصديق الأكبر للبريطانيين، والذي شكل بالتعاون مع السنوسي الكبير أحمد شريف، ومع رئيس الوزراء وقائد الجيش جمال باشا مجلساً ثلاثياً للحكم، اتيح له ولاحمد الشريف العدو اللدود للايطاليين ان يشلا المفاوضات الجارية مع الحسن وان يفشلاها.[1]

جرت مفاوضات كذلك بين الامام يحيى والامام الحسن الادريسي، وتباحث جمال باشا مع عبد الله الوزير، ومع بلاط الامام يحيى حول السلام، وخلال هذه المفاوضات بدا لو ان الادراسة موافقون على الاعتراف بسيادة الامام يحيى على ما تبقى من امارتهم، تحت شرط ان يسمح لهم بالحكم المباشر في امارتهم، وينبغي ان يكون ابن حميد الدين في حالة انتظار مجيء وفد ادريسي للاتفاق على ذلك، عندما تلقى فجأة برقية من أبن سعود، يعلمه فيها ان الامارة الادريسية تقع الآن تحت حمايته.[2]

أكان ذلك واقعاً مفاجئاً وغير متوقع؟ في الحقيقة لا. كان ابن سعود الذي كانت تقف وراءه بريطانيا العظمى قد فرض نفسه من خلال وجود قواته في امارة الادارسة بعسير تهامة،، وكان بلاط الامارة الادريسية قد تحول مرة أخرى منذ التطويح بعلي الادريسي إلى منطقة نفوذ بريطانية.

---

[1] قارن فياسل ص 272، واقرأ لديه تصريح الحسن حول هذه المفاوضات من ص 275 . 276، وكذلك عن الموقف المعادي للايطاليين الذي مثله السنوسي بسبب احتلالهم لبنغازي وطرابلس. قارن أيضاً العقيلي ص 288 . 299، وعطار 631.

[2] قارن فايسل ص 253، والمقطم عدد 11409، في 11 . 9 . 1926، وعدد 13543، في 12 . 5 . 1933، وعدد 13543، في 12 . 5 . 1933، وعدد 13744، في 6 . 4 . 1934 (من مقالة لامين سعيد وعطار، الجزء الثالث ص 631.

وكتب الواسعي في ص 276، والكرملي في ص 95 أيضاً ان الكاتب العربي عبد الغني وصل إلى صنعاء، ورغب في التباحث مع الامام من أجل عقد اتفاقية بينه وبين الادارسة، عندما نشرت فجأة معاهدة الحماية بين الاخيرين وابن سعود.

ومن ناحية أخرى ينبغي ان يكون الادارسة قد خشوا من تملك الامام يحيى لامارتهم حتى ولو وصلوا معه إلى اتفاق، وبقوا في امارتهم مجرد تابعين له فقط، كان الادارسة يريدون تجنب الخضوع لابن حميد الدين، ولم يكونوا قط مقتنعين بفكرة الوحدة اليمنية، هكذا كرر الحسن بن علي الادريسي في عسير تهامة نفس الغلطة التي ارتكبها قبل ذلك الحسن بن علي بن عائض في عسير السراة، ولكن غلطة الحسن الادريسي جاءت أكثر خطورة فكلاهما لم يكن يريد الامام يحيى، ولقد اعطى ذلك ابن سعود فرصة ملائمة، لوضعهما في الوقت الملائم تحت جناح سلطانه، وكلاهما كانا ضد قيام دولة مركزية يمنية، وكان كل منهما يريد اقامة امارة اقطاعية خاصة به، ولكن هذه الطموحات الاقطاعية الصغيرة لم تفد سوى سلطان نجد الذي كان مشروعه التوسعي يقوم على قضم اليمن من اطرافها.

لقد سافر إذن أحمد شريف إلى مكة، حيث عقد مع عبد العزيز آل سعود في 21 . 10 . 1926 ما اسمي بمعاهدة الحماية، التي وقعت من ناحية من قبل الملك عبد العزيز، ومن قبل أحمد شريف السنوسي والامام الحسن الادريسي من ناحية أخرى، وطبقاً للمعاهدة وضعت الامارة الادريسية تحت حماية الحاكم الوهابي، وفي معاهدة الحماية هذه التزم الحسن الادريسي امام عسير تهامة بعدم اقامة اية علاقات سياسية مع أي قوة كانت، وبعدم منح أي امتيازات اقتصادية، الا بعد الموافقة على ذلك من ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، والتزم الامام الحسن فوق ذلك بأنه . بدون موافقة ابن سعود . لن يعلن حرباً، أو يعقد سلما، أو يتنازل عن جزء من اراضي عسير، ومقابل ذلك اعترف الملك السعودي بالامام الحسن كحاكم على عسير تهامة بحدودها القائمة والتابعة له طيلة حياته، وبمن يخلفه على كرسي الامارة ممن يتفق عليه الادارسة، واهل الحل والعقد التابعين لامامته، واعطى الملك الوهابي الحق للامام الحسن في الاضطلاع بادارة بلاد عسير الداخلية، والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل، وغير ذلك من الشؤون الداخلية، على ان يكون كل ذلك وفق احكام الشريعة، وتعهد ابن سعود للامير الادريسي بالحماية ضد أي تعد داخلي أو خارجي.[1]

ارسل سلطان نجد وملحقاتها . وقد حقق مطامحه التوسعية في عسير تهامة، بعد ان حققها في عسير السراة . أرسل نسخة من المعاهدة المكية إلى الامام يحيى، وطالبه باحترام الوضع الجديد في

---

[1] اقرأ نص معهدة مكة لدى العقيلي ص 152 . 153ن ولدى امين سعيد، في: ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، القاهرة، 1933، ص 137 . 138، ولدى المختار ص 393 . 395، وكذلك لدى تويف ص 244 . 245، واقرا مواد المعاهدة في "البلاغ" عدد 3034، في 2 . 3 . 1933، واقرأ ملخص المعاهدة لدى فايسل ص 272، وفي المقطم عدد 13785، في 24 . 5 . 1934، ولدى بريموند ص 92 . 93.

عسير تهامة[1] بذلك بدأت مرحلة جديدة في العلاقات بين امام صنعاء، وامام الرياض، ومنذئذ واجهت امارة الادارسة مستقبلاً مظلماً، وواجهت حركة التوحيد اليمنية مصاعب جديدة.

ما هي النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا الفصل؟

لقد طمحت اليمن . التي قامت على ارضها في المراحل المبكرة للتاريخ دول مركزية، والتي انفصلت عن الخلافة الإسلامية، واعادت انشاء دولها الخاصة على اقليمها . طمحت في القرن العشرين إلى ان تقيم دولتها الحديثة الموحدة المركزية، لقد تمزقت آخر دولة يمنية مركزية . دولة الائمة القاسميين . في القرن الثامن عشر إلى عدة امارات، وانهارت في القرن التاسع عشر تحت ضربات الاحتلال السعودي الأول لعسير، ولتهامة الجنوبية، ونتيجة استيلاء جيش محمد علي حاكم مصر على الجزء الأكبر لشمال اليمن وعلى غربها، وبفعل الغزو الاستعماري للامبريالية البريطانية لجنوبها، ثم في آخر الأمر بسبب تملك الاتراك العثمانيين لليمن الشمالية كلها. وعلى انقاض الحكم التركي، والامارات العديدة، وفي الكفاح ضد الاستعمار البريطاني وضد المطامح التوسعية الجديدة للوهابيين كان يمكن وكان يجب ان تؤسس دولة اليمن الحديثة الموحدة المركزية. غير انه لم يكن هناك أمير أو حاكم يمني في هذا الوقت على وعي بهذه الضرورة التاريخية، أو طامحاً للتقدم نحو هذه المهمة الوطنية العظمى، ونحو النهوض بهذا الواجب التاريخي. لقد كانوا ضعفاء جداً، ومتحالفين مع الاستعمار البريطاني، أو مع أي قوة اخرى ذات تطلعات توسعية ازاء اليمن. ان ذلك ينطبق بصورة خاصة على اكابر امراء اليمن بعد الحرب العالمية الاولى، امثال محمد علي الادريسي،الحسن بن علي بن عائض وسلطان لحج سيد عبد الكريم فضل.

فقط يحيى حميد الدين الذي كان متحرراً من النفوذ الاجنبي، والذي كان استمراراً حتى من الناحية العائلية لآخر امامة بسطت سلطانها على اليمن كلها . كان مدركاً لضرورة اقامة واحياء دولة اليمن المركزية الموحدة، وكان على وعي بهذه المهمة التاريخية، لذلك فأنه رفع شعار "اليمن لليمنيين" وكان يحيى قوياً نسبياً مقارناً بأمراء اليمن الآخرين نتيجة استناده إلى طائفة دينية قوية متماسكة، وكان شديد الطموح نحو تأسيس هذه الدولة اليمنية المركزية الموحدة. ومن هنا كافحه النشيط ضد الأمراء اليمنيين الموالين لانجلترا، وضد بريطانيا العظمى التي كانت تحتل حوالي ثلثي اليمن، وضد ابن سعود الذي كان يعمل على التهام اجزاء أخرى منها في الشمال والغرب. لم يحاول يحيى الذي لم يكن يبالغ في تقدير قوته نظراً لتفوق قوة خصومه الآنفي الذكر، لم يحاول ان يدخل في أي حرب، كان ينتظر الفرصة المواتية ثم يوجه ضربته، ولقد قدمت له النزاعات على العرش بين الادارسة والتمزق الداخلي في الامارة الادريسية مثل هذه الفرصة، حينئذ بادر إلى انتزاع الجزء

---

[1] قارن المقطم، عدد 3785 في 24 . 5 . 1934.

الأكبر من تهامة، وبذلك لم تحقق مملكته امتدادها الضروري والطبيعي والجغرافي في اتجاه البحر الأحمر فحسب، وانما أيضاً اكتسبت الدولة اليمنية الحديثة منذئذ كيانها وطابعها الدولي، وحجمها وشكلها الإقليمي الحالي في شمال اليمن، ولقد كان تمزيق الامارة الادريسية، وضم الجزء الأكبر منها إلى الدولة اليمنية، وضربة صائبة وشديدة للبريطانيين أيضاً، ذلك ان هذه الامارة كانت منذ البداية، ومنذ تأسيسها إداة فقط في يد الاستعمار البريطاني لتحقيق مصالحه الاقتصادية، والسياسية الاستراتيجية في الشواطئ الغربية الهامة من اليمن على البحر الأحمر، ولمنع قيام دولة يمنية موحدة متحررة، ومعادية للبريطانيين.

ولذلك فقد تدخل البريطانيون بشكل مباشر (بصورة خاصة عن طريق اعاقة زحف الجيش اليمني المحرر والموحد عن المضي في اتجاه تصفية نفوذ الاستعمار البريطاني فيما اسمى بالمحميات) وبشكل غير مباشر (عن طريق الوقوف إلى جانب اماراتهم الادريسية التابعة، وتشجيع تطلعات ابن سعود التوسعية تجاه الاراضي اليمنية) ولقد ارادوا بتدخلهم هذا ايقاف عملية تصفية الامارة الادريسية، . اضافة إلى الحفاظ على هيمنتهم الاستعمارية على جنوب البلاد وضرب حركة التوحيد التاريخية اليمنية، التي كانت جنوب البلاد وضرب حركة التوحيد التاريخية اليمنية التي كانت تنطوي موضوعياً . على الملامح الأولى والمبكرة لحركة التحرير اليمنية. ولهذا الغرض فقد استخدم الاستعمار البريطاني اداته الرئيسية ابن سعود الذي كان يمارس أيضاً تجاه اليمن سياسة عدوان وتوسع، وأيد . لذا السبب . الادارسة بشكل قوي.

والادارسة الذين قامت امارتهم من خلال الدعم الذي قدمه الاستعمار الايطالي حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، ومن خلال المساعدة التي قدمها الاستعمار البريطاني منذ هذا الوقت، هؤلاء الادارسة لم يستطيعوا ازاء الاضطرابات الداخلية ان يحموا امارتهم وللحفاظ على عرشهم الاقطاعي الخاص، فانهم قد اضروا باليمن ضرراً بليغاً، واصابوه حتى النخاع. فمحمد علي الادريسي تنازل عن عسير السراة لابن سعود، واخوه الحسن بن علي الادريسي وضع ما تبقى من امارته في عسير تهامة تحت حماية الملك الوهابي.ان هذه السياسة الجاهلة والعمياء والمدمرة سوف تقود . كما سيتضح فيما بعد . إلى مزيد من الكوارث، حيث سيلحق ابن سعود عسير تهامة بمصير عسير السراة، وينتقص اليمن بذلك من اطرافها، ويقتطع اللحم السمين والثمين من جسمها، ويعترض مسيرتها التاريخية نحو اقامة دولتها المركزية الموحدة.

لقد سجل عاما 1925 . 1926 اعظم الانتصارات التي حققتها حركة التحرير والتوحيد اليمنية، حيث تم خلال هذه الفترة الاستيلاء على تهامة في مواجهة كل اعداء اليمن، ورغم كل مؤامراتهم ومكائدهم.

ولكن عام 1926 سجل أيضاً اعظم الهزائم التي منى بها حتى الآن الامام يحيى الذي كان يتزعم هذه الحركة التوحيدية اليمنية، ففي هذا العام، ونتيجة قصف سلاح الجو البريطاني انسحبت فصائل الجيش النظامي من بعض الامارات في جنوب اليمن، وأوقف الامام منذئذ والى الابد كل خطه الهجومي ضد الاحتلال البريطاني وفي هذا العام كان جيش التوحيد اليمني مضطراً ازاء التدخل غير المباشر لبريطانيا العظمى، وامام هجمات الجيش الموحد الادريسي . السعودي لأن ينسحب من أبو عريش في الشمال، بينما ادخلت بقية الامارة الادريسية في حماية سلطان نجد وملحقاتها، وبينما اوقف يحيى حميد الدين هجومه ضد الادارسة وضد ابن سعود إلى عام 1931. ومن عام 1926 إلى عام 1931 عمل ابن سعود على ترسيخ اقدامه في الامارة الادريسية محققاً بذلك مطامحه التوسعية في عسير تهامة، بعد عسير السراة، ومعترضاً بذلك خط حركة التوحيد اليمنية.

الفصل الثالث

الحاق الامارة الأدريسية من قبل ابن سعود وأهمية معاهدة عرو

بعد ان فرض ابن سعود حمايته على الامارة الادريسية، حاول ان يبرر هذا الاسلوب من التصرف عن طريق الايضاحات المتكررة بأن هذه الخطوة انما اتخذت من أجل جعل الامارة الادريسية دولة يمنية عازلة بين مملكته ومملكة الامام يحيى، وبذلك يمكن تجنب وقوع الحرب بين الدولتين.

وقد عبر ابن سعود عن هذا المعنى بقوله: "... لقد استولى الامام يحيى على جنوب بلاد السيد الادريسي، ويريد الآن فوق ذلك ان يحتل المدن الاخيرة، صبيا، وجيزان، .... اني لا اسمح بأن يمس استقلال دولة الادريسي، ان الادارسة عرب كمثلي، انهم ينتمون الينا قلباً وقالباً، لقد تفيأ الادريسي ظلال خيمتي، وسأحميه من كل عدو.. لقد اضطلعت بحماية عسير، واريد ان ارى من يجرؤ على المساس بحمايتي، ان عسيراً مستقلة كدولة عازلة بيننا وبين اليمن وهي الامكانية الوحيدة لتجنب نشوب حرب، انا والامام ما نتفق، ان هجوماً على الادريسي الذي لا تبعد بلاده سوى ست مراحل بيننا وبين اليمن سيكون هجوماً ضدي بالذات، سيكون حرباً بين نجد واليمن".[1]

وعلى نحو أوضح تكلم ابن سعود حول ذلك فيما بعد: "عندما وصل الحسن إلى السلطة، مددنا له اليد، لانه من ناحية كان قبل ذلك صديقاً لنا، ومن ناحية أخرى لأن لنا مصلحة ضرورية في ذلك، وأهم شيء في ذلك ان تكون هنا حكومة يمنية محايدة بين حكومة الامام يحيى وحكومتنا، لاننا نخشى ان يحدث اشتباك بين قادتنا وجنودنا، وقادة وجنود الامام، حينئذ يحدث ما لا نرغب فيه، إذن فوجود حكومة ادريسية عازلة فيه فائدة لنا معاً. ان اكون قد اضطلعت بحماية الادارسة، وأمنت مملكتهم، فإن ذلك حق المسلم على المسلم، والعربي على العربي، وذلك هو ما تقضي به الاخلاق

[1] فايسل ص 121 . 122.

العربية . الإسلامية، والصداقة، والوفاء ازاء الصديق، ولكن الامام يحيى يرى انه لا حق للادارسة، ويريد ان يقضي عليهم، غير ان ذلك خطأ..."[1]

على ان ابن سعود لم يسر حتى وفق رأيه هذا، ولم يتقيد حتى بتصريحاته هذه، ولم يراع حتى ما نصت عليه معاهدة مكة، حيث قررت المادة السادسة من معاهدة الحماية هذه بأن ادارة الشؤون الداخلية للامارة من اختصاص الامام الحسن. إذ لم يحترم عبد العزيز هذه المادة وبدأ في التدخل في الأمور الداخلية للامارة،، وفي أول الأمر تباحث مع البريطانيين حول رغبته في الغاء امتياز البترول المتعلق بجزيرة فرسان، فهم البريطانيون مغزى هذه الخطوة، ووافقوا بدون مراجعة على ذلك[2]. وقد اراد ابن سعود بذلك ان يرى الادريسي انه هو الآن صاحب السلطة في امارته، وان الامام الحسن لم يعد يملك حق الاعتراض. وفي نفس الوقت عين عبد العزيز "مندوباً سامياً" في الامارة الادريسية هو صالح بن عبد الواحد، الذي اتخذ من جيزان مركزاً لدار الانتداب[3] وبذلك تصرف ابن سعود لا كحامٍ فقط، وانما كمحتل، وبدأ مندوبه السامي في التدخل في شؤون الامارة الداخلية، وظهر باعتباره الحاكم الحقيقي في الامارة، وغدا الامام الحسن عملياً بدون سلطة.

ان هذه الخطوات من جانب ابن سعود المناقضة لكل حق قد ادت إلى نتيجة، بدأ معها الادارسة يسيئون الثقة فيه، وشرعت القبائل اليمنية الموالية لهم في عسير تهامة، مثل قبيلة المسارحة القوية، تعارض بحزم الاجراءات التعسفية للمندوب السامي السعودي[4].

خشى ابن سعود ان يقود هذا التطور الحرج في اوضاع عسير تهامة إلى هبة ضده، يمكن ان تجني فائدتها فصائل الجيش اليمني التي ترابط على بعد بضع كيلو مترات فقط من حدود الامارة الادريسية، واراد السلطان الوهابي تهدئة الحالة في المنطقة حتى تصل مفاوضاته التي كانت قد بدأت مع امام صنعاء إلى نتيجة محددة سواء سلبية أو ايجابية، ولهذا الغرض توجه إليه إلى الطائف وفد ادريسي في 1928 مكون من محمد يحيى باصهى، ومحمد امين الشنقيطي، وعلي إبراهيم عاطف،[5] وقد تقبل عبد العزيز مطلب الوفد في اعادة الاوضاع إلى ما كانت عليه، بحيث

---

[1] المقطم، عدد 12268، في 29 . 6 . 1929.

[2] قارن الاهرام، عدد 17706، في 24 . 3 . 1934، وعطار ص 632، والعقيلي ص 291، وحمزه ص 395 من "قلب جزيرة العرب".

[3] قارن العقيلي ص 291، والمقطم عدد 12720، في 19 . 12 . 1930 وعطار ص 932، وحمزة ص 359.

[4] قارن المقطم،عدد 12770، في 19 . 2 . 1931.

[5] قارن حمزة ص 359، والعقيلي ص 292.

تضطلع الحكومة الادريسية بالادارة الداخلية والامن، وتتولى أمر تجنيد العساكر للدفاع عن البلاد، ويحتفظ الملك الوهابي لنفسه بترتيب الشؤون الخارجية للامارة[1].

ولكن منصب المندوب السامي السعودي لم يلغ، فتم استبدال صالح بن عبد الواحد، الذي عانى السكان منه كثيراً في اغسطس 1929 بمندوب سام آخر هو عبد الله بن خثلان[2].

كانت المفاوضات بين الامام يحيى وابن سعود قد بدأت في 3 ذو الحجة 1345 هـ (4 . 5 . 1927) عندما وصل إلى صنعاء وفد سعودي مكون من سعيد بن عبد العزيز بن مشيط، وعبد الوهاب بن محمد أبو ملحة، وتركي بن ماضي (الجميع من عسير)، وكان المفاوضون عن الجانب اليمني هم عبد الله بن أحمد الوزير، السيد أحمد هاشم، والسيد محمد حيدر النعمي (الأخير من أهل الملحاء من ملحقات صبيا).

كانت نقطة انطلاق المفاوضين اليمنيين هي ان عسيراً جزء لا يتجزأ من اليمن، وان الادارسة غاصبون، ودخلاء في منطقة هي تابعة لعسير، الذي هو بدوره جزء من اليمن، واليمن لا يعترف لا بضم بلاد بن عائض . عسير السراة . إلى نجد، ولا بفرض الحماية على المنطقة الادريسية.

ولكن الوفد السعودي انطلق من زاوية المطامح التوسعية لعبد العزيز ازاء اليمن فقط اوضح ان بلاد الادارسة قسم من تهامة عسير، وان سعيراً ليس من اليمن، وانه ليس لائمة الزيود أي حق من الحقوق فيه، وان حدود المنطقة الادريسية تمتد إلى المخاء، وزبيد، وباجل ، وأن معاهدة الحماية بين ابن سعود والحسن الادريسي تشمل هذه الجزاء التي انزعها الجيش اليمني من الادارسة، ونهي على هذا الأساس تتبع عبد العزيز، وقد طالب الوفد السعودي من ثم بأن يعيد الامام يحيى هذه المنطقة المحكومة من قبله إلى المقاطعة الادريسية[3].

قد يقال ان عسيراً ليست جزءاً من اليمن، فإن ذلك في الواقع حجة غير سديدة، فهي باطلة، ومتناقضة مع واقع الاشياء، فحدود اليمن الشمالية تمتد . تاريخياً وجغرافياً . كما أشار كل المؤرخين والجغرافيين العرب . إلى حدود الحجاز، ونجد، ولم يعد مؤلف عسيراً من أحد البلدين المذكورين.

---

[1] قارن حمزة ص 359.

[2] قارن مجلة "الفتح" القاهرية، في 18 . 8 . 1929، والعقيلي ص 292.

[3] اقرأ بروتوكولات النقاش في الكتاب الاخضر السعودي ص 1 . 3، وقارن العطار ص 210، و"اليمن" امين سعيد، القاهرة 1959 ص 80.

وكلمة ـ عسير ـ كوصف جغرافي للمنطقة الشمالية من اليمن لم تستعمل الا منذ ما يربو قليلاً على 150 سنة، وبالذات منذ بسطت قبيلة عسير سلطانها على القبائل المجاورة لها، ومن هذه الحقيقة اشتق اسم عسير، وكل القبائل التي سكنت هذه المناطق منحدرة من قبائل "الازد" اليمنية[1].

وقد اعطى المؤرخون العرب علامات دقيقة لحدود اليمن مع الحجاز ونجد، ففي كتاب الهمداني "صفة جزيرة العرب" كتب بأن حدود اليمن تمتد من عمان إلى اليمامة حذاء السراة، والى منطقة "أم جحدم" في تهامة على البحر الأحمر.[2]

وقطع ابن خرداذيه بأن "طلحة الملك" تفصل حدود اليمن عن منطقة مكة.[3]

وأكد المسعودي ان حدود اليمن الشمالية تبلغ إلى "لجة الملك" التي تبعد عن مكة بسبع مراحل.[4]

وقال ياقوت ان حدود اليمن تصل إلى "المحجرة قرب طلحة الملك"[5] ومن هذه الحقائق الجغرافية والتاريخية يتضح ان العلاقات المتميزة للحدود الشمالية لليمن هي "طلحة الملك" و"أم جحدم".

وكل المناطق التي تبدأ من شمال وادي بيشه تتبع نجد، وكل القبائل التي تعيش جنوبه أو بالقرب منه تتبع الاراضي اليمنية، مثل شهران، غامد،زهران، وتشكل المنطقة الساحلية"دوقة الليث" وميناء "الليث" الحدود النهائية لليمن في مواجهة مكة.[6]

وتتكون عسير من قسمين: المنطقة الجبلية، وهي عسير السراة، ويتبعها تاريخياً ميناء الليث، والقنفذة، والمنطقة السهلية التي تمثل تهامة اليمن الشمالية، وهي عسير تهامة، وكان هذا الشريط الساحلي يسمى قبل ذلك "المخلاف السليماني" وهو يمتد من "حلى بن يعقوب" في الشمال إلى "الشرجة" في الجنوب قرب ميناء الموسم في منطقة بني مروان.[7]

وابن سعود بنفسه تحدث ـ كما أشرت من قبل ـ عن انه من الضروري أن تبقى في عسير تهامة "حكومة يمنية محايدة" وذلك يعني انه معترف بأن هذه المنطقة أرض يمنية، وليس أي شيء آخر.

---

[1] قارن حمزة، في بلاد عسير، القاهرة 1951 ص 85 ـ 86، و"صفة جزيرة العرب" ابي محمد الهمداني، القاهرة 1953 ص 118، والبلاغ، عدد 3188، في 3 ـ 8 ـ 1933.

[2] قارن الهمداني ص 51 ـ 52، 115254.

[3] قارن حمزه ص 85، و"المقتبس"ص9.

[4]قارن مجلة "القبس" دمشق، 1912 ص 37، (من مقال مضاف عن تاريخ وجغرافية اليمن).

[5] قارن حمزة ص 85، و"المقتبس" ص9.

[6] قارن الهمداني ص 218، 285 ـ 286، 391 ـ 392، والواسعي ص 321.

[7] قارن المقتبس" ص 85، والعقيلي ص 83.

والادارسة أنفسهم، وقبل كل شيء محمد علي الادريسي مؤسس الامارة الادريسية لم يصفوا سكان عسير بغير انهم يمنيون، وفي منشوراته التي كان يوزعها محمد علي الادريسي ضد الاتراك كان يتحدث دائماً عن "اليمنيين العرب" الذين لم يستطع الاتراك في عسير القضاء عليهم،[1] ولم يستطع الاتراك أيضاً ان يتجاهلوا هذا الواقع، ولذلك بقيت عسير إحدى متصرفيات اليمن إلى حين انسحابهم من اليمن مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

غير انه السعوديين حاولوا ان يبرروا حكمهم لعسير بالقول بأن سلطانهم امتد من قبل إلى عسير والى تهامة الجنوبية.

ولكن النفوذ السعودي في هذه المناطق اليمنية لم يعش الا لبضع سنين، وذلك لا يعني بأي حال ان هذه المناطق قد فقدت صفتها كأراض يمنية، وكذلك الملوك والحكام اليمنيون فانهم حكموا خلال التاريخ لاكثر من مرة الحجاز . بما في ذلك مكة، وكذلك أيضاً نجد، ولكن لم يقل أحد بأن نجداً والحجاز، ومكة أصبحت بذلك اراض يمنية.

تلك كلها توسعات اقليمية عابرة، بلى لقد حكم الائمة الزيود . شأنهم شأن ملوك اليمن الآخرين . عسيراً . كما انه من المعروف ان الدولة اليمنية المركزية الاخيرة . دولة الائمة القاسميين حكمت اليمن كلها، بما في ذلك عسيراً.

غير ان الوفد السعودي . ممثل المطامع التوسعية السعودية . لم يكن يرغب اخذ هذه الحقائق التاريخية القاطعة والدامغة بعين الاعتبار، ولم يعرها اهتماماً.

وبعد 15 جلسة غير مثمرة اوعز الامام يحيى بقطع المفاوضات، وأرسل برقية إلى أبن سعود، قال له فيها ان علاقات البلدين لا يمكن ترسيخها بدون اقامتها على اساس متين: (مع الاعتراف بأنا لا نرضى في شأن تنظيم ما بيننا من علاقات بدون احكمها اسساً وامتنها اشادة" وعاد الوفد السعودي إلى الحجاز في نهاية محرم 1346هـ (مطلع يوليه 1927)[2].

وفي شهر جماد الثاني 1346هـ (نوفمبر 1927) بعث سلطان نجد وفداً آخر إلى صنعاء مكوناً من محمد بن دليم، وتركي بن ماضي، وخلال المفاوضات اقترح على الوفد اليمني الذي كان مشكلاً من القاضي عبد الله بن حسين العمري، والقاضي عبد الكريم المطهر تحديد الحدود على اساس ان يرفع الامام مطالبه عن نجران، وكل عسير، بما في ذلك الامارة الادريسية، ومقابل ذلك

---

[1] انظر مثلاً النداء الذي وجهه الادريسي بعد ان رفع الشريف حسين عام 1911 الحصار عن ابها، (العقيلي ص 156 . 166).

[2] قارن الكتاب الاخضر السعودي، واقرأ هنا نص خطاب الامام يحيى إلى ابن سعود ص 1 . 23 وعطار ص 210، وامين سعيد ص 80.

فأن الجزء الذي غدا تحت حكم الامام من الامارة الادريسية يبقى تابعاً له. وقد رفض الجانب اليمني هذه المقترحات، واستمرت المفاوضات 54 يوماً، وانتهت بدون نتيجة.[1]

أبلغ الامام يحيى المفاوضين السعوديين بأنه يريد ان يرسل معهما وفداً إلى ابن سعود، ليبحث القضية معه بشكل مباشر، وفي شهر رمضان 1346هـ 0فبراير 1928) وصل إلى الحجاز الوفد السعودي مصحوباً بالوفد اليمني الذي كان يضم قاسم بن حسين، والسيد محمد بن محمد زيارة، والشيخ عبد الله بن علي منا ع، وعباس بن أحمد بن إبراهيم ، وكان الوفد اليمني يحمل معه أيضاً رسالة من الامام يحيى إلى عبد العزيز ال سعود، ولم تنته المفاوضات مع ابن سعود ووفده إلى غير الفشل،وعاد المفاوضون اليمنيون في شهر محرم 1347هـ (يونيه 1928) حاملين رسالة جوابية من الملك السعودي إلى ملك اليمن لا تحتوي على اقتراحات جديدة.[2] واتضح من ذلك كله ان المفاوضات بين الفريقين تدور في حلقة مفرغة.

توقفت المفاوضات بين المام وابن سعود، لانه من ناحية لم يكن هناك أدنى امل في الوصول إلى نجاح، من ناحية أخرى لأن الدولة اليمنية وضعت على كف عفريت بسبب محاولات التوسع البريطانية والمؤامرات التي احتدمت في الجنوب والغرب من البلاد في هذا الوقت.

اراد ابن سعود استغلال هذا الظرف الحرج الذي وجدت السلطة المركزية في صنعاء نفسها فيه، واحتلال الامارة الادريسية الموضوعة تحت حمايته، ومصادرة احلام ابن حميد الدين في عسير تهامة، ووضعه على هذا النحو أمام الأمر الواقع، وهكذا فانه ارسل لجنة برئاسة حمد العبدي إلى الامام الحسن الادريسي، الذي كان قد جرد من السلطة من قبل المندوب السامي السعودي الجديد حمد الشويعر، بقصد خلعه، وضم اراضي الامارة الادريسية في مملكة ابن سعود، وفي 17 جمادي الأولى 1349هـ (9. 10 . 1930) وعلى اثر وصول اللجنة اتخذت هيئة مجلس الشورى بصبيا التي غدت سائرة في الفلك السعودي، والتي كانت مؤلفة من محمد الامين الشنقيطي، محمد يحيى عوض باصهى، عبد القادر بن محمد بن عوض باصهى، حمود بن عبد الله الحازمي، يحيى إبراهيم زكرى . اتخذت قراراً اسندت بمقتضاه السيادة الادارية والمالية إلى ابن سعود، وفي نفس اليوم ارسل الحسن

---

[1] قارن بروتوكولات النقاش في الكتاب الاخضر السعودي ص 5 . 8، وامين سعيد، ص 80.

[2] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص 11، عطار ص 210 . 211، وامين سعيد ص 81، والمقطم عدد 1154، 19 . 2 . 1928، وعدد 11893، في 16 . 4 . 1928، ومجلة "الفتح" في 11 . 4 ت 1928، (حسب معلومات نشرتها الجريدة الحجازية) أم القرى "والفتح" في 19 . 7 . 1928، حسبما جاء في جريدة "أم القرى" واقرأ نص خطاب ابن سعود في الكتاب الاخضر السعودي، ص 11، ولدى امين سعيد ص 81.

برقية إلى عبد العزيز أبلغه فيها ـ كارهاً ـ انه تخلى "بموافقتنا ورضانا" عن السيادة المالية والادارية لبلاده.[1]

على هذا النحو تم القضاء على آخر شكل من اشكال الاستقلال الداخلي للامارة الادريسية، وتملك ابن سعود الجزء المتبقي من عسير تهامة، وحقق مطمحاً آخر من مطامحة التوسعية في اليمن.

ومنذ الآن حلت تسمية "المقاطعة الادريسية" بدلاً عن صفتها الرسمية السابقة "الامارة الادريسية" ومنذ الآن غدا عسير تهامة ـ بعد عسير السراة ـ إحدى ملحقات مملكة الحجاز، وسلطنة نجد،وهكذا قادت سياسة الادارسة الغبية إلى فقدان اقليم هام آخر من اليمن، وكانت نتيجة سياستهم أيضاً انهم فقدوا في نفس الوقت عرشهم.

وبذلك فأن الحسن الادريسي لم يعد لا اماماً، ولا أميرها.

كان البريطانيون مسؤولين أيضاً عن هذه النهاية المنتظرة، ذلك ان الادراسة الضعفاء لم يعدوا في المكن الذي يمكنهم من ان يلعبوا لصالحهم دوراً نشيطاً في اليمن، ولذلك تركت بريطانيا العظمى ابن سعود الذي توطدت دعائمه في جزيرة العرب يحتل الامارة الادريسية. وفي الواقع فأن الحكومة الانجليزية كانت قد اعترفت بعبد العزيز ال سعود كملك على الحجاز، وسلطان لنجد وملحقاتها، وذلك وفق معاهدة 20 مايو 1927[2].

وكان عبد العزيز منذ هذا الوقت ينظر ليس فقط إلى عسير السراة، وانما أيضاً إلى عسير تهامة باعتبار كل منهما ملحقاً من ملحقات نجد.

ومن أجل اعادة تنظيم الادارة السعودية في "المقاطعة الادريسية" وصل إلى حده في 21 جمادي الثاني 1349، (14 ـ 11 ـ 1935) وفد مرسل من قبل الحسن، مكون من السيد محمد العربي الادريسي، والسيد مصطفى السفيحي، والقاضي محمد العربي الادريسي، والشيخ محمد بن عبد الله باصهى، والسيد حسن ابن ظافر، والشيخ مكي بن يحيى زكرى، وفي 25 جمادي الثاني 1349هـ (17 ـ 11 ـ 1930) عقد اجتماع بينهم وبين مفاوضي ابن سعود الذين كانوا يتألفون من الشيخ عبد الله الفضل، وفؤاد بك حمزة، والشيخ يوسف ياسين، والشيخ عبد الله السليمان أعضاء، ومن نجله الأمير فيصل رئيساً، وفي هذا الاجتماع انتهي إلى القرارات التالية: "يعين حضرة صاحب الجلالة الملك أميراً من قبله، لاجل إدارة شؤون المقاطعة الادريسية، والاشراف على الاصلاحات الداخلية، وتأمين الأمن والنظام، وتنفيذ احكام الشريعة فيها.."ويكون مجلس شورى للمقاطعة لمساعدته، ويبقى الحسن

---

[1] قارن الخطيب 189 ـ 190، واقرأ لديه قرار هيئة مجلس الشورى للامارة، وبرقية الحسن، وقارن عطار ص 632.

[2] قارن الخطيب ص 189 ـ 190، وقرأ لديه مقررات مجلس الشورى وبرقية الحسن، وقارن عطار ص 632.

الادريسي" رئيساً للحكومة الادريسية" وتصدر الاوامر باسمه، بالنيابة عن ابن سعود، ولعبد العزيز ان يعين ناظراً للمالية في المقاطعة، وتصدق مقررات مجلس الشورى من قبل الحسن، واذا حدث خلاف بين المجلس والسيد الادريسي حيل إلى الملك السعودي لحله، وينبغي ان يحافظ على كرامة وشرف الحسن مع عائلته من قبل السلطات المدنية والعسكرية والسعودية التي تعين من الملك الوهابي بشكل مباشر، أو من قبل حكامه المحليين في المقاطعة.[1]

ولاعطاء الحاق عسير تهامة طابعاً دولياً رسمياً، صدر مرسوم ملكي في 29 جمادي الثاني 1349هـ (22 . 11 . 1935) أعلن بمقتضاه ابن سعود اضطلاعه بادارة عسير تهامة، وحدد شكل هذه الادارة، وصلاحيات الحسن، ومجلس الشورى، وامير المقاطعة، وناظر المالية.[2]

وبذلك فقد الادريسي كل حقوق السيادة، وانحطت المقاطعة الادريسية إلى درك أسفل واصبح ينظر إليها الآن باعتبارها إحدى المناطق التابعة للمملكة السعودية وغدت ادارتها في يد الأمير الوهابي فهد بن زعير الذي عين حاماً لها في مطلع 1931، وفي يد الجهاز الاداري السعوديين التابع له، وشكلت عسير تهامة المعروفة بخصوبة أرضها مصدراً هاماً من مصادر دخل الخزانة السعودية، خضت السيادة الداخلية والخارجية للمنطقة لتوجيه الأمراء السعودي، وانتقلت إدارة موانئ عسير تهامة الثلاث، جيزان، القحمة، المضايا، التي كثيراً ما جنت منها الامارة الادريسية الغاربة فوائد كبيرة إلى ناظر المالية السعودي حمد العبدلي، وذهب دخلها الجمركي إلى خزانة ابن سعود وفقد الادراسة بذلك مصدراً هاماً من مصادر ثروتهم، ولم يعد الحسن يتسلم أكثر من مساعدة، شأنه شأن أي موظف سعودي.[3]

ورغم ان الحسن عين رئيساً "للحكومة الادريسية" فأنه لم يبق له من مجال حتى للممارسة نفوذه على اتباعه من القبائل اليمنية، فقد تركزت السلطة في قبضة الأمير السعودي، الذي أصبح يتصرف مع الادارسة ومع سكان عسير تهامة تصرف الغزاة الفاتحين.

وعندما وجد الادراسة انهم جردوا من كل شيء وفقدوا كل امتياز، ووضعوا في الظل، فأنهم بدأوا في التململ، وصعب عليهم قبول ما آلوا إليه من حال مخز ومحزن، وشرعت عسير تهامة تستعد للانتفاضة ضد الاحتلال السعودي الذي استفز مشاعرها، وجرح كبرياء ها، واذاقها مرارة الذل والهوان.

---

[1] اقرأ نص المقررات لدى الخطيب ص 190 . 191، وقارن بريموند، وفاروفي ص 65، واقرأ بلاغاً سعودياً في المقطم عدد 13326، في 29 . 11 . 1932، وصف بريموند وفاروقي هذه المقررات باعتبارها اتفاقية جديدة، وقالا انها عقدت في 27 . 10 . 1930،وقد استندت الى المصادر العربية التي تشير إلى ان ذلك حدث في 17 . 11 . 1930.

[2] اقرأ البلاغ السعودي، المصدر السابق، وقارن عطار ص 632.

[3] قارن القطم عدد 13346، في 22 . 12 ت 1932، وقارن العقيلي ص 293 . 294.

وكانت العلاقات بين الامام يحيى وابن سعود قد ازدادت تفاقماً وتوتراً، وقد قادت الاحتكاكات بين فصائل الفريقين على الحدود غير الطبيعية وغير المحددة، والتي تلت ضم عسير تهامة مباشرة، إلى ان قام الجنود اليمنيون بعملية زحف في خريف 1931، حققوا بها انتصارات عسكرية في بعض جبال عسير تهامة، حيث استولوا على منطقة بني منبه، وجبل العرو، والارض المحيطة به جنوب شرف أبو عريش، ومن هناك عزموا على التقدم صوب جبل فيفا، وبلاد بني مالك،[1] رافعين بذلك علم توحيد الوطن اليمني من جديد.

احتج ابن سعود برقياً على الامام يحيى، وشدد على القول بأن المنطقة المستولي عليها تتبع المنطقة الادريسية، وكان رد الامام بأن سكان المنطقة موافقون على هذا الاجراء، لم يجرؤ عبد العزيز في هذا الوقت العصيب الذي كان فيه سخط الادارسة قد بلغ مداه بسبب الحاق امارتهم على الدخول في صدام مع الجيش اليمني الزاحف، وفضل حل المسألة سلميا، ولهذا الغرض فأنه اقترح على ملك اليمن عقد مؤتمر يضم الفريقين، قبل يحيى حميد الدين بالاقتراح، وارسل وفداً مكوناً من الشيخ عبد الله بن علي مناع، وابو طالب بن محمد محجب، والقاضي عبد الله العريشي وكان ممثلوا الجانب السعودي يتألفون من فهد بن زعير، محمد بن دليم،عبد الوهاب أبو ملحة، حمد العبدلي،محمد يحيى باصهى، وكانت رئاسة الوفد لعبد الله بن معمر أمير بيشه، وقد جرت المفاوضات في 25 جمادي الثاني 1350 هـ (7 . 11 . 1931) في القطيع بالقرب من جبل عرو،[2] ولم يحدث اتفاق بين الجانبين، وقد تمسك الوفد

---

[1] قارن: العربية السعودية، جون فيلبي، لندن 1955، ص 322ن وعيد ربي، جون فيلبي، لندن 1952، ص 148، والكتاب الاخضر السعودي ص 16، والمقطم، عدد 13455، في 2 . 5 . 1933.

كتب جون فيلبي على نفس الصفحات بأن الاستيلاء على عرو حدث منذ مطلع 1931، بينا قال العقيلي في 292 بأن ذلك قد تم في عام 1347هـ (1928 . 1929).

وقد استندت إلى ما اوردتها المقطم. واعتبره غير ارد ان يكون هذا الحدث قد جرى في هذا الوقت المبكر نسبياً، اولاً لأن احدث اعلان سعودي حول ذلك قد صدرفي خريف 1931، وثانياً لأن الحكومة السعودية دأبت على اصدار بلاغات حول كل مسألة في الوقت الملائم. (قارن البلاغ لمكتب الصحافة السعودي في المقطم، عدد 12972، في 10 . 10 . 1931).

والفتح في 3 . 6 . 1350 هـ (16 . 10 . 1931) ومجرى الاحداث قد برهن أيضاً على أ، الاستيلاء على عرو قد تم في خريف 1931.

[2] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص 16 . 18 ، والبلاغ السعودي في المصدرين السابقين،وانظر أيضاً بلاغاً سعودياً آخرفي المقطم 13029، في 16 . 12 . 1931، وتقريراً لنزيه مؤيد العظم في المقطم، عدد 13006، في 19 . 11 . 1931، وقارن الخطيب في ص 210، وامين سعيد في "اليمن" القاهرة 1959 ص 82، والعقيلي ص 294، ذكر امين سعيد في نفس الصفحة، والخطيب في ص 211، بأن الاجتماع تم في 15 . 6 . 1350 (27 .

اليمني بعدم سحب الفصائل من عرو، بينما رفض الوفد السعودي بقاءها، وتبع ذلك تبادل البرقيات بين الامام وابن سعود، وكان الجانبان يحاذران من اندلاع الحرب، وقام ابن حميد الدين بتحكيم ابن سعود في المسألة، ولان الأخير كان يواجه مصاعب في هذا الوقت في عسير تهامة فأنه حكم لصالح الامام يحيى، وتخلى له عن جبل عرو، ولكن على أمل ان يكون ذلك بمثابة ورقة رابحة في يده يلعب بها لدفع خصمه إلى القبول بتخطيط الحدود، لذلك فأنه في نفس الوقت الذي ابلغ فيه الامام يحيى بحكمه اقترح عليه حل "مشكلة الحدود" قبل ابن حميد الدين اولاً بقرار ابن سعود، واكد له ان قواته لن تتقدم صوب فيفا، وبني مالك، غير انه ابلغ ابلغه أيضاً ان هذا الحل لمسألة عرو لا يشمل مشكلة الحدود، وكلف وفده مرة أخرى بالتفاوض مع ممثلي ابن سعود حولها، وقد انتهت المفاوضات بين الجانبين في 5 شعبان 1350 (15 . 12 . 1931م)، إلى عقد ما اسمى بـ "معاهدة الصداقة وحسن الجوار".

وقد تضمنت المعاهدة من جملة ما تضمنته النقاط التالية: تتعهد الدولتان بالحفاظ على الصداقة وحسن الجوار، وتوثيق عرى المحبة، وعدم ادخال الضرر ببلاد كل منهما، وتسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية إلى كل من الحكومتين،وكذلك الفارين عن طاعة، ومحاكمة رعايا طرفي المعاهدة في نفس البلد الذي يحدثون فيه حدثاً، ومعاملتهم في الدولة الأخرى في جميع الحقوق طبقاً لاحكام الشريعة، ومنع الأمراء والعمال من التدخل في شؤون مواطني الطرف الآخر، مما يكون من شأنه إحداث القلق وسوء التفاهم بين الدولتين.[1]

ومن المعاهدة يبدو جلياً ان ابن سعود لم يستطع ان يحقق غرض، فقد كان يطمح إلى تعيين الحدود بين مملكته ومملكة الامام يحيى، بحيث تدخل عسير كلها، مع نجران ضمن منطقة نفوذه وهكذا بقيت مشكلة الحدود قائمة، ومع ذلك فقد اعتبر ابن سعود هذه النتيجة التي امكن احرازها بمثابة كسب، وأمل ان يكون امام اليمن قد تخلى عن مشاريعه في استعادة عسير، ولذلك فأنه ارسل في 19 . شعبان

---

10 . 1931) بينما كتب محمود كامل المحامي في ص 412 من المصدر الاسبق بأن الاجتماع لم يحدث الا في 6 . 11 . 1931.

وهذا لتحديد الأخير يقترب مما جاء في البلاغ السعودي الذي نشره المقطم في عدد 13029، وهو ما اعتبرته صحيحاً، وعند حدوث اختلافات في الرأي لدى المؤلفين، فأنني كنت اميل إلى الاخذ بالبلاغات الرسمية السعودية، باعتبارها أكثر دقة.

[1] قارن ويليمز، سيتورات (بريطانيا والدول العربية) (الترجمة العربية) القاهرة ص 205، والخطيب ص 211، واقرأ نص المعاهدة في "البلاغ" عدد 3474،في 16 . 5 . 1934، وعدد 3424، في 25 . 3 . 1934، ولدى امين سعيد 82 . 83، وقارن خلاصة المعاهدة في المقطم عدد 3455، في 2 . 5 . 1933، واقرأ البلاغ السعودي الصادر عن قلم المطبوعات والمتعلق بالمعاهدة في "الفتح" في 1 . 1 . 1932.

1350هـ (30. 12. 1931م) برقية إلى ملك صنعاء يقول فيها: "... وانا لمسرورون من الوصول لهذا الاتفاق"، وابلغ بأنه صدق على المعاهدة، وطالبه بعمل نفس الشيء غير ان ابن حميد الدين كان مدركاً لهدف الملك السعودي، وأجاب عليه تلغرافياً في 5 رمضان 1350هـ (24. 1. 1932م) كالتالي: ".. وفي الحقيقية نحن وانتم على اتفاق دائم ان شاء الله، وان لم يكن منتظماً في صورة المعاهدات الدولية، واساليبها العصرية، وما حرره المندوبون من الثمان المادات فهي لدينا مرعية من قبل ومن بعد ان شاء الله..." واردف حاكم صنعاء: "وثمة تفرعات ملحوظة" واقترح لبحثها ارسال مندوبي ابن سعود إليه "مع توسيع خطتهم". غير ان ابن سعود لم تكن لديه النية للتفاوض فترة أطول، وقدر انه سيحدث توتر في العلاقات بين الجانبين. ولانه كان عليه ان يواجه مؤامرات كبرى اخذت تندلع في الحجاز، واضطرابات في عسير تهامة فقد تحتم ان يوقف مفاوضاته مع الامام يحيى، وكان من مصلحته في هذا الوقت العصيب ان يسود الهدوء بينه وبين ابن حميد الدين، ولهذا فقد تضمنت برقيته الجوابية التي ارسلها إليه في 15 شوال 1350هـ (14. 2. 1932م) موافقته على البحث في المسائل الأخرى التي تركها الإمام، وفي نفس الوقت الذي شدد فيه على اهمية ما اشار إليه يحيى حميد الدين من انهما متفقان دائماً فأنه اقترح تأجيل المفاوضات إلى وقت لاحق، حيث ان أعضاء وفده "غير نشيطين في الوقت الحاضر"[1].

ان هذا الواقع وحده يبين بوضوح ان امام اليمن لم يكتف من حيث الأساس بالنتيجة التي اثبتتها المعاهدة كواحدة من قضايا النزاع المحسومة، وظل يرفع مطالبه في عسير. كما ستبرهن على ذلك أيضاً الاحداث التالية. وان كانت الاتفاقية قد صرفته عن اتخاذ موقف ثابت ومستقيم حيال سياسة التوسيع السعودية، واكتسب ابن سعود وقتاً ثميناً تفرغ اثناءه لاخماد الانتفاضات التي هبت في وجهه فيما أسمى بملحقات نجد.

الفصل الرابع

انتفاضة عسير تهامة بقيادة الادارسة

ضد الاحتلال السعودي وموقف الامام يحيى

احدث الحاق عسير تهامة من قبل ابن سعود سخطاً عاماً. كما سبق القول. سواء لدى الادارسة أو لدى أهل عسير، ولم يكن العسيريون وحدهم يريدون التحرر من نير التحكم السعودي، وانما كذلك الحجازيون أيضاً، فقد كون الحجازيون الذين ذهبوا إلى المنفى في القاهرة أو غيرها بعد احتلال بلادهم من قبل ابن سعود. كونوا "حزب الاحرار الحجازي" الذي اتخذ من القاهرة مركزاً له، وقد دعم أمير شرق

---

[1] اقرأ نص البرقيات الثلاث في البلاغ، عدد 3474، في 16. 5. 1934، وقارن الخطيب ص 211، والكتاب الاخضر السعودي ص 22، وامين سعيد 83. 84.

الأردن عبد الله بن الحسين حركة المعارضة هذه بقوة، لانه هو أيضاً لم ينس طرد الملك الوهابي لكل عائلته من الحجاز، ومن القاهرة توجه انشط زعماء الحزب وهو السيد محمد حسين الذباغ إلى مصوع، عدن، كمران، اللحية، صبيا، صنعاء، من أجل الدعاية للقيام بانتفاضة ضد ابن سعود، واكتساب انصار لذلك، واقام صلة مع الحسن الادريسي في صبيا، ولقيت دعايته صداها المتوقع لدى الادارسة، وحسب خطته فانه ينبغي ان يقود الشيخ حمد بن رفاده الذي كان في منفاه في مصر مع محاربي قبائله انتفاضة من شمال الحجاز، في الوقت الذي يتحرك فيه الحسن الادريسي في الجنوب مع قبائل عسير تهامة، غير ان محاولة جر الامام يحيى للاشتراك في هذا المشروع الحربي بقيت بدون نتيجة، فلم يكن ابن حميد الدين مستعداً للدخول في المغامرة، لانه كان يخشى ما قد يصيبه به التطور الخطير للحرب، ولكنه وعد، بأنه سيتخذ موقفاً سلمياً ازاء الادارسة.[1]

وكان ابن سعود قد عرف منذ شوال 1350 هـ 0فبراير 1932) ان مؤامرة تعد ضده، وقد زوده عملاؤه في عدن بوثائق حول تفاصيل الحركة التي يراد تفجيرها في الشمال والجنوب. وفي 14 محرم 1351هـ (20 مايو 1932) ابلغته المفوضية البريطانية في جدة بأن ابن رفادة سيبدأ على الفور انتفاضة من الشمال،[2] ذلك ان ابن سعود كان قد غدا . ولا سيما بعد تصفية عرش اشراف مكة . معتمد بريطانيا القوي والاساسي في الجزيرة العربية.

وبالفعل فقد اندلعت الانتفاضة في الشمال، غير ان الادريسي لم يتحرك من الجنوب. لقد اراد ان يحضر نفسه للمهمة بما فيه الكفاية، ولقد تجلى ان ذلك كان غلطة تكتيكية، حيث رمى ابن سعود بكل ثقله ضد ابن رفادة، وساعدته بريطاني العظمى على القضاء على الحركة، فقد رابطت باخرة حربية بريطانية في العقبة، لمنع أي معاضدة تأتي من قبل أمير شرق الأردن، وارغم المندوب السامي البريطاني في شرق الأردن الأمير عبد الله على الادلاء بتصريح يعلن فيه انه سوف لن يدعم الانتفاضة، واوضح ممثل الاستعمار البريطاني هناك أيضاً بأن القوات المسلحة البريطانية سوف تتخذ اجراءات لمساعدة الجيش السعودي، مما اكسب ابن سعود يداً قوية في مواجهة الانتفاضة.

ولاكتساب عواطفه فقد ارسل حتى يحيى حميد الدين برقية إلى ابن سعود، ابلغه فيها بأن الجيش الشمالي تحت قيادة نجله ولي العهد احمد، والذي يتكون من 15000 رجل تحت صرفه.

---

[1] قارن الخطيب ص 199 . 202، والجرافي ص 254، وفاروقي ص 68، وبريموند ص 104 والمقطم عدد 13785، في 24 . 5 . 1934، (مقال لامين سعيد)، ذكر امين سعيد أيضاً ان الحزب دفع للادارسة في أول الأمر 3000 جنيه للتحضير للانتفاضة كما تسلموا منه فيما بعد آلاف الجنهيات الفلسطينية.

[2] قارن عطار ص 614، 631، والمقطم عدد 13785 في 24 . 5 . 1934 (المقالة المذكورة اعاله) وفي ديسمبر 1932 نشرت الحكومة السعودية الوثائق التي زودها بها عملاؤها في عدن، والمتعلقة بالانتفاضة التي يعد لها خصومها في عسير والحجاز، قارن أيضاً البلاغ السعودي في المقطم عدد 13326، في 19 .11 . 1932.

كان جيش ابن سعود قد تمكن في ربيع الأول 1351هـ (يوليه 1932) من توجيه ضربة مدمرة إلى رجال ابن رفادة، وان يقتل ابن رفادة أيضاً، ولذلك فقد رد السلطان الوهابي على الامام برقياً شاكراً استعداده، مبلغاً اياه بأنه قد تم القضاء على حركة التمرد.[1] وبالقضاء على هذا التمرد أمن سلطان نجد وملحقاتها ظهره من جهة الشمال، وضمن نهائياً خضوع الحجاز له.

وقام ابن سعود باستباق الادارسة، ففي 22 سبتمبر 1932 أصدر مرسوماً ملكياً أعلن بمقتضاه تحويل نجد والحجاز وملحقاتهما، بما في ذلك عسير السراة، وعسير تهامة إلى مملكة موحدة هي "المملكة العربية السعودية".[2]

وبذلك بلغ سخط الادارسة قصى مدى له، وكادت تتفجر الانتفاضة، وأبرق الملك عبد العزيز في 28 جمادي الثاني 1351 هـ (29 . 10 . 1932) إلى الحسن الادريسي يحذره في لهجة حازمة من الاقدام على المغامرة، ولكن عبثاً، فقد رد الحسن بأن السخط متجه ضد أمير عسير تهامة فهد بن زعير ، ومفتش المنطقة تركي بن ماضي، ولم يتراجع عن تفجير الحركة.[3]

في 5 رجب 1351هـ (4 . 11 . 1932) بدأت الانتفاضة، وعلى الفور اعتقل تركي بن ماضي في صبيا، كما اعتقل كل الحكام أو الأمراء السعوديين، أمير أبو عريش سعيد البويري، أمير الحارث سعيد بن العبد، أمير صامطة محمد بن إبراهيم ، أمير القحمة واخرين، ووجه الحسن الادريسي انذاراً عن طريق شيخ بني مروان أحمد شيخ، واحد مشائخ بني عريش موجهاً إلى أمير عسير تهامة كلها فهد بن زعير بالاستسلام، غير ان هذا قام باعدام الرسولين، وابرق إلى ابن سعود طالباً نجدته. زحف الانتفاضيون من محاربي القبائل تحت قيادة الحسن الادريسي وعبد الوهاب نجل محمد علي الادريسي، تجاه جيزان. بعد وقت قصير من ضرب الحصار على المدينة استسلمت الحامية السعودية الموجودة هناك، واراد ابن زعيران يدافع عن نفسه من قلعة جيزان التي تحصن فيها، والتي كانت توجد فيها محطة البرق، من حيث تمكن ان يكون على صلة مع الملك السعودي، على امل ان تصل النجدة في اسرع وقت ممكن، غير ان وابل قذائف المدفعية هدد بتحطيم قلعته، ولذلك فانه استسلم مع كل رجاله، الذين اخذهم معه في صبيا كأسرى، بينما طرد اخرون إلى الحجاز ، ودخل الحسن وعبد

---

[1] قارن الخطيب ص 203 . 204، وعطار ص 614 . 417، واقرأ برقيتي الامام وابن سعود في "الفتح" عدد 311 في 21 . 5 . 1351 (22 . 9 . 1932) وفي البلاغ عدد 288، في 30 . 9 . 1932.

[2] قارن فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، القاهرة 1933 ص 391.

[3] قارن الخطيب ص 707.

الوهاب مدينة جيموان دخول الظافرين وسقطت المنطقة الادريسية بكاملها، ابتداء من جنوب ميناء القحمة في الشمال، إلى ميناء الوسم في الجنوب، في يد الثائرين اليمنيين.[1]

وفي أم الخشب الواقعة في شمال شرق صبيا ضربت التعزيزات التي كانت قد جمعت من عسير، بعد ثلاثة أيام من حدوث الانتفاضة، بعد ان عجزت عن الصمود في وجه رجال الادريسي من قبائل بني شبيل، والبياشعة، والنجور اليمنية.[2]

والحسن الادريسي الذي غدا الآن ثائراً بدأ اخيراً يتحدث ضد ابن سعود، وعن الأسباب العميقة للانتفاضة قائلاً: "ان الأسباب تفوق الحصر، واهمها اسلوب الحكم، وهو في مجموعه وتفصيله ظلم، وارهاق، وجور، وعنت، لم تر البلاد عشره من حكومة الترك" وأردف بأن السعوديين رفضوا الاصغاء "إلى نصائحنا، وقد كانوا على العكس يتخذونها ذريعة لاهانتنا من نواح شتى" وأضاف: "وفوق هذا حرموا علينا السيادة الروحية في البلاد... فأمروا ائمة المساجد بأن يخطبوا باسم الملك عبد العزيز، ويدعوا له بعدما كان الدعاء باسمنا، الأمر الذي أزعج القبائل..." وقال ان السلطات السعودية حظرت الاتجار مع مملكة اليمن، وعندما علم ابن زعير ان 20 من العسيريين من بينهم "بعض أبناء رؤساء القبائل". "ابتاعوا سلعاً من ميدي"فأنه ثار "وامر بجلدهم في الشارع ليلقي الرعب في قلوب العسيريين من حكمهم، مع ان العربي بفطرته يأبى الضيم، ويفضل قطع عنقه بالسيف، على ان يجلد، لأن عقوبة الجلد من عمل الولادة الطغاة مع عبيدهم الارقاء، وما ان علم مشائخ القبائل بهذا الأمر حتى ثار ثائرهم، وبلغ بهم ذلك إلى ان صارحونا بقول جارح لم نعهد منهم بعضه، فقد قالوا لنا: انتم ايها الادارسة ادخلتم حكم السعوديين الجائر إلى هذه البلاد، فاختاروا واحداً من اثنين، فاما ان تخرجوهم. كما اتيتم بهم. واما ان نستعين بالله، ونتولى نحن اخراجكم واخراجهم من بلادنا، ولا تلوموا الا انفسكم ولا حول ولا قوة الا بالله." وواصل امام عسير تهامة السابق: "خشينا ان يفلت من ايدينا قياد القبائل" واشار الادريسي إلى السبب المباشر لقيام الانتفاضة: "انهم دمجوا عسيراً في ممالكهم، فيما يسمونه المملكة السعودية، ولكنهم "لم يفتحوا بلادنا بالسيف كما يزعمون مع غيرنا، ولما طلبنا من اميرهم ابن

---

[1] اقرأ تصريحاً للحسن الادريسي، في المقطم عدد 13388 في 10 . 2 . 1933، وتقريراً من الحديدة، في المقطم عدد 13323 في 25 . 11 . 1932، وقارن العقيلي ص 302 . 306، وتقريراً من السيد أحمد المحضار من جيزان، مرسل في رجب إلى "الفتح" عدد 321 في 2 . 12 . 1932. يقع العقيلي في خطأ عندما يكتب في ص 302 ان الانتفاضة بدأت في أول جمادي 1351 هـ (1 . 9 . 1932) ومن هذا الخطأ نبع كثير من الاخطاء فيما يتعلق بتواريخ الاحداث وكل المصادر التي استندت إليها حددت 5 رجب 1351هـ (4 . 11 . 1932) كتاريخ لبدء الانتفاضة، وقد زكى مجرى الاحداث صحة هذا التاريخ. قارن (عدا المصادر الانفة الذكر)، والخطيب ص 207 والبلاغ عدد 3330 في 22 . 12 . 1932.

[2] قارن التقرير المذكور اعلاه المرسل من الحديدة في المقطم عدد 13323 في 35 . 11 . 1932.

زعير ان يتريث في إعلان هذا الأمر، حتى نأخذ رأي القبائل فيه، ونراجع جلالة ابن السعود لم يقم لكلامنا وزنا، وأعلن الضم، وأمر باطلاق المدافع ايذانا به." تلك هي .كما أكد الحسن الادريسي . عوامل "الثورة النجدية" وسبيل الخروج منها "والاصلاح هو في بقاء السعوديين في نجدهم، والادراسة في عسيرهم، ثم نعقد حلفاً شريفاً على ان يكون الطرفان سداً منيعاً في وجه كل من يحاول شراً بأحد القطرين."[1]

يمثل المدافعون عن سياسة ابن سعود دوراً ملموساً، ولذلك فإن اهميته ثانوية تماماً، وقد تحدث الحسن الادريسي حول ذلك بقوله: "ماذا ينتظر من الصحف الحجازية .وهي لسان حال الحكومة الرسمي غير هذا، بل ما هو أكبر منه مثل وصمنا بالخيانة والغدر، وهم لو رجعوا لانفسهم، واعترفوا (لاعترفوا) بأن الذي ألف بين قلوبنا وقلوب الاحرار الحجازيين هو ماهية الحكم الوهابي في القطرين."[2]

رغم النصر السريع الذي حققه الانتفاضيون العسيريون فانه كان ينقصهم السلاح والذخيرة، والحاجيات المعيشية، التي لا يستطيعون بها الدفاع طويلاً عن الاستقلال الذي حققوه الان، وردع الهجمات المستمرة للوحدات السعودية المسلحة تسليحاً جيداً ضد قبائلهم اليمنية الشجاعة.

ولان موانئ عسير تهامة كانت واقعة تحت الرقابة الصارمة للسلطات السعودية، فإن الادراسة لم يتمكنوا في هذا الوقت من استيراد الاسلحة، ولذلك حاول الحسن مؤقتاً ان يكسب وقتاً، ففي 12 رجب 1351هـ (11 . 12 . 1932) ابرق إلى ابن سعود مقترحاً عليه ارسال أمير أكثر احساساً بالمسؤولية، ولم يفت عبد العزيز مغزى محاولة الادريسي هذه ورد قائلاً بأنه يجب عليه ان يتفاهم اولاً مع قائد الفصائل التي ارسلت لضرب الانتفاضة اليمنية.[3]

ولهذا كان على الحسن الادريسي ان يرتب نفسه لحرب دفاعية طويلة الامد في مواجهة الغزاة الوهابيين، وبعد استيلائه على جيزان،وتركيز انصاره وبصورة خاصة، في الحفائر، حيث توجد آبار المياه، كر عائداً إلى صبيا، ووجه قوة خاصة لاعتراض القوات السعودية المتقدمة، التي كانت تحت قيادة محمد شهيل، ومساعده حمد السليمان، وكانت تتكون من 500 جندي جيدي التسليح مع 70 سيارة حمل، وكان تحت تصرف الحملة أيضاً مصفحتان مزودتان بالمدفعية الخفيفة والرشاشات.

---

[1] اقرأ نص تصريح الادريسي كاملاً الذي أدلى به لمراسل جريدة "المقطم" المصرية في عسير تهامة عدد 13388 في 10 . 2 . 1933.

[2] اقرأ تصريح الادريسي السابق في نفس المصدر.

[3] اقرأ تصريحاً لابن سعود لدى عطار ص 633 . 634 فوفي الفتح، عدد 390، في 12 . 4 . 1934 وقارن البلاغ السعودي في الفتح، عدد 321، في 2 . 12 . 1932، وفي المقطم عدد 13326 في 29 . 11 . 1932.

وقام محاربو القبائل اليمنية في عسير تهامة الذين كانوا ذوي سلاح رديء، ولكن كانوا ذوي بسالة في القتال، بمجابهة القوى السعودية، وحاولوا . في المرحلة الأولى من الحرب . تخريب الطرقات على هذه الوحدات الآلية، غير انهم بسبب تجهيزاتهم السيئة واجهوا مع الصدامات الأولى الهزيمة، وكان عليهم . ولا سيما بعد فقد قائدهم أحمد بن علي الحازمي . ان ينسحبوا إلى الخلف.

وفي نفس الوقت اتيح لحوالي 200 من الجنود السعوديين بقيادة ابن درعان بمساعدة زورق بخاري حربي ان يقتحموا عن طريق البحر مدينة جيزان التي كانت . رغم امكانياتها الدفاعية الملائمة . غير محصنة، فقد ركز الادريسي كل اهتمامه للدفاع عن المدينة من جهة البر ،ولم يحسب امكانية مهاجمتها من البحر، وقد كلفته هذه الغلطة التكتيكية فقدان جيزان التي كان قد استولى عليها منذ وقت قصير [1] وفي نفس الوقت الذي هوجمت فيه جيزان من البحر تقدمت القوات البرية السعودية صوب المدينة واحتلتها في 18 رجب 1351هـ (17 . 11 . 1932) دون مصاعب كبيرة، كما تم الاستيلاء أيضاً على جزيرة الفرسان، وسقطت في يد الحملة السعودية كل السواحل الشمالية اليمنية لعسير تهامة التي كان قد استردها الادريسي،[2] خلال الانتفاضة.

لقد استحق هذا لنصر السريع الذي حققه ابن سعود اغتباط حلفائه البريطانيين الذين من ناحيتهم جعلوا طائرتين تحلقان فوق مينائي جيزان والقحمة، وفوق مدينة صبيا، وفوق ساحات المعارك، وذلك في 16 رجب 1351هـ (15 . 11 . 1932)[3]. لم تكن عملية التحليق هذه مقصوداً بها استكشاف ما يدور في عسير تهامة، وانما بالدرجة الأولى اعطاء ابن سعود سنداً عسكرياً عن هذا السبيل، وتخويف الايطاليين الذين رأوا في هذا النزاع فرصتهم من أجل محاولة التدخل فيه، وكان الايطاليون قد ارسلوا باخرة حربية إلى ميناء المضايا الواقع جنوب جيزان، واجروا فوق ذلك مفاوضات مع الحسن الادريسي، ولكن ازاء خسران المعارك التي دارت حول جيزان كان عليهم ان يسحبوا باخرتهم الحربية[4]، كان سير المعارك غير المشجع هو السبب الرئيسي في تراجعهم، وليس مجرد احتجاج ابن سعود لدى

---

[1] قارن العقيلي ص 307 . 310 غير ان العقيلي يشير إلى ان عدد الجنود الذين جاؤوا مع الزورق البخاري 150 فقط، وقد اعتمدت ما جاء في تصريح ابن سعود الانف الذكر من ان عددهم كان 200، وذكرت مصادر أخرى انهم كانوا 500 رجلن (قارن المقطم عدد 1334 في 8 . 12 . 1932). (تقريران من الحديدة وجيزان) والبلاغ عدد 2950

[2] قارن البلاغ السعودي في الفتح، عدد 321 في 2 . 12 . 1932 وعطار ص 634، والخطيب ص 207، والعقيلي ص 311.

[3] قارن البلاغ عدد 3466 في 8 . 5 . 1933.

[4] قارن المقطم عدد 13334 في 8 . 12 . 1932، (من تقرير مرسل من جيزان في 26 . 11 . 1932).

مفوضيتهم في جدة[1] أو وقوف بريطانيا العظمى الصريح إلى جانب الرجل الاثير لديها عبد العزيز، الذي شجعت دائماً مطامعه التوسعية تجاه الاراضي اليمنية.

ان مما يسترعي الانتباه هنا هو موقف الإمام يحيى ازاء الانتفاضة في عسير تهامة، التي كان يتمسك في جدله مع سلطان نجد بتبعيتها لليمن. كان ابن سعود . الذي تصور سلفاً حدوث مثل هذه الانتفاضة ضده . يخشى منذ البداية ان يستغلها ابن حميد الدين فرصة، ويسعى إلى تحقيق مطالبه في المنطقة الثائرة باستخدام القوة، وتوقع ان يحاول فرض مطامحه في عسير تهامة وضمها إلى المملكة اليمنية من خلال التعاون مع الثائرين اليمنيين فيها. واستباقاً للاحداث ارسل الملك الوهابي رسالة إلى الامام يحيى في 9 . 10 . 1932 صحبة مبعوث خاص حملها إلى صنعاء هو محمد بن ضاوي، حيث اقترح عليه وضع حدود مشتركة، واتخاذ موقف ثابت ومشترك ازاء العدوان الخارجي، والاضطرابات الداخلية.[2]

وبينما اشتعلت القبائل اليمنية في عسير تهامة الحرب ضد ابن سعود، طمعاً في تحرير هذا الجزء الهام من اليمن من قبضته، واتخذ نضالها اشكالاً متصاعدة القوة باستمرار، ظل ابن حميد الدين منشغلاً ولمدة شهرين كاملين بمفاوضات لا جدوى منها مع البعثة السعودية. وخلال ذلك تمكن الملك الوهابي من تجريد حملات تأديبية قضى بها على الانتفاضة اليمنية الفتية في عسير تهامة وتمكن بذلك من ايقاع يحيى حميد الدين . في مهارة فائقة . في فخ لا يحسد عليه، فقد اتيح له من خلال المفاوضات التي خطط لها منذ البادية ان تكون غير مجدية ولا مثمرة، وان تكون لمجرد كسب الوقت اتيح له عزل الملك المتوكلي عن اتخاذ موقف حاسم من الانتفاضة عزلاً تاماً ونهائياً، ولقد ارتكب حاكم صنعاء غلطة قاتلة عندما قبل في مثل هذا الوقت الدقيق والحرج بالنسبة للسلطان الوهابي ان يدخل في مفاوضات عقيمة، وعندما لم يستغل الحالة الناشئة والمؤاتية لوضع يده في يد الادارسة، والتعاون معهم في الكفاح من أجل إيجاد جبهة يمنية موحدة لاسقاط الهيمنة السعودية عن عسير تهامة وتحرير هذا الجزء السليب من اليمن، ولم يغب عنه فحسب الفهم اللازم للظرف التاريخي الملائم والقائم بالفعل، وانما غابت عنه أيضاً الشجاعة الضرورية، والمطلوبة في هذا الوقت، فلم يكن الوضع يغلي ضد ابن سعود في عسير تهامة فقط، وانما أيضاً في عسير السراة، كل شيء كان يعمل في صالح يحيى حميد الدين ولصالح حدوث انتفاضة يمنية شاملة، فلاول مرة في تاريخهم كان الادارسة

---

[1] قارن العقيلي ص 331 والاهرام عدد 17745 في 5 . 5 . 1934.

[2] اقرأ نص خطاب ابن سعود في الكتاب الاخضر السعودي ص 29 . 31 (وثيقة رقم 23) ونقاطاً منه لدى أمين سعيد في (اليمن ص 85) وقارن المقطم عدد 13312 في 12 . 11 . 1932) نقلاً عن جريدة أم القرى الحجازية).

مستعدين للتعاون مع امام اليمن، وللدخول معه في حرب تحرير ضد التسلط السعودي، ولانتزاع عسير كلها من قبضته. وبعد ان ذاقت القبائل اليمنية في عسير بسهلها وجبلها مرارة وبشاعة التحكم الوحشي والطغيان الهمجي للاحتلال العسكري السعودي، فانها لأول مرة أيضاً كانت قابلة للسير تحت لواء ابن حميد الدين، لاسقاط هيمنة وقهر الحكم الوهابي. كانت الشروط مهيأة وناضجة لأن يهب سكان المنطقة هبة رجل واحد، ولان تنهض جبهة كفاح ثوري موحدة، وان تشن حرب تحرير شاملة تصهر خلالها وفي اتونها وحدة الوطن اليمني، لو ان حميد الدين قد تقدم، ببصيرة سياسية نافذة، وروح قتالية جسور، نحو حمل مسؤوليته التاريخية، ولو انه لم يغفل هذه اللحظة السانحة، ولم يترك الفرصة الذهبية تضيع من يده.

ان مما يبين مدى تقصير الامام يحيى، وتقاعسه، وتخاذله عن النهوض بواجبه النضالي والحتمي ازاء هبة عسير ان مشاكله الداخلية في هذا الوقت كانت قليلة، وان علاقاته مع انجلترا كانت نسبياً عادية.

ان تدعم بريطانيا الملك الوهابي في هذه الحرب، فإن ذلك لا يشكل مانعاً. ازاء مثل هذه الفرصة الملائمة والفريدة لتحرير عسير وتوحيد البلاد. من الاقدام على خوض غمرات القتال، وتقبل مخاطره، وما كان بامكان انجلترا ان تقوم بتدخل مباشر في الحرب لصالح عبد العزيز، فذلك ما كان سيحول دونه الايطاليون بالتأكيد ، حيث ان الفاشية الايطالية. برغم محاولاتها التوسعية في مملكة الامام يحيى. كانت تنظر إلى اليمن. وبصورة خاصة شواطئها الغربية المطلة على البحر الأحمر ، وعلى منطقة نفوذها في اريتيريا القريبة والواقعة على الجانب الآخر من الشاطئ. باعتبارها مجالاً حيوياً ومطلوباً ولا غنى عنه بالنسبة لاستراتيجيتها الاستعمارية في بناء وتحقيق سيطرة عالمية.

كانت اذن كل العوامل الداخلية والخارجية والمؤثرة في هذا الصراع تقف. في تقديري والى حد كبير. في جانب قيادة وانجاح حرب تحرير وتوحيد شاملة لو ان يحيى حميد الدين امتلك الحس النضالي الجريء والمرهف، وامتلك الشجاعة لوضع شعار الوحدة اليمنية موضع التطبيق، ولم يسقط في شرك هذه المفاوضات المملة والخائبة، ولو انه على أقل تقدير قدم الدعم اللازم لانتفاضة عسير المجيدة، ولمحاربيها اليمنيين البواسل. "لقد وقفنا على الحياد منذ حركة الثورة الادريسية الحجازية بالرغم من انها في أرض يمنية، مراعاة لحرمة الجوار، ولكن على الرغم من حيادنا وسكوتنا عن المطالبة هي تابعة لمملكتنا." هكذا تحدث سيف الإسلام أحمد نجل الامام يحيى، وقائد جيش اليمن الشمالي محدداً موقف الحكومة اليمنية من انتفاضة عسير، ومن القضية برمتها.[1]

---

[1] اقرأ تصريح ولي العهد اليمني في البلاغ، عدد 3351، في 12 . 1 . 1934، وتصريحاً آخر له بنفس الدلالة في البلاغ 3260، في 13 . 10 . 1932، وقد نقل التصريحين أحمد شريف المكي، أحد أعضاء حزب الاحرار الحجازي الذي قام بزيارة لليمن، والتقى بالامير غير مرة، وقد وصف الحسن الادريسي موقف الامام بأنه "موقف

وقد حاول الامام ـ عن طريق ممثلية في المفاوضات اليمنية ـ السعودية ـ ان يبرر هذا الموقف المتخاذل بالخوف من تدخل الاجنبي، ذلك لانه ـ كما قال ـ لو بادر إلى الدعم "والمساعدة لكان ضرر للبلاد، واخرجت عن ايدي الجميع".[1] وكان ابن حميد الدين قد ارسل برقية إلى ابن سعود بعد اندلاع الانتفاضة، اعرب فيها ـ بلهجة نفاق واضحة ـ عن اسفه واعتذاره لقيام الحركة. وعلى الرغم من انه كان يعرف حيداً بأن هبة ستحدث في عسير تهامة، فانه ابلغ ابن سعود بأنه لا علم له بذلك قط وطمأنه بأنه حذر الحسن الادريسي من التعاون مع أي قوة اجنبية، إذ ان حدوث مثل ذلك فيه ضرر على الجزيرة العربية كلها، وعلى الإسلام من اساسه، واكد له ان الخشية من التدخلات الاجنبية هي التي كيفت موقفه من الادريسي حيث قال في هذه البرقية: "قد بلغ الينا ما ساءنا من الثورة في جيزان، والحقيقة لاعلم لنا عن شيء من امرها، الا بعد شروعها، واعلموا انه وصل الينا من بعض أصحاب الحسن ما يفيد انه ان كان شيء مما يخشاه، فلابد ان يتفق بالاجانب. وقد كان الجواب بالايناس والتحذير... فكونوا على استعداد تام من دون توغل، واعلموا انه إذا كان تمايل الحسن إلى أحد الاجانب ففيه غاية الضرر علينا وعليكم."[2]

والواقع انه لا يمكن القبول بمنطق الخوف من التدخل الاجنبي كسبب أو عذر يحتمي به ابن حميد الدين، ويبرر به عدم مبادرته إلى احتضان وتطوير الحركة الانتفاضية التي اهتزت بها عسير وتحويلها إلى حركة تحرير وتوحيد وطني شاملة. ولقد كان موقف الامام يحيى هذا غير المبرر وغير المقبول أحد الأسباب التي ساعدت ابن سعود ـ ولو بشكل غير مباشر ـ في الانفراد بالانتفاضة والقضاء عليها.

ولقد امتدحت الاوساط الرسمية السعودية سلوك الامام الغبي هذا ازاء الحركة، وكانت به في غاية السعادة والمرح، "ومما تذكره الحكومة بسرور في هذا البيان الموقف الحميد الذي وقفه جلالة الامام يحيى" "ولا يسعنا الا تقدير الموقف الودي الذي أظهره سيادة الامام يحيى حميد الدين، والثناء على سياسته، بما ابداه تجاه جلالة الملك وحكومته"، ومع ذلك فإن قصائد المديح المنثورة هذه لم تدم طويلاً، فعندما ساءت العلاقات بين ابن حميد الدين وابن سعود وجه الأخير سبابة الاتهام إلى الاول، واظهر إلى أي مدى كان يخشى من تطور الامور، فيما لو اتخذ الامام يحيى موقفاً ايجابياً وعملياً من

الحياد التام، ونحن شاكرون له هذا الموقف الحميد" (اقرأ تصريح الادريسي في المقطم، عدد 13388، في 10 ـ 2 ـ 1923).

[1] الكتاب الاخضر السعودي ص 38.

[2] اقرأ نص برقية الامام يحيى في "الفتح" عدد 322، في 10 شعبان 1351، (8 ـ 12 ـ 1932)، نقلاً عن جريدة أم القرى).

الانتفاضة، "وخشيت من مداخلة يحيى، وارسلت جنوداً أخرى قضت على الفتنة في سائر المقاطعة، ولما رأى يحيى ان الأمر قد انتهى، تنصل."[1]

نعم اراد يحيى الانتظار، حتى يرى في أي اتجاه تتطور الاحداث، ولكن حتى هذا الموقف قد اظهر عدم قدرته على وزن الأمور وزناً صحيحاً، وتقدير موازين القوى، بين ابن سعود من جهة والحسن الادريسي من جهة أخرى.

وفي كل الأحوال كانت الاعتبارات والتقديرات التي حكمت موقفه وقيدته عن التحرك في الاتجاه الايجابي والصحيح، فإن موقفه هذا فوق انه اتسم بالضعف، والنفاق، والجبن فانه قد افلت من يده لحظة تاريخية لا تكرر، ولا تعوض، ولا تقدر بثمن، واضاع بذلك فرصة ذهبية كان يمكن استثمارها من أجل تحرير هذا الجزء المغتصب من اليمن، وتوسيع رقعة الدولة اليمنية.

بعد شهرين من المفاوضات، وبعد اخماد انتفاضة عسير تهامة عاد الوفد السعودي من صنعاء في 7 رمضان 1351هـ (4 . 1 . 1933) حاملاً معه رسالة من الامام يحيى إلى ابن سعود، اوضح له فيها بلغته الركيكة. "لولا المتفرنجون سهلوا للاجانب من كيد الإسلام ما لا يخطر لهم ببال لكان الإسلام منيع الجانب، بعيد المنال." واكد له ان الثائرين اليمنيين وجدوه عنيداً صلباً ليس من السهل استهواؤه واكتسابه إلى جانب مخططهم. "ولقد وجد منا الاشرار دعاة الضلال شديد الشكيمة، صعب المراس، غير ملتفت إلى ما يزخرفون من الترهات، وهيهات هيهات ان يجد منا المخذولون إلى واديهم أي تعريج." واشار إلى انه موافق على مقترحات محددة قدمها ابن سعود، وان كان لا تحل معضلة الحدود. "وانما الذي في النفس مسألة الحدود فهي المفتقرة إلى حسن النظر، فالمرجو من حضرتكم عطف النظر إلى ذلك، وارخاء العنان إلى ما هنالك، وارسال من تثقون به، واسع الخطة، سيجد منا سلس القياد، غير ناظر إلى غير الاسعاد، وثمة مراجعة في كلام قد انبرم والمجال في تسويته غير ضيق."[2]

---

[1] انظر البلاغ السعودي الصادر عن قلم المطبوعات في مكة في الفتح، عدد 326، في 3 رمضان 1351 (1 . 1 . 1933) والفتح عدد 390، 27 الحجة 1352 (والبلاغ عدد 3951 في 21 . 2 . 1933 (نقلاً عن أم القرى).

[2] قارن المقطم عدد 13549، في 19 . 8 . 1933، وعدد 13455، في 2 . 5 . 1933 (نقلاً عن جريدة الايمان اليمنية) والفتح عدد 332 في 21 شوال 1351 (17 . 2 . 1933) وامين سعيد (اليمن) ص 85 . 86.

في 22 شوال 1351 نشرت الجريدة الحجازية (أم القرى) خطاب الامام بعد ان حذفت منه مطالبه، مما دفع جريدة الايمان اليمنية إلى نشر الخطاب كاملاً في شهر العقدة 1351 (فبراير مارس 1933) وقد نشرت جريدة المقطم الصادرة في عدد 13549 في 19 . 8 . 1933 الفقرات التي اهملتها "أم القرى"، واقرأ خطاب الامام كاملاً في "المقطم" عدد 13549 في 19 . 8 . 1933، وقارن الكتاب الاخضر السعودي ص 31 . 32 (الوثيقة رقم 24).

لقد برهنت الاحداث بقوة وجلاء ان ابن سعود نجح في بلوغ هدفه، حيث تمكن من صرف ابن حميد الدين عن سير الحوادث، وبينما كان الملك المتوكلي جالساً حول مائدة المفاوضات، كان المناضلون اليمنيون الشجعان في عسير تهامة يسكبون دماءهم في القتال ضد حملات التأديب السعودية، ويستميتون في الكفاح من أجل تحرير هذا الجزء السليب من اليمن.

بعد احتلال جيزان من قبل الفصائل الوهابية حاول الانتفاضيون اليمنيون الذين كان قبيلة المشاركة تحت قيادة عبد الوهاب الادريسي تمثل قوتهم الصدامية ان يستعيدوا هذا الميناء الهام في 2 رجب 1351 هـ (24 . 11 . 1932) وقد وجهت الضربة الرئيسية إلى القوات المرابطة في الحفائر القريبة من جيزان، حيث كانت توجد آبار المياه التي يتوقف عليها الشيء الكثير، وهنا في الحفائر التي وصلت إليها تعزيزات مكونة من 500 جندي سعودي اقلتهم باخرة المانية دارت معركة مريرة دامت عدة ساعات قتل فيها قائد الفصائل السعودية عبد الله بن درعان، ولكن دون ان يحقق محاربو القبائل اليمنية العسيرية نجاحاً يذكر، مما اضطرهم إلى التقهقر نحو الجنوب.[1]

في هذا الوقت حدثت مؤامرة في صبيا التي كان الحسن قد برحها إلى وادي ضمد، بقصد حشد القبائل للمقاومة، فقد استغل العضو السابق في هيئة مجلس الشورى الخاص بالامارة الذي تمت تصفيته، والذي كان أكبر تاجر واكبر اقطاعي في عسير تهامة كلها تقريباً، وكان في نفس الوقت عدواً لدوداً للادريسي، وعميلاً للسعوديين، وهو محمد يحيى باصهى، استغل غياب الحسن ودبر إحداث تمرد في المدينة. وفي 25 رجب 1351هـ (24 . 11 . 1932) استدعى هو وانصاره قوة سعودية من جيزان، وقام باطلاق سراح فهد بن زغير مع 30 شخصية من رجاله السعوديين المعتقلين. غير ان الادريسي تصرف بسرعة وحسم، وترك قبائل المسارحة وبني شبل تجتاح صبيا، وتفتك بالمحرضين على التمرد.[2] ولم تتمكن القوة الآلية والمجهزة بأسلحة ثقيلة، ومدافع رشاشة، والتي قدمت في 27 رجب 1351هـ (26 . 11 . 1932) من جيزان من ضرب الثائرين اليمنيين.[3] وازاء الهجوم الذي قامت به

---

[1] قارن العقيلي ص 326، والمقطم عدد 1334 في 8 . 12 . 1932 (من تقرير مرسل من جيزان في 26 . 11 . 1932) تضمن التقرير مبالغات غير صحيحة، حيث ذكر ان الثائرين استعادوا جيزان وصادروا الزورق البخاري، وغيره من السفن الشراعية (قارن المقطم عدد 13341 في 16 . 12 . 1932).
(من تقرير مرسل من عدن في 7 . 12 . 1932) ذكر التقرير أيضاً ان الباخرة الالمانية ستؤجر بالف جنيه.

[2] قارن العقيلي ص 313 . 326، فيما يتعلق بالتواريخ التي اوردها المؤلف فانني لم استند إليه لنفس السبب الانف الذكر، وقد ملت هنا إلى رأي المقطم عدد 13341 في 16 . 12 . 1932) من تقرير مرسل من عدن في 7 . 12 . 1932).

[3] قارن المقطم عدد 13341 في 16 . 12 . 1932 (التقرير المذكور) ومع ذلك فإن التقرير لم يكن خالياً من المبالغات، حيث يذكر مثلاً قتل قادة سعوديين في صبيا، بينما تثبت الاحداث التالية بقاء الكثير منهم على قيد

الفصائل السعودية التي انحدرت من عسير السراة بقيادة عبد الوهاب أبو ملحة كان على المحربين اليمنيين ان يخلوا المدينة، ولكن ليطوقوا الغزاة بها، وقد تحولت المدينة التي كان معظم بيوتها من القش، ببعض من فيها، نتيجة تبادل النيران، إلى كتلة من اللهب.[1]

كانت القوات السعودية تواجه خطراً حقيقياً، عندما ارسلت مجاميع قوية من قبائل التربة، العقم، السبيع، وغيرها، تحت قيادة خالد بن لؤي نحو عسير السراة للمحافظة على الوضع هناك، حيث كانت المقاومة العنيدة في عسير تهامة قد عكست اشعاعاتها وتأثيرتها على عسير السراة، وقد دارت معارك مريرة بين قبائل بني شهر اليمنية، والفصائل السعودية المتقدمة، وان كانت لم تستطع اعاقة زحف النجدة السعودية، ولكنه عندما انحدر نحو عسير تهامة حدثت في شهر ديسمبر 1932 بين القائد السعودي (ابن لؤي) وبين المحاربين اليمنيين من قبائل بني الغازي، الصهاليل، الحقو، وغيرها قتالات شديدة في وادي بيش ما بين مسلية وسلامة السفلى وفي وادي البيض، وفي 27 شعبان 1351هـ (25 . 12 . 1932) حسم القتال لصلاح القوة السعودية، ولكن بعد قتل القائد السعودي خالد بن لؤي، وبعد وصول تعزيزات سعودية جديدة بقيادة ربيعان، وقد تقدمت الفصائل الوهابية نحو صبيا، واستولت عليها ودمرت مراكز الثائرين اليمنيين.[2]

لقد قادت حركة المقاومة القومية في عسير تهامة إلى ان منطقة عسير السراة التي سيطر عليها ابن سعود عام 1922، والتي لم يتمكن من ابقاء حكمه فيها الا بالقهر الشديد بدأت تغلي، وبدا كما لو كانت ترغب في الانضمام إلى الانتفاضة،واخذ الخطر الحقيقي يهدد ابها ليس من قبل اتباع الادارسة فحسب، وانما أيضاً من قبل سكانها هي بالذات، وعلى الفور بادر ابن سعود إلى تجريد حملة برئاسة

الحياة، وقد نبهت البعثة الدبلوماسية المصرية في القاهرة إلى ان بعض هؤلاء الذين اعلنت وفاتهم يعيشون في مكة، ولكنها لم تنف حدوث قتال في صبيا (قارن المقطم، عدد 13344 في 20 . 12 . 1932)

[1] قارن العقيلي ص 326 . 327.

[2] قارن البلاغ عدد 2986، 12 . 1 . 1933 (من أربعة بلاغات من هيئة الثورة الادريسية . الحجازية في عسير تهامة) المبالغات التي تحتويها مثل هذه البلاغات اتركها جانباً. قارن أيضاً البلاغ عدد 2956 في 13 . 12 . 1932 (من تقرير مرسل من عدن في 12 . 12 . 1932 لمراسل الجريدة) قارن أيضاً العقيلي ص 329 . 339، نشر قلم المطبوعات السعودية بلاغاً حول الاحداث في عسير وحول حملة خالد بن لؤي، أعلن فيه ان خالد بن لؤي توفي قبل وصوله إلى صبيا، وان نجله سعد تولى قيادة الحملة. قارن الفتح عدد 326 في 8 رمضان 1351 (5 . 1 . 1933) وقد ايد العقيلي القول بأن ابن لؤي توفي في وادي البيض.

غير ان التقارير الانفة الذكر تؤكد مقتل بن لؤي، وان أحمد سلومي أحد مشائخ بني غازي اجتز رأسه، وأحضره إلى الحسن الادريسي في موقعه بالزحيمة. وبقطع النظر عن هذه المعلومات المتعارضة فانه من غير المستبعد ان يكون خالد بن لؤي قد قتل فعلاً، ذلك ان موته حدث في وادي البيض، حيث دارت معركة بين العسيريين والوهابيين.

عبد العزيز بن مساعد الذي سبق له في مطلع العشرينات ان لعب دوراً في اطفاء حركة عسير السراة الثورية ضد التسلط الوهابي، حيث قام هذه المرة بوضع المدينة تحت وطأة احتلال اندلاع موقع جديد للانتفاضة في هذا الجزء من عسير، وبقي ابن مساعد في ابها، للحفاظ على النظام، وللحيلولة دون انتشار لهب الحركة الثورية إلى هناك، وللتحكم في الوضع في عسير السراة.[1]

بعد الهيمنة الكاملة على صبيا زحفت الفصائل السعودية الغازية التي وصلت إلى هنا مع الفصائل الموجودة في جيزان تحت قيادة سعد بن لؤي في 30 شعبان 1351هـ (28 . 12 . 1932) في اتجاه الشواطئ الجنوبية لعسير تهامة، حيث يوجد ميناءي المضايا والموسم، اللذين كان الانتفاضيون اليمنيون يستخدمونهما للاتصال بالخارج، واستيراد حاجيات المحاربين والسكان معا. ومخافة سقوط الميناءين، ودرءاً للخطر الزاحف صوف الشواطئ الجنوبية، قام الادريسي بتعبئة قوة دفاعية من قبائل المسارحة، وبني شبيل والحكمية موضوعة تحت رئاسة الكلاس. وفي بداية شهر رمضان 1351هـ (29 . 12 . 1932) دارت معركة في المضايا، فاقت في قوتها كل المعارك السابقة، ولكن بفضل تجهيزهم الجيد تمكن التوسعيون السعوديون من احراز النصر، ومن الاستيلاء على كل الشواطئ الجنوبية ابتداء من جيزان إلى وادي تعشر شمال ميدي، وبذلك أيضاً تمكن الجيش السعودي الغازي من عزل الادارسة عن البحر وحرمانهم من كل اتصال بالخارج، ومن محاصرة الثائرين اليمنيين في داخلية البلاد.[2]

---

[1] قارن تصريحات للمفوض السعودي في لندن حافظ وهبة "الفتح" عدد 330 في 7 شوال 1351 (3 . 2 . 1932) قارن أيضاً المقطم عدد 13329 في 2 . 12 . 1932 أكد التقرير المرسل من عدن في 23 . 11 . 1932 بأن ابها مطوقة، عززه تقرير آخر من الحديدة، جاء فيه ان قبائل رجال المع هم الذين ضربوا الحصار حول ابها (قارن أيضاً المقطم عدد 13329 في 2 . 12 . 1932 أكد التقرير المرسل من عدن في 23 . 11 . 1932 بأن ابها مطوقة، عززه تقرير آخر من الحديدة، جاء فيه ان قبائل رجال المع هم الذين ضربوا الحصار حول ابها (قارن المقطم عدد 13323 في 25 . 11 . 1932.) ولكني لا اميل إلى هذا الرأي، فوق ذلك فإن رجال المع ظلوا خلال الانتفاضة في حالة هدوء، كما اشار أيضاً لعقيلي في ص 312، ولكنه غير مستبعد ان يكون قد انضم محاربون من رجال المع إلى الحركة، وان تكون أبها قد هددت من قبل انصار الادريسي القريبين من محيط أبها. على ان شيئاً واحداً يمكن الجزم به وهو ان أبها كانت تواجه خطراً حقيقياً نتيجة لاندلاع الانتفاضة في عسير تهامة، وانها لهذا السبب احتلت مرة أخرى من قبل ابن مساع<ن لتجنيبها كل الاحتمالات الخطرة الناجمة عن تطور الاحداث، والى هذا المعنى أيضاً اشار حافظ وهبة، وهو ما دعمته أيضاً المقطم عدد 13396 في 19 . 2 . 1933.

[2] قارن بلاغا سعودياً في المقطم عدد 13361 في 8 . 1 . 1933 وفي البلاغ عدد 2981 في 17 . 1 . 1933 والبلاغ عدد 3021 في 17 . 2 . 1933 (تصريح من هيئة الثورة الادريسية . الحجازية) احتوى التصريح على مبالغات تخالف الحقيقة.

كان الهدف التالي للفصائل الوهابية هو العمل على التطويق الكامل للمدينة الكبيرة الباقية (أبو عريش). وفي 6 رمضان 1351هـ (3 . 1 . 1933) امكن . بمساعدة عناصر خيانة مشتراة . اجتياح المدينة دون مصاعب كبيرة. وفشلت محاولة الادارسة في استعادة أبو عريش عن طريق قوة محاربة من قبيلة المسارحة بزعامة الشيخ البارز صديق حوارة، وحولت المدينة في 18 رمضان 1351هـ (15 . 1 . 1933)عن طريق القوات السعودية الغازية المحتشدة فيها إلى نقطة انطلاق للعمليات التالية ضد مواقع الادارسة وانصارهم.

خلال ذلك شكل الادارسة الجبهة الشمالية تحت قيادة عبد الوهاب الادريسي، ومهمتها استعادة صبيا، والجبهة الجنوبية حوارة، ومهمتها استرداد أبو عريش، والمنقطة المستولى عليها من المسارحة.

وفي 15 رمضان 1351 هـ (12 . 1 . 1933) اتيح للمقاتلين اليمنيين العسيريين بقيادة محمد حسن أبو شقارة، اكتساح موقع أم الخشب الواقع على الطريق بين عسير السراة وعسير تهامة، والذي كان يشكل نقطة استراتيجية بالغة الاهمية بالنسبة للفصائل السعودية المعتدية، ومعاقبة رجال ابن سعود، بينما امكن لشيخ منطقة بيش قاسم بن إبراهيم العكفي ان يلوذ بالفرار.[1]

غير ان محاولة استرجاع صبيا منيت بالفشل، وتكبد عبد الوهاب الادريسي هزائم متلاحقة في المعارك التي خاضها في البيض، مما اضطره إلى التقهقر نحو الجنوب، للاضطلاع بقيادة الجبهة الغربية، وفي 15 يناير 1933 نشب القتال في وادي ضمد، في الحمى، في المصم جنوب شرق أبو عرش، ولم يستطع عبد الوهاب ان يكسب أي موقعة، ومضى في انسحابه تجاه جبال فيفاء، وانهارت الجبهة الغربية، في نفس الوقت الذي كان فيه الحسن يواصل تقهقره تحت ضغط الزحف السعودي المستمر، حتى استقر في أبو حجر في منطقة بني شبيل، قبل ان يضطر لمغادرته لصالح العدو، ويلجأ إلى قرية الغوية الواقعة أسفل جبال الحارث.[2] وبذلك انهارت أيضاً الجبهة الجنوبية، وشيئاً شيئاً اخذ القتال الآن يتسم بطابع حرب العصابات وقد استلزمت أعمال اخضاع الثائرين اليمنيين في الجبال الوعرة، والحقول، والوديان قوى كثيرة. كان جبل ساق الغراب الممتد من الحارث في الجنوب الشرقي على حدود المملكة المتوكلية اليمنية إلى بني مالك في الشمال الشرق ما يزال في ايدي المحاربين اليمنيين العسيريين، حينئذ أمر ابن سعود قائده في ابها عبد العزيز بن مساعد بالانحدار نحو عسير تهامة، للتعاون مع القوات المتواجدة هناك، من أجل وضع نهاية حاسمة للانتقاضة. قبل وصوله حاول سعد

---

[1] قارن البلاغ، عدد 3021، في 17 . 2 . 1933، (من بيان لهيئة الثورة الادريسية . الحجازية) والعقيلي ص 333 . 335.

[2] قارن البلاغ،عدد 3021، في 17 . 2 . 1933، (البيان الانف الذكر) والبلاغ، عدد 3065، في 2 . 4 . 1933 (بيان هيئة الثورة الادريسية . الحجازية) والعقيلي 333 . 335، وعطار 635.

بن خالد بن لؤي ان يحسم الموقف في المنطقة الجبلية، ففي 1 شوال 1351هـ (28 . 1 . 1933) زحف في اتجاه منطقة الحارث،حيث نشبت معركة هزمت فيها قبيلة شراحيل التي كان يتزعمها علي شيبان في قرية الجابري، وواصل ابن لؤي زحفة، وتعقبه للحسن الادريسي، ووجه إليه ضربة في قرية القوة، ثم توجه إلى قرية بني الغازي، حيث قهر سكانها الذين كانوا تحت امرة السيد ملا القبي، بعد قتال شديد في 12 شوال 1351هـ (7 . 2 . 1933).

وفي تقهقره المستمر التجأ الحسن الادريسي إلى جبل العبادل، كما ان عبد الوهاب الادريسي الذي كان يقود ثلة من الثائرين اليمنيين ضرب في 11 شوال 1351هـ (6 . 2 . 1933) في منطقة الحسيني.[1]

بعد ان صفيت الانتفاضة اليمنية الباسلة في عسير تهامة تقريباً قام الامام يحيى بمحاولة خائبة في تغيير مجرى الكافح لصالح الادريسين وبالتالي لصالحه، فقد عرض وساطته لحل مشكلة السلطة في عسير تهامة، لم يرفض ابن سعود في أول الأمر ذلك، ولكنه قبل ذلك ترك قواته تحتل كل المناطق التي تحصن فيها الثائرون اليمنيون في جبل ساق الغراب، فقد ارسل عبد العزيز بن مساعد الذي عين قائداً اعلى، والذي هبط بقوة عسكرية ضاربة من ابها إلى عسير تهامة بلغت 10000 جندي إلى الحارث حيث تجمع الثائرون من جديد حول الادريسي، وبعد معركة جرت في القوة في 13 شوال 1351هـ (8 . 2 . 1933) سقطت المنطقة كلها في يد الجنود السعوديين الغزاة، وتقدم ابن مساعد بنفسه ضد عبد الوهاب تجاه جبل فيفاء في الشمال، وفي 14 شوال 1351هـ (9 . 2 . 1933) تمكن من ضرب المقاومين اليمنيين من اتباع الادارسة الذين كانوا بزعامة حيدر بن محمد النعمي، بعد معركة ساخنة في الحقو، ورغم المقاومة اليمنية العنيدة والباسلة التي ابتدتها قبائل فيفاء والمهاليل وغيرها، والتي قادها خلالها شيخ فيفاء علم يحيى، فقد تمكنت الفصائل السعودية المعتدية في 18 شوال 1351هـ (13 . 2 . 1933) من احتلال جبال فيفاء واطفاء الانتفاضة الثورية هناك.

واضطر الحسن الادريسي الى ترك جبل العبادل، والتوجه إلى جبل العرو التابع للمملكة اليمنية، وهناك تلقى برقية من الامام يحيى في 7 شوال 1351هـ (12 . 2 . 1933) تقترح ذهابه إلى ميدي، ليتسنى له الاشتراك في مؤتمر يعقد هناك بينه وبين ممثلي ابن سعود، بينما يترك قيادة المقاومة . وفق اقتراح الامام . لعبد الوهاب الادريسي، ولكن جبال العبادل سقطت بدورها في يد القوات السعودية،

---

[1] قارن البلاغ عدد 3065، في 1933/4/2 (بيان هيئة الثورة الادريسية . الحجازية) وقد اهملت من البيان المبالغات التي لا تتفق مع مجرى الحوادث، قارن أيضاً العقيلي ص 333 . 335.

وطورد اتباع الادارسة إلى آخر ركن انزووا فيه، وبذلك انهارت الانتفاضة نهائياً،[1] والتي شكلت واحدة من اعظم الانتفاضات اليمنية ضد الاحتلال السعودي.

حينئذ اقتصرت البرقيات التي تبادلها الامام يحيى مع ابن سعود على اصدار عفو عام عن الفارين إلى مملكته، وعندما استجاب عبد العزيز لذلك رجاه ابن حميد الدين في منح عفو خاص للحسن الادريسي وعائلته ولم يتأخر الملك الوهابي عن الاستجابة، لذلك أيضاً،[2] وفي نفس الوقت عقد في 29 شوال 1351هـ (24 . 2 . 1933) في ميدي المؤتمر المقترح من قبل الامام يحيى، وقد ترأس الوفد السعودي كل من تركي بن ماضي، وابن شعيل، بينما كان المفاوض عن الادارسة، هو شيخ المسارحة صديق حوارة، وكان حاكم ميدي القاضي عبد الله العرشي ممثلاً للامام في هذا اللقاء .وقد اقترح ممثلاً الامام والادريسي معاً اعادة الوضع السابق في المنطقة المتنازع عليها إلى ما كان عليه، أي اعادة الادارسة إلى عسير تهامة، وبعث امارتهم، والاعتراف بهم حكاماً لها، على ان تخضع الامارة للحماية السعودية وفق معاهدة مكة المبرمة في 21 . 10 . 1926، غير ان ابن سعود الذي لم يخضع المنطقة الا بحد السيف، والذي غدا الآن بعد قضائه على انتفاضتها سيد الموقف، لم يكن مستعداً للتراجع قيد انملة والقبول بأوضاع سابقة منتهية، مما يكون من شأنه أضعاف قبضته على عسير تهامة، وتركها تخرج تدريجياً من منطقة نفوذه، لتسقط في آخر الأمر في دائرة مملكة الامام يحيى، ولذلك رفض وفده كل هذه المقترحات، واعاد القول بأن بامكان الفارين العودة إلى مناطقهم حسب اشارة ابن سعود، وهكذا انتهى المؤتمر في مارس 1933 إلى فشل تام.[3]

---

[1] قارن البلاغ، عدد 3065، في 1933/4/2 (البيان المذكور) اضافة إلى المبالغات فقد صور البيان ان المحاربين كسبوا المعارك المشار إليها، ولكن ذلك غير صحيح، والدليل على ذلك، وعلى ان النصر كان حليف القوات السعودية ان هيئة الثورة الادريسية . الحجازية كفت منذئذ عن اصدار بلاغاتها. قارن أيضاً المقطم عدد 13468، في 1933/5/17 (من بيان هيئة الثورة) والبلاغ عدد 3224، 7 . 9 . 1933، (من تقرير مطول للشريف المكي، عضو حزب الاحرار الحجازي، مرسل من ميدي في 14/ ربيع الثاني 1352 (1933/7/27) والمقطم، عدد 13517، في 1933/5/13، والفتح، عدد 233، في 28 شوال 1351 (1933/2/23) (مقتبس من الجريدتين السعوديتين، أم القرى، وصوت الحجاز)، إلى المملكة اليمنية منذ 1933، في الواقع ان ذلك لم يحدث الا في فبراير 1933، وذكر عطار في ص 653، ان عبد الوهاب هرب مع الحسن الادريسي، غير ان ذلك لا يطابق الواقع المشار اليها.

[2] قارن عطار ص 653، واقرأ نص برقي واقرأ نص برقية إلى ابن سعود في الفتح، 337، في 27 العقدة 1351 (1933/3/23) واقرأ تصريحات لابن سعود في المقطم، عدد 13449، في 1933/4/25.

[3] قارن

بعد زيارة لميدي في 3 ذو القعدة 1351هـ (28 . 2 . 1933) استقر الحسن الادريسي في قرية ذهب حجر بالقرب من مدينة حرض، وغادر عبد الوهاب الادريسي جبال عسير تهامة، بعد ان فقد كل امل في الحصول على أي قدر من النجاح، وتوجه في 5 ذو الحجة 1351هـ (1 . 4 . 1933) إلى ميدي.

ومع ذلك فإن ابن سعود كان يحاذر من تجدد الانتفاضة الوطنية، طالما والادارسة يقطنون قريباً من عسير تهامة ويحظون الآن بعطف ابن حميد الدين. وقد ابلغ الامام يحيى الذي أكد له انه مسؤول عن كل مما يأتون ويدعون، وقنع عبد العزيز بهذا التطمين كما بدأ، واعتمد للادريسي . بناء على رجال الامام . مساعدة شهرية قدرها 2500 ريال[1]

وبينما استقبل البريطانيون بارتياح ظاهر ، احتلال ابن سعود لعسير تهامة، وتصفيته لانتفاضتها بكل ما كان يمكن ان تؤول إليه من تأثيرات ايجابية على قضية الوحدة اليمنية، كان موقف الايطاليين . بسبب علاقة الملك السعودي الخاصة بلندن . على العكس من ذلك.

وبعد فوات الاوان اكتشف ابن حميد الدين ان موقفه السلبي ازاء الانتفاضة اليمنية الباسلة في عسير تهامة، كان بمثابة غلطة سياسية حقيقية، وعزم منذئذ على انتهاج سياسة جديدة تتميز بالمجابهة، ولذلك فانه قرر الاستيلاء على اقليم نجران، ومد سلطته إلى عسير تهامة،[2] تحقيقاً للوحدة اليمنية.

البلاغ، عدد 3427، في 1934/3/29 (من تقرير للمثل الادريسي) والمقطم، عدد 13141، في 1933/3/14، والبلاغ عدد 3224، في 7 . 9 . 1933 (من التقرير الآنف الذكر للشريف المكي (والمقطم، عدد 13786، في 25 . 5 . 1934، وطربين ص114، وبريموند ص108، وفاروقي ص68.

ولكن العقيلي يرتكب خطأ عندما يكتب في ص 337 ان الوفد السعودي توجه إلى ميدي منذ رمضان 1351 (ديسمبر 1932 . يناير 1933) إذ لم يصل إلى ميدي الا فيما بعد، حسبما تشير المصادر الآنفة الذكر.

[1] قارن الكتاب الاخضر السعودي، ص28، وتصريحاً لابن سعود في الفتح، عدد 390، في 27 الحجة، 1351 (1933.4.22) وعار ص 636، والبلاغ، عدد 3060، في 28 . 3 . 1933 والبلاغ، عدد 3224، في 4 . 9 . 1933، (من التقرير السابق للشريف المكي).

كان الحسن الادريسي يتقاضى من 2500 ريال 20000 ريال (100 جنيه) بينما كان عبد الوهاب الادريسي يحصل على الـ 500 (25 جنيه) الباقية.

يرتكب العقيلي في ص 337 خطأ مجدداً عندما يشير إلى ان الحسن الادريسي وصل إلى ميدي في رمضان 1351 (ديسمبر 1932 . يناير 1933) حيث ان مثل هذا التاريخ يتناقض مع كل ما اوردته المصادر السابقة، وهو غير صحيح بالمرة.

2

واذا ما اوجزنا القول لحق علينا ان نؤكد ان انتفاضة المناضلين اليمنيين في عسير تهامة ضد الاحتلال والتعسف السعودي كانت استمراراً للروح النضالية، والتقاليد الثورية لاهالي عسير، ولليمن كلها، والتي طبعت تاريخ كفاحها ضد سياسة التوسع الوهابية منذ مطلع القرن التاسع عشر.

ولقد لعب الحسن الادريسي قائد هذه الانتفاضة. ولاول مرة. دوراً ايجابياً فعالاً، سواء فيما يتعلق بمواجهة عملية الغزو والاستبداد السعودي، أو فيما يتعلق بالسياسية البريطانية التي كانت في هذا الوقت مع البيت الحاكم والقوي في الرياض، ضد البيت المنهار في صبيا، وبهذا الموقف حاول الادريسي اصلاح خطئه التاريخي الذي اسلمه إلى مثل ما آل إليه، ولو في وقت متأخر جداً، وبذلك سجل لنفسه صفحة بيضاء في كتاب اسرته المليء بالصفحات السوداء!

ولا يعود فشل انتفاضة عسير اليمنية المجيدة إلى التجهيزات المتفوقة للفصائل الوهابية فحسب، وانما أيضاً إلى الدور السلبي والبليد الذي مارسه الامام يحيى ازاءها، والذي كان صورة نموذجية للخطأ التاريخي الجسيم الذي يمس مصائر الشعوب، ويضر بقضايا تحررها ووحدتها.

الفصل الخامس

استيلاء الجيش اليمني على نجران

وامتداد سلطة الامام يحيى إلى جبال عسير تهامة

منح وجود الادارسة في الملكة اليمنية الامام يحيى قوة اضافية، ذلك ان هؤلاء عملوا على تشجيع وتحريض ابن حميد الدين على اتخاذ موقف أكثر فعالية وقوة ضد ابن سعود، مؤكدين له ان عسيراً سوف تستقبل جيش التحرير والتوحيد اليمني بالترحاب والتحية، وان انصارهم هناك سوف يؤيدونه، ويعلنون تضامنهم معه.

وقد وجد هذا التحريش صداه الايجابي لدى الجالس على عرش بلقيس، والحالم دائماً بأن يكون سيد اليمن غير المنازع، ووجدها الآن فرصة حقة، ليس فقط لتغيير طريقته السلبية في مواجهة المواقف والاحداث المتفجرة، وانما أيضاً للمضي قدماً في اتجاه تحقيق احلامه في ان تكون "اليمن لليمنيين" وان يكون هو الحكام المطلق في هذه اليمن الموحدة[1]

ولصرف يحيى حميد الدين عن مشاريعه الطموحة هذه التي لم تكن تخفى على ابن سعود وحلفائه البريطانيين، فإن صاحب نجد. مسنوداً بالسلطات الانجليزية في عدن. بدأ في تدبير مؤامرات داخل المملكة اليمنية نفسها، سواء في المنطقة السهلية أو الجبلية، واوعز إلى محاربين قبليين من نجران بأن يلتحقوا بالتمرد الذي بدأ في قبيلتهم الأم، بكيل، غير انه اتيح للجيش الذي كان تحت امرة ولي العهد أحمد حميد الدين. نجل يحيى، والذي وصفه كتاب التاريخ الغربيون بأنه محارب العائلة الحميدية،

[1] قارن المقطم، عدد 13739، في 31. 3. 1934.

والمدافع القوي عن عرشها، اتيح لهذا الجيش ان يقضي على هذا التمرد الخطير، قبل ان يشتد ويستفحل، وان يدحر في شهر ذي القعدة 131هـ (مارس 1933) المحاربين اليامیين القادمين من نجران والمهاجمين من منطقة الفرع في اقصى شمال المملكة اليمنية،[1] وان يحول على هذا النحو السريع والعاصف دون نشوب تمردات أخرى في مناطق أخرى من البلاد.

ولم يترك ابن حميد الدين الفرصة تمر دون تقديم احتجاجه إلى ابن سعود في شكل برقيتين، يقول له فيهما بأن حاكمه في ابها دأب على استقبال الوفود من نجران، وان . ابن مساعد . يحضر نفسه من عسير السراة للانقضاض على نجران، بغية احتلالها.

وفي برقيتين جوابيتين شديدتي الوضوح حاول الملك الوهابي تهدئة وطمأنة يحيى حميد الدين بأنه لا خطر قط من جانب هذه الوفود اليامية، وان نجران بالذات لا يمكن ان تكون لا من قبل ولا من بعد منطقة نزاع بين الفريقين، وقد فسر الامام هذه الاجابات الواضحة والجلية لصالحه، وعزم على استثمارها، واستباق سلطان نجد نحو وضع اليد على نجران،[2] تحقيقاً لوحدة اليمن.

ولم يكن قد اتيح قبل ذلك لا للاتراك، ولا لابن سعود، ولا لابن حميد الدين اخضاع نجران لحكمهم المباشر، وباستثناء بعض الواحات، فقد كانت نجران معروفة بأنها منطقة صحراوية، وكان سكانها رحالة وشبه البدو، وكانوا يحصلون على وسائل معيشتهم عن طريق الغارات، والغزوات التي كانوا يشنونها ضد القبائل اليمنية المجاورة، وضد نجد أيضاً، وبسبب وضعهم الاجتماعي هذا، كانوا مستعدين لبيع قواهم لكل قوة، حيث كانوا يضعون انفسهم تحت تصرف الذي يدفع اكثر، وكان اليامیون لهذا السبب أيضاً اشد القبائل اليمنية عسكرية. والى هذه البنية الاجتماعية المتميزة نسبياً يمكن اعادة واقع انهم وقفوا ضد كل المحاولات التي استهدفت اخضاعهم لحكومة مركزية، وانهم إلى هذا الوقت كانوا تابعين فقط لزعيمهم الديني الاسماعيلي، المعروف بالداعي المكرمي ولمشائخ قبائلهم.[3]

---

[1] قارن تصريحاً لولي العهد آنذاك أحمد حميد الدين في البلاغ، عدد 3260، في 13 . 10 . 1933 (من تقرير الشريف المكي مرسل من الحديدة في 9 جماد الثاني 1352 (1933.10.9) قارن أيضاً تصريحاً للتحسين باشا، وهو أحد الضباط السوريين الذين استدعوا إلى اليمن، لتدريب الجيش اليمني في البلاغ، عدد 3185، في 1933.6.21، والجرافي ص 243.242.

[2] قارن تصريحاً لابن سعود في الفتح عدد 390، في 27 الحجة 1352 (1934.4.12) واقرأ نص البرقية في الكتاب الاخضر السعودي ص184، وقارن فؤاد حمزة، في بلاد عسير، (القاهرة 1951 ص10) والمقطم، عدد 13603، في 21 . 10 . 1933، (من تعليق الجريدة (الايمان) اليمنية).

[3] قارن المقطم عدد 13744، في1934.4.6، (من مقالة لامين سعيد) العقيلي ص 427 فما بعد "الجزء الأول" وحمزة ص 170 . 174، والكتاب الاخضر السعودي.

ولان الياميين كانوا ينتمون إلى الطائفة الاسماعيلية المنتشرة في أكثر من بلد اسلامي، وتركزوا في منطقة يمنية ذات ظروف جغرافية ودفاعية ملائمة، فانه قد اتيح لهم من خلال هذا التماسك القوي الذي عبر عنه انتماؤهم الطائفي الموحد المحافظة على استقلالهم الذاتي منذ انهيار الدولة الزيدية القاسمية المركزية مع نهاية القرن الثامن عشر.

وقد فشلت كل المحاولات التي قامت بها الدولة السعودية الاولى، وقام بها ابن سعود بعد احتلال عسير السراة من أجل الاستيلاء على نجران، وقد دحرت كل الحملات التي جردها الملك الوهابي ضد الياميين منذ 1920. .1932[1] والآن أدرك عبد العزيز أن يحيى حميد الدين قد اعد نفسه من أجل بسط يده على نجران التي طالما تعلقت بها مطامح نجد التوسعية،

كان مركز الاسماعيليين يقع في "طيبه" جنوب غرب صنعاء. وبعد تهدم سلطتهم في اليمن كانوا يمارسون نشاطهم السياسي في اليمن تحت قيادة الداعي الني، ولكنهم اضطروا منذ 300 سنة إلى نقل مركزهم إلى نجران، بعد ان هرب زعيمهم الديني محمد بن اسماعيل المكرمي إلى هناك، نتيجة اضطهادهم من قبل الطائفة الزيدية.

ومنذ 1088هـ (1678.1677) زاولت الطائفة الاسماعيلية في اليمن اعمالها الدينية تحت زعامة راع يمني.

[11] ينظر السعوديون إلى نجران باعتبارها جزأ من مملكتهم،استناداً إلى حجج غير مقبولة، ومن هذه الوثائق التي يعولون عليها في ذلك رسالة كان قد وجهها سعود الكبير، حاكم الدولة الوهابية الأولى، إلى الزعماء الدينيين لنجران، طالبهم فيها بطاعته، واخبرهم بأن وفداً مكوناً من شخصين قدما إليه من نجران.

الوثيقة الثانية رسالة من الإمام الوهابي فيصل بن تركي بتاريخ 1279.8.13هـ (1863.1.29م) موجهة "إلى كل من يراها" تحدث فيها عن وصول شخصيتين في نجران فقد ابلغه فيصل بأن نجران ونجد يد واحدة ضد كل اعتداء. بعد ذلك طالب الوفد الملك السعودي بتقديم "مساعدة".

والوثيقة الثالثة التي يستند إليها حكام الرياض هي المعاهدة 16 ذو الحجة 1338 (31 اغسطس1920) بين محمد علي الادريسي وابن سعود والتي تنازل الادريسي بمقتضاها من جملة ما تنازل عنه عن يام، أي نجران، لصالح عبد العزيز آل سعود، (اقرأ نص الرسالتين والمعاهدة لدى المختار ص 396 . 400، وقارن الكتاب الاخضر السعودي ص178.174) ولكنه لم يتضح لا من الرسالتين الانفتي الذكر ولا من غيرهما، من الواقع ان نجران قد استولى عليها من قبل السعوديين، واخضعوها لحكمهم، والنتيجة التي يخلص إليها المرء من ذلك كله، هي ان اليمنيين ابدوا استعدادهم للحكام السعوديين بتقديم مرتزقة إليهم، ودعمهم ضد اعدائهم، ولكن مثل هذا النوع من الخدمات كان يقدمها الياميون إلى كثير من الحكام اليمنيين وقد اشار الكتاب الاخضر السعودي بنفسه في ص167 بأن هؤلاء الياميين دعموا ائمة اليمن في كفاحهم ضد الحكم العثماني، كما دعموا آل عائض، والادريسي، والامام يحيى أيضاً جند محاربين منهم، (الكتاب الاخضر ص191، من بيان عبد الله الوزير ممثل الامام في مؤتمر ابها) وقد سبق لي في مكان آخر ان فندت الحجة الاخيرة، مستنداً إلى واقع ان الادريسي لم يحكم نجران، حتى يجوز له أن يتنازل عنها، لابن سعود، ولكن المصادر السعودية تشير إلى ان قوة سعودية ارسلت بقيادة عبود إلى بدر عاصمة نجران قبل الاستيلاء على ابها، أي عام 1338 (1920.1919) امكنها ان ترغم المكارمة على منح ولائهم الصادق لابن سعود! وانه بعد احتلال أبها ارسلت قوة أخرى تحت قيادة ابن عمرو إلى حبونه في

نجران، وقامت باحتلال الموقع،وان بدراً نفسها تم احتلالها، بعد ان دخل فيصل بن عبد العزيز إلى ابها عام 1922. (قارن الكتاب الاخضر السعودي 177، والمختارص399، وبرقية من ابن سعود إلى الإمام في 19 ذو الحجة 1352 (25 . 4 . 1934) في البلاغ، عدد 3452، في 24 . 4 . 1934) وكتبت الجريدة الحجازية (أم القرى) بأن وفداً قدم من نجران عام 1926 إلى مكة، وقدم ولاءه لابن سعود، وان السلطان الوهابي وعد من ناحيته بعدم التدخل في شؤون نجران الداخلية (قارن المقطم، عدد 13744، في 6 . 4 . 1934، من مقالة لامين سعيد). ولكن لا يظهر من هذه المعلومات كلها ان نجران حكمت من قبل ابن سعود، بل ان العكس هو الذي حدث، حيث التزم عبد العزيز بعدم التدخل في شؤونها، والقوة السعودية التي ارسلت إلى نجران بعد الاستيلاء على ابها قد تصدى لها الياميون ودحروها. (قارن البلاغ، عدد 3319،في 11 . 12 . 1933، من مقال مرسل من الحديدة) والوفد الذي وصل إلى مكة عام 1926 عام 1926 كان يطلب .كما هي العادة لدى البدو . مساعدة مالية، وهو ما كان يصنعه بدو نجران مع ائمة اليمن، وحتى مع الادريسي، اما مسألة حكم نجران من قبل ابن سعود فأنه لا مجال قط للحديث عنها.

وكتب جون فيلبي ان الامام يحيى بعث قوة في شتاء 1931 . 1932 قامت باحتلال نجران، وان ابن سعود ارسل قوة مضادة برئاسة خالد بن لؤي، تولت طرد الحامية اليمنية، ووضعت واحة نجران تحت سيطرة الملك الوهابي بصفة دائمة، (قارن فيلبي، عيد عربي، لندن 1952 ص185، وفيلبي، العربية السعودية، لندن1955،ص322، والبلاغ عدد 3415، في 16 . 3 . 1934) (رسالة لجون فيلبي بتاريخ 5 . 3 . 1934) ولكن تلك غلطة كبرى من جانب فيلبي، إذ انه حتى شتاء 31 . 1932 لم يكن الامام يحيى قد ارسل جنوداً إلى نجران، وكما اشار الكتاب الاخضر السعودي أيضاً في ص 148 فقد جرد ابن سعود حملة برئاسة ابن لؤي فقط لتأديب الأحرار السلومي وجماعته لاعتداء قاموا به، دون ان يعترض الامام يحيى. ومعلومات فيلبي هذه نظر إليها من قبل أكثر من كاتب من كتاب التاريخ، وفي ازمان متفاوتة باعتبارها مغلوطة تماماً، فلم تحصل حملة ابن لؤي على موطئ قدم لها في نجران، فقد هزمت في موقعة وادي السنارة على يد اليامييين، ولم تعد على ادراجها الا بالبعض ممن بقي على الحياة من جنودها. (قارن البلاغ، عدد 3319، في 11 . 12 . 1933، (مقالة الآنفة الذكر المرسلة من الحديدة) والبلاغ عدد 3418 في 19 . 3 . 1934) وكتبت جريدة "الايمان" اليمنية في شهر جمادي الثاني 1352 (سبتمبر . أكتوبر 1933) بأنه لم ترتفع راية على نجران لأي قوة من القوى.

وراه وهو يدفع الادارسة إلى المبادرة باثارة اهالي عسير للقيام بانتفاضة جديدة. ولانه لم يكن قد استعد بما فيه الكفاية للحرب ضد ابن حميد الدين، فقد آثر التفاوض معه،بغية اكتساب وقت، وللحيلولة بينه وبين الاقدام على محاولة تنفيذ مشاريعه في نجران وعسير باسم توحيد اليمن. ولهذا الغرض ارسل وفداً إلى صنعاء في مايو 1933،

مكوناً من خالد أبو الوليد القرقافي، والشيخ حمد السليمان، وتركي بن ماضي، ومحمد حابس. غير ان الامام يحيى أراد وضع ابن سعود امام الأمر الواقع،قبل ان يكون وفده قد وصل إلى صنعاء، ولذلك فانه اعطى الأمر لجيش التحرير والتوحيد اليمني بالزحف على نجران في شهر مايو 1933. وعندما وصل الوفد السعودي إلى الحدود الشمالية للمملكة اليمنية قرب ميدي كان الجيش اليمني قد بدأ بالفعل عملية الاستيلاء على نجران،[1] ورفع راية الوحدة اليمنية عليها.

وللقيام بهذه العملية ارسل سيف الإسلام أحمد بن يحيى حميد الدين من بكيل وصعدة قوتين عسكريتين، احداهما تقدمت في اتجاه الشمال الشرقي بقيادة السيد اسماعيل بن الحسن المداني، والاخرى نحو الشمال برئاسة الأمير الحسن، اخي السيف أحمد. وبعد قتال شرس مع محاربي قبائل نجران تم الاستيلاء على الجزء الجنوبي من اقليم نجران، بما في ذلك جبل رعام، ومناطق زور وادعة، والمفجة، والخدن، والحبونة، مقر الداعي الاسماعيلي،بينما نهبت أموال الداعي المكرمي واموال اتباعه.[2]

لم يرد ابن سعود ان يتخذ إجراء مضاداً، حيث ان وفده كان ما يزال يجري الحوار في صنعاء، وكان من مصلحة الامام هذه المرة تطويل المفاوضات حتى يستكمل الجيش اليمني عملية الاستيلاء على نجران، وكلف مفاوضي، القاضي عبد الله العمري، وعبد الكريم مظهر، ان يضطلعا بالامر، وتوجه هو نفسه إلى عمران، بحجة انه مريض، وانه يحتاج الآن إلى اطباء من مصر والعراق. وقد تميزت المفاوضات في هذه الجولة بأنها كانت تناقش مسائل كانت الاراء ازاءها متعارضة أشد التعارض، فقد

---

[1] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص33، وقارن في ص66، وبريموند ص108، والمقطم عدد 3549، في 19 . 9 . 1933، وامين سعيد، في "اليمن" ص56، وحمزة، ص10، يقع العقيلي في خطأ عندما يكتب في ص 338 بأن الوفد السعودي سافر إلى صنعاء في نهاية شوال 1351 (نهاية فبراير 1933) إذ لم يحدث ذلك بالتأكيد الا في مايو 1933.

[2] قارن الجرافي ص 243، وقد اعتمدت أيضاً على رسالة جوابية وصلتني من السيد حسين الويسي . أحد الجغرافيين اليمنيين . بتاريخ 7 القعدة 1381 (42. 4. 1962) وكان الويسي خلال هذه الحرب مصاحباً للسيف أحمد في صعدة، واستندت في معلوماتي إلى محمد المنصور، الوزير اليمني السابق في اتحاد الدولة العربية. قارن أيضاً البلاغ، عدد 3326، في 18 . 12 . 1933، ذكر عطار في ص212 ان بدراً كانت محتلة في هذا الحين، والواقع انه لم يكن قد تم الاستيلاء عليها الى هذا الوقت.

شدد الوفد السعودي خلال هذه المفاوضات على ضرورة تخطيط الحدود بين البلدين على أساس اتفاقية عرو المعقودة في 15 . 12 . 1931، وطبقاً لها ينبغي ان يتبع كل من عسير ونجران المملكة العربية السعودية، كما ينبغي نقل مقر الادريسي من زهب حجر إلى مكان آخر بعيد، عن حدود عسر، نظراً لانه يعمل من هناك على توجيه الدعاية وعلى التحريض ضد ابن سعود من أجل إحداث انتفاضة ضده.

وقد كان رأي الجانب اليمني ان اتفاقية عرو لا تعدو ان تكن "معاهدة مؤقتة" لم تشمل تخطيط الحدود، وانها كانت متعلقة بحل مسائل وقتية، وطالب الوفد اليمني باعادة عسير تهامة التي كانت تابعة للادارسة إلى الوطن اليمني الام، نظراً لانتهاء حجج ابن سعود التي كان دائماً يرددها من ان هؤلاء تحت حمايته، كما كان رأي الجانب اليمني ان نجران جزء من اليمن، ولذلك فانه من الواجب على الجيش اليمني ان يدمجها في المملكة اليمنية، تحقيقاً لوحدة اليمن، وان وجود الادارسة في الوطن اليمني الأم لا يمس ابن سعود بأي اساءة، وانه ينبغي الآن دفع ديات آلاف الحجاج اليمنيين الذين قتلوا غيلة في عسير السراة على يد القوات السعودية، التي كانت تقاتل هنا لاخضاع هذا الجزء من اليمن لهيمنة ابن سعود.

ولانه لم يكن هناك أدنى امل في الوصول إلى اتفاق، فقد ابرق الوفد السعودي إلى الامام، ورجاه السماح له بالعودة إلى بلاده، وكان رده انه قادم إلى صنعاء بعد خمسة أيام فقط، ليتولى بنفسه استكمال المباحثات معه، وكان هدف يحيى الحقيقي هو استبقاء الوفد السعودي في صنعاء، حتى تنجز مهمة بسط اليد على نجران، وتركيز راية الوحدة اليمنية عليها.

واثناء بقائه الطويل نسبياً في صنعاء لم يتمكن الوفد من الاتصال برقياً بابن سعود، مما جعله يتصور انه واقع تحت الحجز، وقد احتج الملك الوهابي بشدة لدى ابن حميد الدين لانقطاع اخبار وفده و "لاهانته" على هذا النحو، وقد أراد يحيى تخفيف الأمر على عبد العزيز بأن اوضح له ان سبب ذلك يعود فقط إلى تعطل في "طائر الهواء" . محطة البرق . في الحديدة، وان البعثة عائدة حالاً. ولم يكن ممكناً ان تنتهي المفاوضات التي اجراها الامام بنفسه مع المفاوضين السعوديين في 9 و 10 ربيع الثاني 1352هـ (22 . 23 يوليه 1933) إلى غير الفشل الذريع، والمنتظر. وهي 11 ربيع الثاني 1352 (24 يوليه 1933) غادرت البعثة السعودية صنعاء، في الوقت الذي كان التوتر فيه في العلاقات بين اليمن والسعودية قد بلغ ذروته العليا، واضافة إلى ما دار في المباحثات المباشرة فقد عبرت البرقيات المتبادلة عن هذا المدى من التوتر في العلاقات بين الجانبين، ففي برقية الوفد السعودي التي وجهها من صنعاء إلى الامام، حين كان ما يزال في عمران، تحدث بلهجة الاستنكار والعجب عن ان "مندوبيكم قد طلبوا من دولتنا التنازل لكم عن مقاطعة عسير وغيرها، يعني عن جزء

من بلادنا الذي لا يمكن لنا البقاء والحياة كدولة ذات كيان مستقل بدونهما، نظراً لوضعيتنا الجغرافية والسياسية، والتي اخذناها بتضحيات هائلة من المال، والانفس، باعتبارات تاريخية" لا يقدر أو يقوى على الوقوف امامها، "اي بحث جدي لمن يعرف تاريخ الجزيرة العربية السياسية" وقد لخص الكتاب الاخضر السعودي موقف اليمن ازاء المباحثات التي اجراها الوفد السعودي في صنعاء، ومزاج ابن سعود السياسي في هذا الوقت بقوله: "اما ما اصاب الوفد في صنعاء من حجر الحرية، والاساءة المتعمدة فانه لم يسبق له مثيل في تاريخ العلاقات السياسية الدولية، ولا في تاريخ دولة الاسلام، وقد ظهرت الاطماع الاشعبية على حقيقتها، وبانت النوايا السيئة، وعلم الوفد ان اليمن يستصغر شأن بلاده، ويحتقر امرها، ويظن بها الضعف.. وتحقق له بأن الامام يرمي إلى ما وراء الحدود، وان يضم بالاستيلاء على نجران، وعسير تهامة، وبناء على ذلك لم يكن امامه الا العودة إلى بلاده، فمنع من ذلك، وحيل دون عودته، فتمكن الوفد من ايصال الخبر سراً إلى جلالة الملك الذي ابرق للامام يحيى..." وفي برقيته الجوابية التي بعث بها ابن حميد الدين، وحملها الوفد السعودي معه حاول ان يهدئ من روع الملك السعودي، وان يقلل من حدة التوتر، وطلب إليه الابقاء على الوضع القائم، وهون عليه أمر وجود الادارسة في مملكته، الذين لن يتاح لهم القيام بأي عمل عدائي ضد ابن سعود بل ورجاه ان يعتمد لهم أيضاً 100 ريال اضافية كمرتب شهري للحسن وعبد الوهاب، نظراً لأن امثالهما متعود على "الصرف" الكثير .كما قال .، ولكن يحيى شدد في نفس الوقت على تبعية نجران لليمن بقوله: "اما مسألة نجران ويام يا حضرة الملك . عافاكم الله.فأنتم تعلمون انهم جزء من اليمن ما له مفصل، بل هم مصاصة قبائل اليمن" وهو ما أكده في برقية أخرى من ان رجال يام "مصاصة اليمن سابقاً ولاحقاً"[1]

ومن هذا العرض يتضح ان الامام كان مهتماً إلى اقصى حد بالهيمنة على نجران اولاً، وبابقاء الوضع القائم ما بين مملكته وعسير، غير ان عبد العزيز أدرك ان ذلك مجرد تكتيك مقصود من ابن حميد الدين، وان الاستيلاء التام على نجران سيقطع عليه الطريق ما بين نجد وعسير، وسيدفع بالخطر إلى حدود نجد نفسها، كما ان ابقاء الامام يحيى على الادارسة بالقرب من عسير تهامة واضح الغرض منه، وهو استخدامهم لتوسيع سلطانه في عسير تهامة، لذلك ارسل الملك الوهابي ثلاث برقيات إلى الملك اليمني طالبه فيها بعقد معاهدة، تثبت بها الحدود، وعلى أساس ان تكون عسير ونجران تابعتين

---

[1] قارن محاضر النقاش في صنعاء بين الوفدين، والوثائق المتعلقة بذلك، والبرقيات المتبادلة في الكتاب الاخضر السعودي ص33 . 45 . 184، وقارن أيضاً البلاغ، عدد 3368 . في 29 . 1934 (نقلاً عن جريدة الايمان اليمنية) وامين سعيد، ص 86 . 88، وفاروقي ص69، وبريموند ص 108 . 109، والبلاغ عدد 3224 في 7 . 9 . 1933، (من تقرير للشريف المكي) مرسل من ميدي في 14 . 4 . 1352 (1933.9.17).

للمملكة العربية السعودية،وطلب منه نقل مكان الادارسة إلى مكان بعيد عن حدود عسير. وكان رد الامام واحداً، وهو الابقاء على الحالة الراهنة بدون عقد معاهدة، وقال: اما "ما افدتم من الحدود فليس المانع عما اشرتم إليه الا نفورنا من تجزئة اليمن، ومثل هذا المانع قائم منذ عشرين سنة دون اكمال المعاهدة بيننا وبين الحكومة البريطانية، لرغبتها في تقرير الحدود في الاراضي الجنوبية".[1] وهكذا فشلت المفاوضات التي سجل اثناءها ابن حميد الدين رفضه القاطع لمطامع ابن سعود التوسعية، تجاه الاراضي اليمنية، وتمسكه الصارم بوحدة اليمن.

وكان القتال أثناء ذلك بين جيش التوحيد اليمني وبين محاربي القبائل في نجران قد غدا أكثر ضراوة، وقد قدم ابن سعود اثناءه مساعدات غير مباشرة لرجال يام، مما مكنهم من الدفاع طويلاً عن مواقعهم. وفي شهر جمادي الثاني 1352هـ (أغسطس 1933) ارسل آمر الحملة أحمد حميد الدين من مركزه في صعدة نجدة سريعة إلى نجران، وبذلك اتيح للجيش التوحيد اليمني كسر المقاومة العنيدة التي أظهرها محاربو نجران، والاستيلاء على منطقة نجران كلها، إلى اقصى حدودها الشمالية، بما في ذلك عاصمتها بدر، بينما تمكن الداعي علي محسن من الفرار إلى ابها، حينئذ تقدم القائد الأعلى للفصائل اليمنية السيف أحمد نحو نجران، ودخلها دخول الظافرين،[2] وكان الاستيلاء على نجران واحداً من اعظم الانجازات الوطنية التي حققتها حركة التوحيد اليمنية، واخطر الضربات التي وجهها جيش التوحيد اليمني ضد مطامع ابن سعود التوسعية في اليمن عموماً، وفي نجران خصوصاً.

وفي نفس الوقت عزز الادارسة حملتهم الدعائية في عسير تهامة، بينما كان جيش يمني ثان على اهبة الاستعداد للزحف تجاه جبال عسير تهامة، بغية تطويق عسير السراة من الناحيتين من الشرق عن طريق نجران ومن الغرب عن طريق جبال ساق الغراب.

وللانطلاق من هناك، وبالتعاون مع الجيش المرابط في تهامة، وفي ميدي وحرض، صوب عسير تهامة، واخذ الجيش السعودي فيها من كل الاقطار، والاحاطة بمواقعه من كل جانب!

---

[1] اقرأ نص برقيات الامام وابن سعود في الكتاب الاخضر السعودي ص 47 . 71، وقارن أيضاً امين سعيد، ص88، والاهرام عدد 1774 في 1934.5.5 (نص البرقيات المتبادلة).

[2] قارن الجرافي ص224، والبلاغ، عدد 3272، في 25 . 10 . 1933، (من تصريح للوكالة الحجازية في القاهرة، وتقرير للشريف المكي) ولكن الشريف يرتكب خطأ عندما يكتب ان علياً بن يحيى حميد الدين كان قائد الجيش اليمني في نجران، حيث ان القائد كان هو الحسن بن يحيى حميد الدين، كما اشير إلى ذلك من قبل، (قارن أيضاً البلاغ عدد 2280، في 1933.11.2) (من بلاغ للحكومة السعودية حول الاستيلاء الكامل على نجران) وجريدة الايمان اليمنية، صنعاء، جمادي الثاني، 1352 (أكتوبر 1933) والمقطم عدد 13607، في 1933.10.26، (نقلاً عن الجريدة الحجازية أم القرى) في 9 جمادي الثاني 1352 (1933.10.9).

عرف ابن سعود مدى الاخطار الحقيقية والداهمة التي تحيق به، وتهدد سلطته في المنطقة اليمنية الشمالية كلها، ومن ثم مشاريعه الإقليمية والسياسية التوسعية تجاه اليمن عموماً. وبادر على الفور إلى العمل العسكري، وجرد حملة تجاه نجران مكونة من 10000 جندي تحت قيادة فيصل .نجل اخيه سعود [1] وبعد ذلك بدأ الالتحام بين جيش الغزو السعودي المدعم من اهالي نجران، وبين جيش الوحدة اليمني.

حاول ابن حميد الدين في إحدى برقياته ان يقنع ابن سعود بالكف عن التدخل في شؤون نجران "فجرح الادارسة لم يندمل" "والجرح أنكى للجرح" بذلك إلى ضم ابن سعود عنوة واقتدارا لامارة الادارسة في عسير تهامة. معتبراً اياه طعنة في الجسم اليمني ما تزال تنزف، ومحذراً من ان محاولة التوسع تجاه نجران من شأنها ان توسع الجرح اليمني وتزيده التهاباً.

ولكن لا عبد العزيز ولا الامام يحيى رغب في اعلان الحرب ضد الآخر. كان ابن سعود يواجه في هذا الوقت مشاكل مع الأمير عبد الله، أمير شرق الاردن، وكان مهتماً بحلها. [2] وكان الامام يحيى يعرف ضعف موقف ابن سعود في هذه اللحظات بالذات، رغم ان له جيشاً قوياً متواجداً بالفعل في نجران.

غير ان ضعف موقف الامام يحيى كان ينبع من واقع انه كانت تحكم علاقاته بأهالي نجران تناقضات تاريخية وسياسية ودينية غير قابلة للحل، وعداوة مستحكمة تكمن اسبابها العميقة في صراعات الماضي الدموية بين طائفة الزيدية بزعامة الأئمة، وبين الطائفة الاسماعيلية بزعامة الدعاة المكارمة. والامام يحيى نفسه لم يخضع مكارمة حراز غرب صنعاء، بعد وصوله الى السلطة في صنعاء عام

---

[1] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص72، والمقطم، عدد 13607، في 1933.10.26، غير ان الشريف المكي اشار أيضاً إلى ان قادة يمنيين قالوا له ان جنوداً سعوديين قد اشتركوا في القتال مع الياميين ضد الجيش اليمني، وان هؤلاء الياميين تلقوا اسلحة من ابن سعود، وذلك هو السبب في ان بدراً لم تسقط الا بعد ان دافع عنها محاربوا نجران طويلاً، وقد وجد من بين القتلى جنود سعوديون.

(قارن البلاغ، عدد 3351، في 1934.1.12، (مقالة للشريف المكي) قارن أيضاً نبأ في جريدة أم القرى الحجازية، في 9جمادي الثانية، 1352 (1933.10.9) والبلاغ، عدد 3193، في 1933.11.15، والمقطم عدد 13744، في 1934.4.6، (مقال لامين سعيد) وتصريحات لابن سعود في الفتح، عدد 390، في 27 ذي الحجة 1352 (1934.4.12).

غير ان صحيفة البلاغ اشارت إلى ان الجنود السعوديين الذين تقدموا صوب نجران كانوا 15000 (البلاغ عدد 3422، في 1934.3.23.

وقد اعتمدت تصريح ابن سعود الذي ذكر فيه ان عددهم كان 10000 رجل.

[2] قارن البلاغ، عدد 3422، في 1934.3.23، والبلاغ عدد 3342، في 1934.1.3، والكتاب الاخضر السعودي ص184.

1918، الا بالقوة، وفوق ذلك فأنه منذئذ كان يسيء معاملتهم،[1] وأجاز للامام الزيدي بفعل عامل التعصب الموروث هذا بين الطوائف المتخاصمة مصادرة املاك واراضي هؤلاء الاسماعيليين، وهو ما كان اسماعيليو نجران يخشون من حدوثه، فيما لو تمكن يحيى حميد الدين من الحاق نجران بمملكته، وما جعلهم من ثم غير مستعدين للتعاطف مع حركة التوحيد اليمنية، طالما وهي بقيادة يحيى حميد الدين.

وبالفعل فانه بعد احتلال نجران بادرت بعض العائلات الاقطاعية الزيدية البارزة.كعائلة "أبو طالب". إلى رفع دعاوى على واحات نجران، واستندت في ذلك إلى وثائق قديمة تبرهن على انها اخضعت اليامِيين في هذه الفترة أو تلك من فترات التاريخ اليمني، وتملكت اراضيهم، والامام يحيى نفسه.وهو سيد الموقف الآن.رفع في وجه الجميع دعوة السيادة على املاح الاسماعيليين.[2]

لهذه الأسباب مجتمعة احتج اليامِيون بشدة على استيلاء الامام يحيى على نجران، وآثروا الانتقال إلى جانب ابن سعود الذي كانت خشيتهم من تهديده لاملاكهم اقل، مما قوّى جانب الجيش السعودي التوسعي، واضعف جانب الجيش اليمني الرافع لراية التوحيد الوطني لليمن.

من هنا وجد ابن حميد الدين انه من الأفضل ان يحد من نطاق الاشتباكات، واصدر امره إلى قائد جيشه في نجران، الحسن بن يحيى حميد الدين، بالانسحاب من شمال نجران، الذي آثار احتلاله مخاوف ابن سعود بشكل دراماتيكي، من زاوية ان خط الاتصال بين نجد وعسير السراة، سوف يتأثر بذلك، بشدة، أو حتى ينقطع تماماً. وهكذا تم اخلاء المواقع الاستراتيجية الهامة مثل بدر، هدادة، القرن، الخانق، الحبونة، وغيرها.[3]

[1] قارن الريحاني ص238، والعظم، ص70، ومملكة الامام يحيى، سلفاتور ابونتي (ترجمة طه فوزي) القاهرة 1974 ص83.

[2] في هذا العرض استندت إلى معلومات استقيتها من الوزيرين اليمنيين السابقين في اتحاد الدول العربية القاضي محمد الخالدي والشيخ يحيى منصور.

[3] قارن البلاغ، عدد 3439، في 1934.4.11 (من مقال للشريف المكي مرسلة من صعدة في 7 مارس 1934) والبلاغ، عدد 3326، في 1933.12.18 (من مقالة للشريف المكي) والبلاغ، عدد 3370 في 1934.1.31 (من مقالة للشريف المكي) والجريدة اليمنية، الايمان، في شعبان 1352 (ديسمبر 1933) والبلاغ، عدد 3350، في 1934.1.11 (من تقرير مرسل من عدن 1934.1.10) والاهرام، عدد 17706 في 1934.3.24، والفتح عدد 389 في 1934.1.22، ولكن المصادر السابقة تشير إلى ان الجيش اليمني انسحب من شمال نجران سلمياً، وذكر ابن سعود أيضاً ان جيشه لم يقم بعمليات عسكرية ضد الجيش اليمني، (قارن الفتح، عدد 390، في 27 ذي الحجة) 135 (1934.4.12).

بعدئذ طالب الامام ابن سعود بايقاف التحرشات من قبل جيشه واليامبين في شمال نجران، وحذره من مغبة الاستمرار فيها، وكان رد ابن سعود عليه انه . الامام . قد غير خطته، وكرر لها اقتراحاته بضرورة تثبيت الحدود، على أساس تبعية عسير ونجران للملك الوهابي، وتسليم الادارسة إليه. واقترح الامام يحيى من جانبه ارسال وفد للتباحث مجدداً حول هذه النقاط، واجاب عبد العزيز بأن الملكين اقدر من الوفود على وضع أساس للاتفاق، وبعد عدة برقيات متبادلة قدم عبد العزيز مقترحات جديدة إلى ابن حميد الدين تضمنت التالي: "ان يكون نجران بحدوده بلاداً محايدة بيننا وبينكم، لا نملكها ولا تملكونها، وان لا نتداخل في شؤونهم الداخلية، ويظلون كما كانوا عليه في السابق من زمن آبائنا واجدادنا." وعند حدوث أي تمرد من أهل نجران، يكون التداول بين الحكومتين لتأديب الخارجين، وان يسلم الادارسة لابن سعود، أو ينقلوا إلى صنعاء، وان تخطط الحدود، وتثبت وفق معاهدة خاصة بذلك، تكون عسير بمقتضاها تابعة للمكلة العربية السعودية.[1]

ولكن ابن سعود حاول في نفس الوقت حل المعضلة عسكرياً، حتى يتمكن من التفاوض مع امام صنعاء من موقع القوة، ويملي شروطه عليه، فترك جيشه المرابط في وادي نجران في مواجهة الجيش اليمني المرابط على الجانب الآخر من الوادي يتقدم ويهاجم بمدافعه ورشاشاته الجبهة اليمنية. غير ان هذه العملية باءت بالفشل، وابرق ملك اليمنية إلى ملك المملكة العربية السعودية، طالباً منه في لهجة حازمة قوية بأن "يمنح رؤساء اجناده عن تجاوز محطاتهم التي هم فيها الآن قبل ان يحدث ما يصعب علينا وعليكم تلافيه . ويخرج الأمر من ايدينا وايديكم بالدخول في ميدان وكفاح، ودور امتشاق الصفاح.. وليعلم الاخ العزيز ان الأمر عظيم فوق ما يتصور الخيال منا ومنكم، ولا محذور من التأني، بل المحذور من الاستعجال، والعجلة من الشيطان، وليعلم الاخ اننا لا نريد شيئاً من الشقاق بيننا وبينكم، وان المكاتبات الينا من الحجاز وعسير وتهامة للاشتراك ضدكم، ولا نريد ذلك ولا نرضاه.. ونستعين بالله ونستجيره من الدخول في حرب مظلمة الانحاء."[2]

وكان رد ابن سعود هذه المرة . وقد غدا مستعداً للحرب بما فيه الكفاية . هو توجيه انذار بأن نشوب الحرب متوقف على حل النقاط الثلاث الآنفة الذكر . أي تحديد الحدود بمعاهدة وتحييد نجران، واعادة

---

[1] اقرأ نص البرقيات المتبادلة في الكتاب الاخضر السعودي ص75 .83، وقارن الفتح، عدد 390، في ذي الحجة 1352، (1934.4.12) وأمين سعيد "اليمن" القاهرة 1959، ص89.88.

[2] اقرأ نص برقية يحيى في الكتاب الاخضر السعودي 83.75، وقارن أيضاً البلاغ، عدد3386، في 1934/2/16 (من تقرير مرسل من صنعاء في 15 رمضان 1352 (1934/1/1) وقارن أيضاً امين سعيد ص89، وكذلك البلاغ عدد 3350، في 1934/1/11 (من تقرير مرسل من عدن في 1934/1/10) والبلاغ، عدد 3370، في 1934/1/31 (من تقرير للشريف المكي).

الادارسة إليه أو ابعادهم إلى صنعاء، "فهذه المطالب الثلاثة لا نريد غيرها، والسلم والحرب متوقف على كلمة تقولونها، اما نعم، واما لا. وهذا يوضح الموقف ويحل المشكل.

واما ما اشار إليه الاخ من كثرة المكاتبات التي وردت من عسير وتهامة والحجاز، فأن مثل هذه المكاتبات لا نعيرها اهتماماً، لأن لدينا منها الكثير من سائر انحاء بلادكم، وانا متكلون على الله، فمن وفى معنا وفينا، ومن غدر بنا، فالله هو الذي عودنا الجميل بنصره لنا على كل من غدر."[1] هكذا تحدث ابن سعود في لهجة الواثق من نفسه ومن قوته.

ولم يرفض ابن حميد الدين الانذار تماماً، وتصرف كما لو كان يبحث عن حل سلمي وابلغه قائلاً: "ونعم، لا نريد الا حسم الأمر بيننا وبين حضرتكم بأحسن الوجوه واجملها من دون تحكم من الطرفين" وقدم في نفس الوقت مقترحين لعبد العزيز: نقل الادارسة من زهب حجر إلى زبيد،جنوب تهامة، نظراً لانهم، وقد ألفوا طقس تهامة الدافئ، لا يستطيعون احتمال برد صنعاء الشديد، وعقد معاهدة صلح لمدة 20 عاماً تبقي على الوضع الراهن في عسير، "وعقدة الحدود منحلة. ان شاء الله. بما هو غاية المطلوب منا ومنكم، وذلك بربط معاهدة حبية سلمية دينية لمدة عشرين سنة، يثبت فيها كل من الطرفين على ما بيده فعلاً من البلاد، ولنلق الله قبل انتهاء هذه المدة." حسبما قال. ومع ذلك فأن ابن حميد الدين لم يكن جاداً كل الجد عند تقديم مثل هذه المقترحات. لقد كانت تكتيكاً سياسياً. أكثر منها مقترحات عملية للتنفيذ. فقد أراد بها امتصاص حالة التوتر المتفاقمة، ومنع انطلاق الحرب من عقالها، وكان عازماً على الاحتفاظ بالادارسة لديه باستمرار، نظراً لأن لهم. شأنهم شأنه لا يستهان بها، وانهم ما يزالون يتمتعون بنفوذ اكيد لدى قبائل عسير تهامة. وكانت خطته تقوم على استخدامهم لاثارة اهالي هذه المنطقة ضد الحكم السعودي، ولم يكن لهذا السبب مستعداً للتخلي نهائياً عن عسير، وكان موافقاً فقط على عقدها هدنة تبقي على الوضع القائم، ولكن تحت شرط: ان يتخلى له ابن سعود عن نجران. وكان حكم نجران من قبل صنعاء، والاحتفاظ بالادارسة لديها، يشكل خطراً جاداً للاحتلال السعودي في عسير كلها. ومع ذلك فقد وافق ابن سعود على اقتراح الامام، وطالب في نفس الوقت بحل محدد لمشكلة نجران.[2]

---

[1] اقرأ نص انذار ابن سعود في الكتاب الاخضر السعودي ص85، والاهرام، عدد 17745، 1934/5/5.

[2] انظر الكتاب الاخضر السعودي ص 93.87، وامين سعيد ص90.89، والبلاغ، عدد 3350، في1934/1/11، (من تقرير عدن المذكور المرسل في1934.1.10)، والفتح عدد 390، في 27 ذي الحجة 6352 (1934/4/12) والاهرام عدد 7745 في1934/5/5.

ولكن ابن حميد الدين ما كان مستعداً تحت كل ظرف للتنازل عن نجران، أو حتى جعلها منطقة محايدة، إذ ان ذلك سيؤدي إلى سقوط مشروعه المبيت والمزمع القيام به في الوقت الملائم، وهو تطويق عسير من الشرق، ومد نفوذه إليها انطلاقاً من هناك.

ولانه لم يكن هناك سوى امل خافت في ايصال مفاوضاته مع الملك الوهابي إلى نجاح معين،فانه عزم على المضي في تنفيذ مشروعه: لقد أمر جيشه بالزحف على عسير تهامة، وهكذا دفع قائد الجيش الشمالي أحمد حميد الدين من مقره في صعدة قوة مسلحة إلى جبال عسير تهامة بقيادة السيد يحيى بن محمد الصعدي، وصحبة عبد الوهاب الادريسي. وعلى الفور أعلن اتباعه الادارسة في هذه المناطق تضامنهم مع جيش التحرير والتوحيد اليمني، واستعدادهم للقتال معه جنباً إلى جنب، من أجل طرد الحاميات السعودية الغازية، وتوحيد اليمن.

وقد طردت الحاميات السعودية بالفعل واحدة بعد اخرى، وسقطت معظم جبال الحارث، وجبال العبادل، وفيفا، وسفيان، وبني الغازي، وبني مالك، خلال شهرين فقط، شعبان، ورمضان 1352 (نوفمبر ديسمبر 1933) في يد أتباع الادارسة وجيش صنعاء .وبذلك امتدت سلطة الامام يحيى على ما يدعي بجبال ساق الغراب، ابتداء من جبال العبادل على حدود مملكته إلى جبال الريث وبنين الغازي تحت عقبة أبها شمالاً. وقد برر القائد الأعلى لجيش شمال اليمن أحمد حميد الدين هذه العملية العسكرية الناجحة بقوله: "لقد صبرنا حقنا للدماء، حتى جاءت حوادث عسير، وكان موقفنا فيها موقف الحياد التام، وفي الوقت نفسه اندلعت ضدنا نيران الدسائس في نجران، وتهامة، والمؤامرات الخطيرة،". وأضاف قائلاً ان ما ينبغي يكون مفهوماً هو "ان حدود اليمن معروفة في التاريخ، وحيث وقد تبينت لنا الدسائس والازية، فأمر ضمها إلى اليمن ضروري". وبهذا التحالف الوثيق بين حاكم صنعاء وبين الأسرة الادرسية، وبين الجيش اليمني وبين المقاومين اليمنيين في عسير تهامة اشتد ساعد حركة التوحيد اليمنية وبذلك غدا سهل عسير تهامة مهدداً من الجنوب والشرق، ومن اتباع الادارسة انفسهم في داخلية البلاد، وبنفس الثقة التي تحدث بها السيف أحمد عن امكانية الاستيلاء على عسير تحدث أيضاً عبد الوهاب الادريسي أحد قادة هذه الحملة قائلاً "القوات الوهابية في ذعر ووجل، وقد عملنا كل مستطاع، فانتزعنا من العدو منطقة الجبال كلها، من العبادل إلى الدرب تحت أبها، وهذه المنطقة هي التي لا تزال حافظة لكيانها في مسألة الاستعداد، واما أهل تهامة فأرباب الشكيمة منهم معنا، واما الذين لا يستطيعون موافقة الوهابيين فقدموا انفسهم الينا قاطبة.. ولمنشأ ان نزج بهم في ثورة أخرى كبيرة، وليس لدينا لهم العتاد اللازم،ولا فرق في الاتصال بهم بيننا وبين

الوهابيين، فاجتماعنا برسلهم ووفودهم مستمر". وعندما نستكمل استعدادنا سنوجه "حملاتنا على تهامة، ونستولي على أبي عريش، وصبيا، نهائياً، والله ولي الصابرين"[1]

لقد كانت هذه الخطوة الجريئة من قبل حميد الدين بمثابة محاولة لتصحيح موقفه المغلوط الذي اتخذه ازاء انتفاضة عسير تهامة تحت زعامة الادارسة، وكشفت في نفس الوقت عن ان مفاوضاته الدبلوماسية مع ابن سعود كانت تخفى إلى حد كبير نياته الحقيقية، وطموحه المشروع نحو ضم عسير مع نجران إلى الوطن الأم، واقامة دولة اليمن الحديثة الموحدة. ومثل هذا الهدف لم يكن على أي حال .خافياً على الملك السعودي، وكان واضحاً له منذ البداية أيضاً ان امام صنعاء يعد نفسه، وينتظر دائماً اللحظة الملائمة للشروع في تحقيق هذه الغاية وقد قرر الآن مواجهة طموحات الامام يحيى بالقوة العارية، والدخول في صدام تاريخي حاسم مع حركته التوحيد اليمنية، على أمل القضاء عليها نهائياً.

ارسل ملك الرياض ولي عهده سعود على رأس جيش قوي نحو عسير السراة، للاضطلاع بقيادة الجبهة الشرقية وكلف نجله الثاني فيصل بالتقدم صوب عسير تهامة مع جيش آخر لقيادة الجبهة الغربية. وبدأ جيشه الثالث في نجران الذي كان تحت امره فيصل ابن سعد في شن الهجوم على الجيش اليمني، كما حدثت معارك في عسير تهامة، وبالذات في الخوبة. عاصمة منطقة الحارث. وفي مسلمية، وسلامة، وفي العارضة، وبين الجيش اليمني والمقاومين اليمنيين من انصار الادارسة من جانب، وبين الفصائل السعودية الغازية التي حشدت هناك. ولكن لم يحقق أحد الجانبين النجاح فيها، وقد بقي جنوب نجران في يد القوات اليمنية، بينما بيت الخوبة والعارضة وغيرها من المناطق السهلية في

---

[1] البلاغ عدد 3260 في 13 . 10 . 1933 والبلاغ عدد 3439، في 1933.4.11 (من تقريرين مرسلين من الشريف المكي، الأول مرسل من الحديدة في 9 جمادي الثاني 1352 (1933.10.9، والثاني من صعدة في 1934.3.9) والبلاغ، عدد 3443، في 1934.5.15 (من مقالة للشريف المكي) ورسالة من عبد الوهاب الادريسي إلى أحد اصدقائه من أعضاء حزب الأحرار الحجازي).

قارن أيضاً الفتح عدد 390، في 27 ذي الحجة 1352 (1934/4/12) (من تصريح لابن سعود) والكتاب الاخضر السعودي ص 106.102، 148.، 186، واقرأ نص الخطاب لحمد الشويعر إلى ابن سعود، ووقائع أخرى حول احتلال جبال عسير تهامة في الاهرام عدد 17746، في 1934.5.6(اقتباس من الكتاب الاخضر). وقد اعتمدت أيضاً على الرسالة الانفة الذكر الموجهة إلي من السيد حسين الويسي بتاريخ ذي القعدة 1381 (1962.4.12) قارن أيضاً العقيلي ص 341.340، والمقطم، عدد 13800، في 1934.6.9 (من مقالة لامين سعيد،) وحمزة ص11، والمختار ص402.

عسير تهامة تحت الاحتلال السعودي.[1] وعداً هذه المناوشات المتفرقة فانه لم يحدث هجوم عسكري شامل لا من قبل جيش ابن سعود الغازي، ولا من قبل جيش التحرير والتوحيد اليمني. وكان واضحاً ان الامام يحيى بالذات غير راغب في ان يدفع بالامور إلى هذا المدى، إلى حد اعلان الحرب على ابن سعود، واخذ زمام المبادرة بالدخول فيها، وخوض غمراتها إلى النهاية، واقامة الوحدة اليمنية عبر مثل هذه الحرب الشاملة والضروس.

من جديد أراد امام صنعاء استئناف المفاوضات مع الملك الوهابي. ومن أجل ذلك طلب منه ايقاف التحركات العسكرية في نجران وعسير تهامة، وابلغه في نفس الوقت انه قد أمر نجله سيف الإسلام احمد، وعبد الوهاب الادريسي بأن يضطرا المقاومين اليمنيين من اتباع الادارسة في جبال عسير إلى التزام الهدوء، والى تقديم ولائهم لابن سعود، وانه شدد على عبد الله الوزير في تهامة بعدم اتخاذ أي إجراء عسكري. استجاب يحيى حميد الدين لرغبة عبد العزيز في عقد مؤتمر في ابها للبت في الاتفاقات السابقة المتعلقة بنقل الادارسة إلى زبيد، وعقد معاهدة لمدة 20 عاماً، تقر الوضع القائم، مع مناقشة وحل مشكلة نجران بصورة خاصة، ووضع مطالب الامام يحيى ازاءها في الاعتبار.

غير ان ابن سعود لم يتوقف عن عملية الحشد والتعبئة والتحضير للحرب، وقد بلغ عدد المحاربين الذين جمعهم، ودفع بهم إلى جبهة نجران وجبهة عسير 45000 رجل، ولاكتساب مزيد من الوقت لعملية التجهيز الشاملة هذه بعث في 30 يناير 1934 وفده إلى ابها برئاسة وكيل الخارجية السعودية فؤاد حمزة، في الوقت الذي عين فيه الامام يحيى بعثة مفاوضة برئاسة عبد الله بن أحمد الوزير،[2] وفي جو ينذر باندلاع وشيك للحرب عقد مؤتمر ابها في 2 ذي القعدة 1352هـ (1934.2.16). كان ابن

---

[1] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص120.105، والبلاغ، عدد 3376، في 1934.2.6 (من نبأ لجريدة (صوت الحجاز) والعقيلي ص331، والبلاغ، عدد 3384، في 1934.2.14 (من تقرير للشريف المكي) والبلاغ عدد 3371، في 1934.2.1، (من تقرير للشريف المكي، في 27 رمضان 1352، 1934.1.13) وامين سعيد في (اليمن) ص90، والاهرام، عدد 17650، في 1934.1.17.

[2] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص127.120، وتصريحاً لابن سعود في الاهرام، عدد 17755، في 1934.5.15، قارن أيضاً البلاغ، عدد 3376، في 1934.2.6، (نقلاً عن جريدة أم القرى الحجازية، ومن بلاغ سعودي) وحمزة ص11، وكذلك البلاغ عدد 3439 في1934.4.11 (من تقرير للشريف المكي مرسل من صعدة في 1934.3.7) والبلاغ عدد 3415 في 1934.3.16 (من تقرير لفيلبي في 1934.3.5) والاهرام عدد 17705، في 1934.3.23، والمقطم عدد 13741 في 1934.4.3 (نقلاً عن جريدة الايمان اليمنية عن شهر القعدة 1352 (فبراير . مارس 1934) وتشير الجريدة اليمنية إلى ان ابن سعود اعترف بأن نجران منطقة يمنية، وانها لهذا السبب تابعة للامام. غير ان مثل هذا القول المتعلق بالاعتراف ابن سعود بتبعية نجران للامام، لم يدعم من أي مصدر آخر، والمحادثات التالية في ابها تبين ان مشكلة نجران كانت على رأس المشاكل الملتهبة التي بحثت.

سعود قد غدا جاهزاً تماماً للمضي قدماً في اتجاه تحقيق مطامعه التوسعية الإقليمية والسياسية، ليس في نجران وعسير فحسب، وانما في اليمن كلها أيضاً، حتى ولو باعلان الحرب. ومن موقع قوة طالب وفده بتخطيط الحدود طبقاً لمعاهدة عرو. وذلك كان يعني ان على ابن حميد الدين ان يحسب جيشه من المناطق التي استولى عليها في جبال عسير تهامة، على ان تبقى نجران منطقة محايدة وينقل الادارسة إلى زبيد، أو يسلموا إلى عبد العزيز، وعلى ان تعقد معاهدة خاصة بذلك. وقد أكد ابن سعود على هذه المطالب في برقية وجهها إلى وفده المفاوض في أبها. ومن جانبه تبنى الوفد اليمني النقاط التالية، التي كانت انعكاساً لخط امام صنعاء التقليدي الذي يرى في اليمن كلا واحداً غير قابل للتجزئة، حتى ولو خضعت بعض اطرافه احياناً لقوى الغزو الخارجية:

يجب ان تحافظ معاهدة الصلح على الوضع القائم، دون حاجة إلى تعيين الحدود، ذلك ان الجانبين "جسم واحد لا ينقسم" وطبقاً لذلك يجوز لابن سعود ان يحتل بلاد عسير، باستثناء جبال عسير تهامة الواقعة بالفعل تحت سيطرة الجيش اليمني، اما نجران فيجب ان تتبع المملكة التوكلية اليمنية تبعة تامة.

بعد ان دامت المفاوضات أكثر من شهر ونصف[1] بادر ابن سعود إلى قطعها، واحتجاز الوفد اليمني. وفي 22 مارس 1934 اقدم على تنفيذ مشروعه الحربي. السياسي التوسعي ازاء اليمن كلها، حيث أعلن الحرب على اليمن. وقد بررت الرياض هذه الخطوة. كما جاء في الكتاب الاخضر السعودي الذي نشر أثناء الحرب، وسجل مراحل الأزمة بين البلدين منذ نشوئها إلى لحظة اندلاع الحرب من وجهة نظر سعودية. بررتها بالقول بأن ذلك يعود إلى اقدام "الأمير أحمد على أمر فيه نقض صريح للعهود، واعتداء عظيم على الكرامة، وعلى البلاد، وذلك باحداث الفساد في بلادنا، وبين رعايانا، ثم بتقدم جنوده واصحابه لاحتلال الجبال المعروفة باسم جبال بني عبد الله، وفيفاء، وبني مالك". وكما عبر ابن سعود فأنه بأخذ جبال عسير تهامة من قبل الجيش اليمني ومشايعيه في المنطقة تغير الموقف، فقد "صار في الفخ أكبر من العصفور، وهي اعتداؤهم على الجبال."[2]

وفي بيان اعلان الحرب الذي بعثه الملك السعودي إلى ملك اليمن في شكل برقية وضع شروطاً محددة لايقافها تتعلق باخلاء جبال عسير تهامة من الجيش اليمني، وتسليم رهائنها، وتحديد الحدود وفق معاهدة، وابعاد الادارسة، وتحديد نجران أو تقسيمها بين الجانبين، بحيث يكون شمالها تابعاً للسعودية،

---

[1] قارن الكتاب الاخضر السعودي ص148.135، 202.186، وامين سعيد ص91، وبريموند ص112، وفاروقي ص70.

[2] قارن الاهرام عدد 17705 في 1934.3.24 (من نبأ لوكالة رويتر في 1934.3.22، نقلاً عن بلاغ المفوضية السعودية في القاهرة) قارن أيضاً بلاغاً لوزارة الخارجية السعودية في 1934.3.22 لدى امين سعيد ص92.

وجنوبها تابعاً لليمن، وكما جاء في البيان: "وقد سبق ان اخبرنا حضرتكم بما فهمناه من ان رغبتكم في المطاولة بغية تعجيزنا، واملالنا، كما ذكره بعض رجالكم. وقد نفيتم لنا ذلك بالقول، وتلقينا ذلك منكم بالقبول، وكانت النتيجة لقبولنا وصبرنا ان الحقتم الجبال بنجران، والحقيقة اننا نحن الجناة على انفسنا، اهملنا أهل نجران،ثم ثبطناهم عن العمل، ومنعنا المساعدة لهم رجاء التفاهم، وكذلك اهملنا أهل فيفاء والجبال، واوقفنا امدادهم طلباً للسلم والراحة، ورغبة في حل الأمور بالسلم... وبعد ان اعيتنا جميع المراجعات والمكاتبات .... أمرنا بالدفاع لانقاذ بلادنا....وباب السلم مفتوح إذا اردتموه، وليس عندنا غير ما طلبناه في السابق وهو:

اولاً: اخلاء الجبال، واطلاق رهائنهم، وترك امرهم اليهم، وتحديد الحدود بيننا وبينكم بمعاهدة

ثانياً: ابعاد الادارسة بالمحمل المقرر (إلى زبيد).

المساواة بنجران.

وقد تقدمت الجنود متوكلين على الله."

لم يرفض ابن حميد الدين شروط الملك السعودي التي تضمنها اعلان الحرب هذا، حيث قبلها مجتمعة باستثناء نجران التي اصر على التمسك بها، حيث جاء في برقيته الجوابية: "تلقينا برقيتكم، ونشكر الاخ للافصاح بتوجه اجناده علينا، فنقول حسبنا الله ونعم الوكيل، وانا مع ذلك سنلزم السكون، راجين حسن تلافي الاخ للسلم والصداقة، خائفين من دسائس واطماع الاجانب، ولم يكن منا اختلاف في شيء قطعاً، غير ما عرفناكم، انا امرنا برفع الادريسي عن الجبال إلى صعدة، وكان تأخره لما عرفناكم من تعويل أهل الجبال علينا لتأمينهم، ولما كان بنجران، اما ما وعدناه من ارجاع الجبال اليكم، واطلاق الرهائن، ورفع الادارسة. كما تراجعنا به. والمعاهدة بعشرين عاماً، وابقاء الحدود كما هي، فهذا نحن ملزمون به إلى الآن مع الانصاف في بلاده يام."

لم يتراجع ابن سعود قيد انملة عما حدده في بيان اعلان الحرب، وانما اضاف إلى شروطه لايقافها شرح اسبابها العميقة منذ تأزمت العلاقات بين صنعاء والرياض في العشرينات حيث جاء في برقية الرد: "ان العهود التي بيننا وبينكم نكثت، ودخلتم حدود بلادنا، واستوليتم عليها، ونقضتم العهد الأول الذي كان بيننا وبينكم أيام قدم اليكم ابن دليم، وابن ماضي، ونقضتم معاهدة عرو التي عاهتمونا عليها، ثم نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم في تحديد الحدود، وعمل المعاهدة لمدة عشرين سنة، ولم يكن لهذه العهود من جواب الا استيلاؤكم على فيفاء، وبني مالك، والعبادل، وتقديم الادريسي بالفساد. طلبنا منكم الانصاف في نجران، واقترحنا اما ان يكون محايداً بيننا وبينكم، أو ان يكون ما بجنوبه من البلد لكم، وما بشماله من البلدان لنا مثل بدر، وهدادة، وحبونة، وما بينها." أي في حالة ما إذا "كنتم لا

توافقون على حياده" فإن الاقتراح البديل لذلك هو : "ان يكون من تحت ايديكم من أهل نجران لكم هم وبلدانهم، ومن كان تحت ايدينا من أهل نجران هم وبلادهم لنا."[1]

ولان ابن حميد الدين لم يتنازل عن مطالبه في نجران كلها، ولان ذلك كان يعني انه رفض الانذار الحربي، ورفض تلبية شروط ابن سعود كلها التي على أساس حتمية الاخذ بها مجتمعة أعلن الحرب بالفعل، فإن ذلك كان معناه انه لم يخضع ولم يستسلم امام قيصر الصحراء، وصاحب التطلعات الإقليمية الواسعة في اليمن، وكان معنى ذلك أيضاً انه كان على يحيى حميد الدينان أن يدخل الحرب، وكان لابد ان تصطدم اليمن ونجد في صراع دموي لاهب وواسع النطاق يختلف عن كل ما سبقه من صراعات دموية وسياسية سابقة، وكان لابد ان يتقرر في هذه الحرب ليس فقط مصير نجران وعسير، وليس فقط مال حركة التوحيد اليمنية، وانما أيضاً مصير اليمن كينونة ووجوداً.

الفصل السادس

الحرب اليمنية ـ السعودية ونتائجها

بعد اعلان ابن سعود الحرب ضد اليمن في 22 مارس 1934 تقدمت قوى الغزو في شكل قافلتين، احداهما تحت امرة سعود، ولي العهد، واكبر أبناء عبد العزيز، والذي كان مكلفاً بالاستيلاء على نجران وصعدة، والاخرى كانت بقيادة فيصل، نجله الثاني، وكانت مهمتها استعادة جبال عسير تهامة، والزحف على تهامة.

ومن معسكرها في خميس مشيط في عسير السراة اندفعت فصائل قوية برئاسة فيصل بن سعد في اتجاه صعدة، بينما هجم الأمير خالد بن محمد، نجل الاخ الأكبر لابن سعود، من شمال نجران على الجيش اليمني في جنوب نجران، ومن صامطة انطلق حمد الشويعر أمير عسير تهامة ضد حرض، معسكر الجيش اليمني في الغرب، ومن نجد قدم الأمير محمد، النجل الأصغر لابن سعود، بقوات احتياطية من أجل اخيه سعود[2]

كانت الجيوش السعودية المتقدمة مزودة بسيارات حمل، ودبابات، ومصفحات، ومدافع جبلية، وبطاريات، ومدافع رشاشة، واجهزة ميدان لاسلكية، وغير ذلك من التجهيزات الحديثة[3].

---

[1] انظر الكتاب الاخضر السعودي، ص156ـ171، والاهرام، عدد 7746، في 6ـ5ـ1934 "من خلاصة عن الكتاب الاخضر السعودي".

[2] قارن البلاغ السعودي الصادر في 4ـ4ـ1934 لدى امين سعيد ص94، وفي الاهرام عدد 17716، في 5ـ4ت1934، وقارن أيضاً عطار ص638، وحمزة في بلاد عسير، ص74 والدكتور حسن سليمان والسيد محمد إبراهيم "تاريخ المملكة العربية السعودية" القاهرة 1958 ص99، وبريموند ص112.

[3] قارن بريموند ص112، وساندر وفولتا "في بلاد الامام يحيى" برلين 1942 ص23، وعطار ص638، والمقطم عدد 13789، في 29ـ5ـ1934 (من مقال لامين سعيد) كتب امين سعيد أيضاً ان عدد سيارات النقل التي اشتراها

ومعظم الاسلحة الحديثة كانت مقدمة من بريطانيا العظمى صاحبة النفوذ والحظوة في الرياض.
وخلال الفترة من أكتوبر 1933ابريل 1934 زودت الحكومة البريطانية ابن سعود بمليوني حبة رصاص، وقد لعب رجل المخابرات البريطاني القدير . ومستشار ابن سعود الدائم في نفس الوقت المستر جون فيلبي، والذي تنبأ منذ عام 1930 بحتمية اندلاع الحرب بين اليمن ونجد [1] لعب دروراً بارزاً في هذا المجال، فقد تكفل بمهمة جلب سيارات النقل للمملكة السعودية، وبفضل جهوده قدمت شركة ستاندرد أويل عن طريق البنك الهولندي في جدة للملك السعودي 30000 جنيه استرليني كقرض، ليستعين بها في شراء تجهيزات حربية، وكل سيارات النقل التي تسلمها عبد العزيز عام 1934 بيعت له من قبل شركة فورد على الحساب.[2]
من هذه الوقائع يتضح ان الحرب التي اعلنها الحاكم الوهابي على اليمن لم تكن فقط بسبب النزاع على عسير ونجران بينه وبين يحيى حميد الدين، وانما كانت بالدرجة الأولى حرباً توسعية، شنت بدعم من الاستعمار البريطاني، لهدف اوسع بكثير من مجرد الحاق عسير ونجران بالمملكة السعودية، لقد كان هدفها البعيد هو احتلال اراضي المملكة اليمنية كلها، والحاقها ان امكن بالمملكة العربية السعودية!
ولم تكن الامبريالية البريطانية تريد بهذه الحرب الحصول على الأرباح الاقتصادية التي تجنيها من وراء بيع تجهيزاتها في شكل اسلحة ووسائل نقل آلية، وانما أيضاً تحقيق مصالح سياسية خاصة في حالة تمكن حليفها ابن سعود من الاستيلاء على اراضي مملكة اليمن.

ابن سعود من أجل الحرب بلغ 2000 سيارة، بينما ذكرت البلاغ، عدد 3354، في 15ت1934.1 ان ما اشتري من هذه السيارات كان 300.

[1] "عبد الله فيلبي" تأليف خيري حماد، بيروت 1961، ص214 عدد 17756، في 1934.5.16، وفاروقي ص71، والاهرام عدد 17756، في 1934.5.16، (من تصريح لوزير التجارة البريطاني امام البرلمان البريطاني) كان البنك الهولندي يحتكر مسألة نقل الحجاج، وقدمت المانيا أيضاً اسلحة لملك الرياض، مكتوباً عليها "عبد العزيز بن سعود" قارن الفتح عدد 5339 في 1953.3.2 (1934.6.25) (من تصريح لمحمد علي علوبة باشا)

[2] قارن بريموند ص116، وفاروقي ص71، والاهرام عدد 17756، في1934.5.16، (من تصريح لوزير التجارة البريطاني امام البرلمان البريطاني) كان البنك الهولندي يحتكر مسألة نقل الحجاج، وقدمت المانيا أيضاً اسلحة للملك الرياض، مكتوباً عليها "عبد العزيز بن سعود" قارن الفتح عدد 5339 في 1953.3.2 (1934.6.25) (من تصريح لمحمد علي علوبة باشا).

قال سيف الإسلام أحمد قائد الشمالي في صعدة قبل ان تندلع الحرب انه من غير العجيب ان يعتدي علينا ابن سعود بمساعدة أصحاب الامتيازات الاجانب، والشركات، (البلاغ عدد 3351، في 1934.1.12) (من تقرير للشريف المكي).

وعلى عكس ما فعل ابن سعود الذي كان يسعى وراء تحقيق سياسة توسع اقليمية هيأ نفسه لها بالمال والسلاح، فإن ابن حميد الدين الذي كان يدافع عن حقوق وطنية مشروعة ويرفع شعار :
"اليمن لليمنيين" وشعار : "الوحدة اليمانية" لم يعد نفسه الاعداد اللازم والكافي للحفاظ على هذه الحقوق، وللدفاع عنها بقوة السلاح، ولنقل مطالب اليمن العادلة في الوحدة من مائدة المفاوضات العقيمة والمملة إلى ميدان القتال الوطني، ولمواجهة أي حرب يمكن ان يشنها الملك السعودي على اليمن. فقد كان ينقض جيشه كل الاسلحة التي استوردها من ايطاليا فإن معظم الاسلحة التي كانت في حوزته لا تعدو ان تكون مدافع وبنادق، مما حصل عليه اتباعه خلال قتالهم للاتراك. وكاجراء عدائي فإن السلطات البريطانية احتجزت في عدن 8000 بندقية مع ذخيرتها كان الامام قد اشتراها من الايطاليين، واستبقتها هناك .كشكل من اشكال المساعدة غير المباشرة لابن سعود . حتى نهاية الحرب[1] كان امام صنعاء يعرف نقاط الضعف في نفس وفي جبهته، ومن هنا كانت رغبته الواضحة آنذاك في اجتناب الحرب، وفي اللجوء إلى المفاوضات وقد طلب إلى وفده المحتجز في أبها برئاسة عبد الله الوزير التوجه إلى ابن سعود لهذا الغرض. وأبرق في مطلع ابريل . مع بداية الحرب . إلى بعض الجمعيات الإسلامية في فلسطين ومصر ، شاكياً إليها هجمة عبد العزيز الحربية على اليمن، وطالباً منها ارسال وفد إلى الحجاز ، ليحاول بالتعاون مع وفده اقناع ابن سعود بالبحث عن حل سلمي، وبايقاف الحرب، غير ان ابن سعود الذي كان يشعر انه من القوة بمكان رفض محاولة الامام يحيى هذه، وابقى الوفد اليمني في أبها، واعلن ان هذه الخطوة ليست الا تكتيكاً من قبل حاكم صنعاء "وليس للامام من مقصد في ارسال ابن الوزير الينا الا التطويل، ليدرك من بلادنا مثل ما ادركه في مطاولته الأولى" وانه ليس هناك الا طريق واحد على ابن حميد الدين ان يسلكه، وهو قبول مطالب ابن سعود دون مفاوضات، "ولا يستطيع ابن الوزير ولا غيره ان يغير في الأمر شيئاً، وقد مضى علي أكثر من سنة وانا اجادل أهل نجد دونكم إلى ان نفد صبري وصبرهم، وتعدياتكم متكررة لم تقف عند حد، والامر قد فرط للدفاع عن كياننا، ولا حول ولا قوة الا بالله، فإن كان لكم رغبة في السلم الذي نرغبه، وصبرنا من اجله، على ما لا يصبر عليه، ففي أي وقت ترغبونه، تستطيعون ان تبرقوا لنا بقبول الاتفاق والسلم." كما جاء في برقيته الجوابية إلى يحيى حميد الدين، ولم يعد في الامكان بعد الآن قبول

[1] استندت في ذلك إلى معلومات استقيتها من السيد حسن بن ابراهيم، نجل علي ابن إبراهيم قائد الجيش اليمني خلال هذه الحرب.

سياسة ملك اليمن، فهي .كما تحدث ملك السعودي .كلها "ملق وتملص ووعود" وابن حميد الدين لا يحسن "غير المكر والغدر"[1] كما جاء فيها أيضاً.

ومع ذلك فقد تشكلت بعثة وساطة اسلامية مكونة من امين الحسيني من فلسطين، وهاشم الاتاسي من سوريا، وشكيب ارسلان من لبنان، ومحمد علي علوبة من مصر ، غادرت ميناء السويس إلى المملكة العربية السعودية في 1934.4.13، في محاولة يائسة لاقناع الملك الوهابي بوضع حد للاعمال الحربية، وحل مشاكله مع امام اليمن بالطرق السلمية[2]. ولكن جهودها ذهبت عبثاً.

رغم سلاحها الرديء فقد كافحت الجيوش اليمنية ببسالة نادرة جيوش ابن سعود الغازية المجهزة بأحدث الاسلحة، وقد حدثت معارك كبرى في نجران في الشرق، وحرض في الغرب، وكان ابن حميد الدين قد ركز في نجران قوة ضاربة تمكنت من توجيه ضربة حاسمة إلى الجيش السعودي الجيد التسليح، والمدعم بمحاربي قبائل نجران[3] كما تمكن الجيش اليمني المهيمن على جبال عسير تهامة، والمؤزر بأنصار عبد الوهاب الادريسي الذي اضطلع بالقيادة هنا من ان يحافظ على مواقعه، وان يردع ويكسر كل الهجمات التي كان يقوم بها الجيش السعودي انطلاقاً من تهامة عسير ، ولقد كان الوضع الجغرافي في صالح الفصائل اليمنية المرابطة التي كانت بفضل ذلك أيضاً . سيدة الموقف في جبال ساق الغراب التابعة لعسير تهامة، وبلك أتيح لعبد الوهاب الادريسي ان يتحكم في سفح الجبال ووديانها، وان ينتقل بالقوة اليمنية التي كانت تحت تصرف من الدفاع إلى الهجوم، وان يشن هجمات ناجحة ضد الحاميات السعودية في العارضة، والقصبة، الواقعتين غرب جبال العبادل، وضد القوات السعودية المعتدية المتواجدة في أماكن أخرى في تهامة نفسها. ولكن لأن الوحدات اليمنية كانت تفتقد وسائل الدفاع

---

[1] اقرأ برقيات الامام وابن سعود، وبلاغاً لوزارة الخارجية السعودية في الاهرام، عدد 17713، في 1934.4.1، والاهرام عدد 17716، في 1934.4.5، وفي الاهرام عدد 17719 في 1934.4.8، انظر أيضاً امين سعيد (اليمن) ص93.92.

[2] قارن الاهرام عدد 177723، في 1934.4.13.

[3] قارن البلاغ عدد 3438 في 1934.4.10 (من برقية مرسلة من صنعاء في 1934.4.9 واخرى لمراسل الجريدة، مرسلة من عدن في 1934.4.9) قارن أيضاً المقطم، 13748، في 1934.4.11، وامين سعيد ص99.
والبلاغ عدد 3461 في 1934.5.3 (من تقرير مرسل من صنعاء في 1353.1.9هـ (1934.4.23 من الشيخ عبد الهادي الانسي) ومن الملاحظ ان وزارة الخارجية السعودية لم تصدر بلاغاً حول معركة نجران، كما هو الحال بالنسبة للمعارك الأخرى ، ذلك ان الجيش السعودي هنا لقي الهزيمة. وانظر برقيات الامام وابن سعود في الاهرام عدد 17746 في 1934.5.6.

الحديثة والملائمة، فأنه لم يكن بامكانها الثبات في تهامة، غير انها ظلت صاحبة السيادة في جبال عسير تهامة، ابتداء من العبادل في الجنوب الغربي إلى بني مالك في الشمال الشرقي[1].

لم يتمكن الجيش الرئيسي التوسعي الذي دفع به ولي العهد سعود نحو صعدة تحت امرة فيصل بن سعد ان يشق طريقه بسيارات الحمل التي كانت معه الا بصعوبات هائلة، ولم يستطع ان يستولي على غير مواقع الشطبة، ويباد، ومضيق باب الحديد، وباءت بالفشل كل محاولاته في التقدم نحو النقطة الرئيسية في بني جماعة .باقم . التي تقع بعيداً عن مدينة صعدة جهة الشمال. وبدت المدينة نفسها، التي ظلت عبر التاريخ العاصمة السياسية والروحية لائمة اليمن الزيديين، والتي كان هدف الاستيلاء عليها حلماً غالياً من احلام سلطان نجد .بدت لصعوبة الوصول إليها امنع من عقاب.

ومن باقم امكن للجيش اليمني في 22 ذي الحجة 1352هـ (1934.4.7) ان يقف الزحف السعودي، بعدئذ تقدم سعود من معسكره في خميس مشيط إلى موقع ظهران، الذي يفصل ما ين حدود منطقة صعدة، ومنطقة عسير السراة، بهدف تحميس قواته، ودفعها إلى بذل جهود انشط في القتال، واختراق حاجز صعدة السميك، ولكن دون جدوى، فقط الجزء الشمالي من اراضي بني جماعة كان في متناول يد الجيش السعودي[2]. وظلت باقم . القلعة الرئيسية في بني جماعة، وبوابة صعدة .تمثل خط الدفاع الأول للقوات اليمنية التي كانت تحت قيادة السيف أحمد، الذي كان يتخذ من مدينة صعدة مقراً له، وظل هذا الخط الدفاعي يشكل سداً منيعاً غير قابل للاختراق.

وعلى عكس المنطقة الجبلية فإن امكانيات التقدم في الأرض السهلية الغربية كانت متاحة أكثر بالنسبة لجيش فيصل المزود بوسائل النقل وآلات الحرب الحديثة والثقيلة. فقد كانت الظروف ملائمة لزحف بعض فصائل هذا الجيش التي كانت برئاسة حمد الشويعر، والتي مضت في اتجاه حرض. نعم، قامت القوات اليمنية المرابطة في المدينة بقيادة حاكم حرض السياني باعتراض الكتائب الوهابية المتقدمة. وعلى امتداد وادي حرض دارت معركة درامية رهيبة بين الجيشين، ولأن الجيش السعودي كان متفوقاً

---

[1] قارن البرقيات الانفة الذكر المرسلة من عدن وصنعاء في البلاغ عدد 3438 في 1934.4.10، والمقطم عدد 13748 في 1934.4.11، وقارن أيضاً بلاغ الوكالة السعودية في القاهرة في الاهرام عدد 17732 في 1934.4.23، وفي المقطم عدد 13759 في 1934.4.24، وقارن كذلك المقطم عدد 13772 في 1934.5.9 (حسب اذاعة من القسطنطينية في 1934.4.25).

[2] قارن بلاغاً سعودياً صادراً في 24 ذي الحجة 1352 (1934.4.6) في الاهرام عدد 17721، في 1934.4.11، وقارن أيضاً البلاغ عدد 3438 في 1934.4.10، وكذلك الفتح عدد 392، في 12 محرم 1352 (1934.4.26) وامين سعيد، (اليمن) ص95.94، وبلاغاً للوكالة السعودية في القارة في الاهرام عدد 17736 في 1934.4.26، وقارن أيضاً جون فيلبي في (العربية السعودية) لندن 1955 ص323، والدكتور حسن سليمان محمود والسيد محمد ابراهيم في المصدر السابق ص91.

بعدده وعتاده الغربي الذي كان يشمل الدبابات والمصفحات، مما كان ينقص الجيش اليمني فإن السياني آثر . من أجل التمركز في مواقع دفاعية أفضل . التراجع مع قواته من خط الدفا ع الأول إلى خط الدفا ع الثاني في مدينة حرض نفسها، التي كان بقلعتها الحصينة في وضع دفاعي أكثر ملائمة، وكانت تحتوي على كميات من الذخيرة والمؤونة. من أجل ذلك اتيح للساني ان يقود مقاومة مظفرة، واضطرت القوات السعودية المعتدية التي كانت في إحدى مراحل القتال قد استولت على المدينة، ولكن كان عليها ان تواصل القتال من أرض مكشوفة، وتحت هدير النيران المنهمرة عليها من المواقع اليمنية، اضطرت إلى الانسحاب جنوباً وغرباً، لتكون بعيدة عن مرمى المدافع والبنادق للجيش اليمني[1] غير ان محيط حرض كان تحت سيطرة الوهابيين، وبدون نجدة سريعة ما كان في امكان السياني ان يدافع طويلاً، وقد ناشد الامام ارسال التعزيزات اللازمة، وقد بعث ابن حميد الدين قوة من اللحية بقيادة عبد الرحمن ابن عباس إلى حرض، ولكن قائد الكتائب السعودية في تهامة حمد الشويعر دفع بقوة اعتراضية، خاضت مع النجدة اليمنية معارك في وادي خبوان الواقع في نقطة تقع ما بين ميدي والسلمية، انتهت بظفر الفصائل الوهابية[2]، المجهزة بالسلاح الحديث نسبيا.

ورغم أنه لم تكن قد دارت معركة فاصلة بين الجيوش اليمنية والسعودية، ولم تنهزم بعد الجبهة الغربية في تهامة والجبهة الشرقية في صعدة ونجران، أو يخترق أي منهما، فإن الامام يحيى أصدر اوامره إلى جيشه في الجبهة الغربية بعدم "المدافعة عن بعض المواقع التهامية" مثل حرض وميدي[3].

---

[1] قارن البلاغ السعودي الانف الذكر في الاهرام عدد 721 في 1934.4.11، وفي البلاغ عدد 3438، في 1934.4.10، ولدى امين سعيد ص95.94، قارن أيضاً الاهرام عدد 17736 (من مقالة جون فيلبي السابقة) وفيلبي (العربية السعودية) ص323 وكذلك العقيلي ص343.342 والبلاغ عدد 3461 في 1934.5.3 (من تقرير مرسل من صنعاء في 1353.1.9، 1934.4.23 من الشيخ عبد الهادي الانسي واعتمدت كذلك أيضاً على رسالتين جوابيتين موجهتين الي من السيد حسين الويسي بتاريخ 1981.9.27 (1962.3.4) وفي 1381.11.7 (1962.4.12).

[2] قارن البلاغ السعودي في الاهرام عدد 17721 في 1934.4.11 في البلاغ عدد 3438، في 1934.4.10 ولدى عدد 17736، في 1934.4.26، وعطار ص638، قارن كذلك برقية من صنعاء في البلاغ عدد 3439 في 1934.4.11.

[3] اقرأ برقية من وزير القصر الملكي في صنعاء السيد محمد زبارة، موجهة إلى السيد عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين في القاهرة في البلاغ عدد 3463 في 1934.5.5 واقرأ برقية أخرى لزبارة في المقطم عدد 13770 في 1934.5.6 وبرقية من الامام في 1934.4.17 موجهة إلى د. عبد الحميد سعيد وحامد المليجي مدير جريدة البلاغ في المقطم عدد 13758 في 1934.4.22، وحسب معلومات استقيتها من محمد المنصور، الوزير اليمني في اتحاد الدول العربية عام 1961 أثناء رحلتي الدراسية في القاهرة فان الامام أمر السياني بالانسحاب من حرض، بعد أن طالبه هذا بارسال نجدات اليه،ويقول المنصور انه سم هذه الواقعة من السياني نفسه.

وفي مطلع محرم 1353هـ (1934.4.15) ترك السياني مع جيشه مواقعهم في حرض واتجهوا نحو المعتدية، التي توجهت حينئذ نحو الساحل، وفي 4 محرم 1353هـ (1934.4.18) اخذت حبل الواقعة جنوب شرق ميدي، دون ان تلقى أي مقاومة، وبدأ حاكم ميدي، وقائد حاميتها القاضي عبد الله القرشي في الانسحاب مع قواته عبر الشاطئ. وقد امكن الكتائب السعودية الغازية ان تلحق بهم بفضل وسائل النقل الآلية التي كانت تحت تصرفها، وان تهاجمهم من الخلف، مما أدى إلى نشوب معركة بالغة الشراسة بين الفريقين، انته بأسر العرشي مع من تبقى معه على قيد الحياة. وفي 12محرم 1353هـ (1934.4.26) سقطت ميدي لقمة سائغة في يد جيش التوسع السعودي. ومن جيزان تقدم الأمير فيصل قائد الجيش مصحوباً بـ 70 سيارة حمل، ودخل المدينة المفتوحة[1]، شأن اي غاز خارجي لا تحركه سوى مطامح التوسع والفتح والعدوان.

وفي نفس الوقت الذي أمر فيه الامام يحيى بسحب جيشه من حرض وميدي أرسل برقية إلى ابن سعود كشفت عن مدى ضعفه وقلة حيلته: "يكفي ما قد كان، ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالاسلام الدوائر، لتحقيق مطامعهم....." وفيما يتعلق بنجران فانه حكم الملك الوهابي في مصيرها، وطلب إليه استدعاء مندوبه عبد الله الوزير من أبها "إلى حضرتكم لاكمال المعاهدة الاخوية. عافاكم الله".

غير ان هذا الضعف الظاهر، في موقف الامام يحيى،والتهافت الشديد في طلب الصلح قد منح ابن سعود قوة اضافية وفي26 ذي الحجة 1352هـ (1934.4.11) رد عليه بأن عودة السلام بين البلدين متوقف على سحب الامام للجيش اليمني من نجران، ومن جبال عسير تهامة، وتسليم الادارسة، وقد أكد ابن حميد الدين لابن سعود في برقية جوابية في 29 ذي الحجة 1352هـ (1934.4.14) موافقته على اخلاء نجران والجبال، ولكن تسليم الادارسة سينظر إليه من قبل الرأي العام العربي بأنه عمل فاضح، غير ان عبد العزيز. حسبما جاء في برقية مرسلة إلى الامام في مطلع محرم 1353هـ

---

[1] قارن المصدر السباق والعقيلي ص347.334 وبلاغ وزارة الخارجية السعودية في مكة في 1934.5.3 في الاهرام عدد 17745 سعيد ص97.96، والمقطم عدد 13764 في 1934.4.29 حسب نبأ من جدة في 1934.4.27 (نقلاً عن رويتر) قارن أيضاً برقيتين من فيصلبن عبد العزيز وحمد الشويعر في الاهرام عدد 17749 في 1934.5.8، وقارن كذلك البلاغ عدد 3466 في 1934.5.8.

وقد تضمنت برقية فيصل الانفة الذكر الموجهة إلى ابن سعود ما نصه:

"جاءنا حضرمي من أهل ميدي، واخبرنا ان جند العرشي قد هرب اخرهم عند الساعة الثانية، فتقدمنا إلى ميدي الساعة 12 من صباح الخميس واستقبلنا اهلها، وقدموا لنا الطاعة، وبذلنا لهم الامان، واعلمونا ان العرشي لم يتمكن من الفرار بحراً لضيق الوقت، فأرسلنا 25 سيارة، ومعها رشاشات لمطاردته، واستولينا على ما في ميدي من القلاع والذخائر والمهمات" وجاء في برقية الشويعر "بأن السيارات تمكنت من مطاردة العرشي وجماعته والقبض عليهم".

(1934.4.18) تمسك بضرورة تنفيذ جميع شروطه، ولم يجد يحيى حميد الدين مفراً من القبول، حيث وجه إليه في 4 محرم 1353هـ (1934.4.18) برقية يقول فيها:

"أما نجران فالعمل جار في ارتفاع من به من الجند. كما رفعناه لحضرتكم." ووعده باخلاء جبال عسير، "اما الادارسة فلا بأس بما أراد الاخ العزيز. أي بتسليمهم. ولكن ليتفضل ان يكون ذلك إلى من ترونه من الوفد الإسلامي الاصلاحي الذي نؤمل انه الآن بحضرتكم باعتبار ما جاءنا من البرقيات".

غير ان الامام ربط تنفيذ سحب الجيش اليمني من مواقعه التي صمد بها في نجران وجبال عسير، ربطه بايقاف ابن سعود للحرب "وتفضلوا بتعيين اليوم الذي يكون به ارتفاع الاجناد من الطرفين، وبالافادة الينا عافاكم الله.".

وفي اليوم التالي وجه عبد العزيز برقية جوابية أكد فيها بوضوح أكثر انه لا يمكن توقيف الحركات العسكرية، طالما والامام لم يسحب جيشه من نجران والجبال، واصر على ضرورة تسليم الادارسة إلى فيصل أو سعود، وليس إلى وفد الوساطة الإسلامي.

وفي 8 محرم 1353هـ (1934.4.22) انحنى ابن حميد الدين امام ابن سعود، وقبل بشروطه، حيث ابلغه انه مستعد الآن لتنفيذ جميع شروطه، باخلاء نجران والجبال بسحب الجيش اليمني منها، وتسليم الادارسة، وطلب إليه في نفس الوقت انهاء الأعمال الحربية، وحتى يتمكن الجيش اليمني من الانسحاب من نجران في امان، وبالسرعة المطلوبة، ورجاه في طلب عبد الله الوزير إليه، لابرام "معاهدة الصداقة". وقد رد ابن سعود في نفس اليوم. وقد غدا أكثر تصلباً وعناداً. بأنه لا العمليات العسكرية،ولا الحرب يمكن ايقافها، طالما والجيش اليمني في نجران والجبال التابعة لعسير تهامة، وطالما والادارسة لدى ابن حميد الدين، واضاف ان الحرب ستستمر حتى ينفذ امام صنعاء كل الشروط[1] السعودية المطروحة عليه.

خلال ذلك نشأ نزاع بين الامام ونجله احمد، قائد الجبهة الشرقية، فقد رفض الأمير هذا الموقف الضعيف والمتخاذل لوالده، وتمسك بضرورة قيادة الحرب ضد ابن سعود حتى النهاية، غير ان يحيى ارغم نجله على الاذعان، وعلى تنفيذ مشيئته، حينئذ اعطى السيف أحمد اوامره إلى قائد الجيش اليمني في نجران السيد اسماعيل بن حسن المداني، الذي كان مركز قيادته في الفرع جنوب غرب نجران، بحسب القوات اليمنية من نجران. وهكذا بدأ باخلاء نجران في 7 محرم 1953هـ (1934.4.21)

---

[1] اقرأ برقيات الامام وابن سعود في البلاغ عدد 3452 في 1934.4.24 (نقلاً عن الجريدة الحجازية (أم القرى) واقرأ تكملة هذه البرقيات في الاهرام 1934.4.13 عدد 17723) وعدد 17745، في 1934.5.5، واقرأ بعض هذه البرقيات لدى امين سعيد ص96.95، وقارن بلاغ وزارة الخارجية السعودية، في الاهرام في المقطم عدد 13759 في 134.4.24.

وخلال عملية الانسحاب عن طريق الحضن . عقبة نهوق، تعرضت بعض فصائل الجيش اليمني لهجمات من الخلف من قبل كتائب الجيش السعودي واليامبيين معاً، بعد ان عرف هؤلاء في اللحظات الأخيرة بأمر انسحابها[1].

لم يرد ابن سعود ايقاف الحرب، برغم هذه الاجراءات التنازلية التي قام بها يحيى حميد الدين، والتي اوضحت بجلاء انه لم يعد راغباً في الحرب، كما لم يكن راغباً في نشوبها منذ البداية، فقد اعتبر عبد العزيز ذلك علامة ضعف وجبن أراد استغلالها حتى النهاية،والمضي في الحرب حتى يتم له اسقاط عرش ابن حميد الدين، والاستيلاء على اراضي مملكته وبلوغ اقصى احلامه التوسعية الاقليمية، ليصبح بذلك قيصر الصحراء فعلاً، كما كانت تسمية الاوساط الغربية التي ربط عرشه بها منذ البداية. وخلال ذلك أمر الامام يحيى الجيش اليمني الصامد بالانسحاب من كل ما دعي "بالاراضي المتنازل عليها" وبالذات من منطقة تهامة التي تم انتزاعها من الادارسة عام 24 . 1935، أي . عدا حرض وميدي . من عبس في الشمال إلى ميناء الطائف في الجنوب من الحديدة، بما في ذلك بيت الفقية،

---

[1] اعتمدت على معلومات من السيد حسين الويسي بناء على خطاب منه الي خاص بذلك 1381.11.7، (1962.4.12) قارن أيضاً برقية من الأمير سعود متعلقة بانسحاب الجيش اليمني، نشرت في في 1934.5.4 في الاهرام عدد 17749، في 1934.5.8، والبلاغ عدد 3466 في 1934.5.8، قارن أيضاً امين سعيد ص99. اشار بلاغ وزارة الخارجية السعودية في 27 . 4 . 1934 بأنه لم "يكن بدون اتمام الحركات الحربية التي وضعت قبلاً، وبناء على ذلك فأن الجيوش التي تحت قيادة سمو الأمير سعود، تمكنت من طرد الزيود من نجران، والاستيلاء على القصور والقلاع، والمهمات العسكرية، وطاردتهم الى ما وراء بلدة الحضن آخر حدود نجران من جهة اليمن.." اقرأ نص البلاغ في المقطم 13764 في 1934.4.29،والفتح 393 في 19 محرم1353 (1914.5.3 ولدى امين سعيدص96). القول بأن الجيش اليمني قد طرد من نجران لا يطابق الحقيقة، ويتناقض مع برقية الأمير سعود السابقة نفسها، التي ذكر فيها . بعد ان تحدث عن حدوث معركة بين الفريقين كان الجيش اليمني خلالها في قلاعه وحصونه . قال انه في مساء 7 محرم 1353، بعد "صلاة المغرب" جاءت امرأة وقالت ان الزيود خرجوا من نجران، فأرسلنا من يكشف الحقيقة في مقدمتنا، ثم سرنا في الاثر، فوجدنا القصور خالية، فاستولينا عليها، وعلى المعسكر، وتعقبنا الزيود إلى وراء الحضن، وهم يفرون من عقبة طريق نهوق التي تخرج على بلاد الفرع ووائله" (انظر الاهرام عدد 17749، في 1934.5.8 والبلاغ عدد 3466 في 1934.5.8).

راجع أيضاً المصادر الاتية التي تؤكد انسحاب الجيش اليمني من جنوب نجران، وسقوط نجران في يد الجيش السعودي: الاهرام عدد 17741، في 1934.5.1 المقطم عدد 13766، في 1934.5.2 (من مقال لامين سعيد) وعدد 13763 في 1934.5.2 (من مقال لامين سعيد) وعدد 13763 في 1934.4.28 (مقالة لامين سعيد) الأهرام عدد 17753 في 1934.5.13 وعدد 17736 في 1934.4.26 (مقالة لجون فيلبي)عدد 17744 في 1934.5.4 والمقطم عدد 13764، في 1934.4.29 (نبأ من جدة مرسل في 1934.4.24 نقلاً عن رويتر) والاهرام عدد 17751، في 1934.5.11 ومصادر أخرى.

وباجل، وقد برر الملك المتوكلي هذه الخطوة بأنها "بناء على طريقتنا المحصورة في محبة السلام بين المسلمين، وتوقياً من القاء الإسلام والمسلمين في ميادين الهلاك، وكما كررنا وعوجنا للعالم الإسلامي من ابتداء الخلاف بيننا وبين اخينا الملك عبد العزيز قد عزمنا ان لا نعتبر انفسنا داخلين في حرب إلى آخر نقطة يمكن تحملها... وتعزيزاً لهذه الخطة القاطعة قد رجحنا تخلية البلاد المتنابذ عليها . لا عن انكسار . إلى ان يعود الملك عبد العزيز إلى الصواب في الانصاف والسكينة، وقد رجونا توسط حضرة ملك مصر فؤاد الأول المعظم في تيسير السبيل في الصلح بين المسلمين باسم الديانة الإسلامية،ونحن كما قلنا ملتزمون بالصبر ، وثابتون عليه، فللعالم الإسلامي بعد هذا ان يعيب علينا هذا الاحتمال، أو يمدنا..." وعملاً بسياسة التقهقر هذه غادر السيف عبد الله.نجل الامام.مدينة الحديدة، واتجه إلى صنعاء، بينما فر قائد القوات اليمنية هناك سليم بك إلى جزيرة كمران، وانسحبت كل الفصائل اليمنية من الحديدة، واللحية وغيرهما من مدن وقرى تهامة، وعادت إلى الجبال، واعلن الامام حينئذ انه لم يعد في حرب مع ابن سعود، وان جيشه قد اخلى تهامة كلها، لا عن هزيمة .كما قال .، وانما حرصا على دماء المسلمين من ان تسفك، وعمران بلادهم من ان يدمر، وتفويتاً للفرصة على أي تدخل اجنبي واضاف: "لم يكن انسحابنا من سواحل تهامة الا لتفادي ما هو أنكى وأمر ، فالطامعون في بلاد العرب من الأجانب أقوى جنداً، واكثر مالاً من أخينا الملك عبد العزيز" وهم "أقوى منا ومن اخينا عبد العزيز" معاص، وهم أصحاب مصلحة في استمرار الحرب في تهامة "وقد ارمنا باخلاء تهامة... مع الاحتفاظ بحقوقنا" فيها . غير ان تراجع الامام المستمر من ميدان تهامة، وتصريحاته المتخاذلة هذه لم تزد ابن سعود الا عتواً وصلفاً، والا غلوا في خطته التوسعية تجاه اليمن. وخلال الحرب تحرك مشائخ قبائل تهامة ضد الامام يحيى، امثال مشائخ بني مروان،وعبس، والواعظات، واللحية، والزهرة، وكذلك مشائخ قبيلة الزرانيق، واعلنوا .بسبب شعورهم بأن لا نصيب لهم في سلطة البلاد، وانها حكر على فئات من الطائفة الزيدية . اعلنوا تضامنهم مع ابن سعود، الذي كان قد اجرى اتصالاً معهم قبل الحرب، وقد بدأ تحركهم قبل ان ينسحب الجيش النظامي اليمني من تهامة، وبعد انسحابه قام هؤلاء المشائخ الذين كان عبد العزيز قد مد اثره إلى اوساطهم بالاستيلاء على كل المدن والقرى التهامية، ابتداء من عبس في الشمال إلى الحديدة في الجنوب.

وبعد ذلك اصدرت وزارة الخارجية السعودية مذكرة رسمية في 3 مايو 1934 تقول فيها: "أن قوات الامام يحيى انسحبت من تهامة، وتركت البلاد لتحتلها قوات جلالة الملك، وقد كان من نتيجة ذلك ان جنود جلالة الملك تمكنت من احتلال "ميدي"في 12 محرم، واللحية في 17 منه، وقد صدر الأمر المستعجل بتقدم الجيوش لاستلام الحديدة التي فهم ان القوات اليمنية انسحبت منها أيضاً، وبناء على ذلك فقد اصبحت حكومة جلالة مسؤولة عن إدارة البلاد التي تم احتلالها، وبالطبع فقد اخذت على

عهدتها في الوقت المناسب أمر البلاد التي سيتم احتلالها قريباً." واضافت المذكرة التي وزعت على ممثلي الدول ان الحكومة السعودية ستغدو مسؤولة منذ الآن وحريصة كل الحرص على سلامة النزلاء الأجانب الموجودين في البلاد المحتلة .

والان يأتي اوان طرح السؤال الملح وضرورة الاجابة عليه، وهو :

لماذا سحب الامام الجيش اليمني من نجران وتهامة؟ ما هي الأسباب التي كانت وراء هذا الاجراء الخطير الذي اضر بسمعة الامام يحيى داخل البلاد وخارجها ضرراً بليغاً؟ كما جرح مكانة هذا الجيش الشجاع؟ والمسألة تكتسب اهمية أكثر، نظراً لانه لم تكن قد حدثت حتى هذا الوقت معركة فاصلة بين الجيش اليمني والجيش السعودي. ان وراء موقف ابن حميد الدين هذا عوامل كثيرة، فهو لم يكن مطمئناً إلى ان الجيش اليمني الجبلي التكوين والتقاليد الكفاحية يستطيع ان يقود حرباً طويلة الأمد ضد الجيش السعودي الغازي الذي يجيد حروب الصحراء، ويمتلك اسلحة ومعدات حديثة متفوقة، وقد أراد الامام بالانسحاب مما اسمي "بالمناطق المتنازع عليها" التي كان عبد العزيز يرفع عليها مطالب توسعية بحجة انها كانت تابعة للامارة الادريسية التي قام بتصفيتها، أراد ان يقنع الملك الوهابي برغبته في التفاوض حول مصير هذه المناطق ، وحل المسألة سلمياً، وكان على يحيى حميد الدين ان يلاحظ ويضع في اعتباره انه ليس مشائخ قبائل يام الاسماعيلية في نجران انتقلت إلى جانب ابن سعود، وانما أيضاً مشائخ قبائل تهامة الشافعية مما اضعف جانب الامام يحيى، وهز السلطة المركزية في صنعاء، ومنح سلطان نجد قوة اضافية، ونفوذاً متزايداً داخل الأرض اليمنية نفسها، ولذلك خشي ابن حميد الدين ان يقع جيش البلاد في نجران وتهامة بين نارين، وفي هذا الصدد صورت جريدة "الاهرام" في عدد 1934.5.4 موقف مشائخ تهامة تصويراً، وان كان ينطوي على عنصر المبالغة، فانه لم يكن خالياً من عنصر الحقيقة المرة: "والظاهر ان ابن سعود استفاد من حالة الشوافع الروحية، فلم يبلغ جيشه في الزحف جنوباً إلى مدينة ميدي حتى أعلن العفو والامان، مشترطاً على السكان مساعدته على طرد جيش الامام من بلادهم، فكان له ما أراد، ووجد في الشوافع اعظم حليف له، بحيث كانت الثورات على الجيش المتوكلي تمهد السبيل لزحف جيشه، حتى ان سكان الحديدة نفسها قاموا في وجه القوات اليمنية، وطردوها من مدينتهم، ونهبوا مستودعات الأسلحة والذخائر التي ابتاعها الامام اخيراً لمحاربة ابن سعود، ثم ارسلوا إلى القوات السعودية يطلبون قدومها لتسلم المدينة، ولا ريب في ان ثورة الحديدة لم تقم الا بعد ثورة القبائل المحيطة بها من الشمال والشرق والجنوب." وكما جاء في برقية الشويعر قائد الزحف السعودي: "وصلت الانباء من جميع مشائخ تهامة لطلب الامان مقابل تسليم البلاد بمن فيها من جنوب الزيود.

وقد سحب الامام جيش البلاد من تهامة ونجران، وهو الذي يتقن الحرب الجبلية، من أجل تركيزه في رؤوس الجبال، ذات الاهمية الاستراتيجية البالغة، حتى يتمكن من هناك وفي ظل ظروف وشروط دفاعية وهجومية أكثر مواتاة له من مواصلة النضال في مراحل الحرب اللاحقة. وقد أراد يحيى بذلك أيضاً ان يستدرج الفصائل الوهابية إلى الوهاد والشعاب، حيث يتمكن محاربو اليمن الجبليون من ان يصيبوا منهم مقتلاً. ومنذ معركة حرض،ومعركة نجران الهائلتين لم يترك ابن حميد الدين لجيش الوطن فرصة الاستمرار في المنازلة والمقاومة، وأمره باخلاء الأراضي السهلية كلها، حيث لا يستطيع مجابهة الآليات المتقدمة التي كان يمتلكها الجيش السعودي، وتعويض هذا النقص في جانب الجيش اليمني عن طريق وضعه في مراكز قتالية حصينة تتيح لها تكبيد العدو خسائر مؤثرة، تعوق بها مسيرته كلها. وكما تحدث قائد تركي من واقع خبرة عملية وعسكرية بتاريخ الحروب اليمنية . التركية الطويلة والشهيرة معلقاً على مجرى الحرب اليمنية . السعودية المستعرة الاوار ، فانه يمكن القول بأن "اليمن استمرت في حالة حرب متواصلة منذ أكثر من ألف وستماية عام" وقد "امضت هذه الحقب الطويلة في مناضلة فاتحين مغيرين، أو في منابذتهم، واراني مقتنعاً بأن عصمة اليمن تنحصر في جبالها العالية، لا في سهولها، فمن هذه الجبال ما يبلغ ارتفاعه أكثر من أحد عشر ألف قدم،وما يكاد يكون متصل الاطراف، قلما تجد فيه ثغرة، يمكن الولوج منها، الا بعد رحلات طويلة، والطرق في أكثر نواحي اليمن الجبلية ضيقة جدا، فليس في مقدور جيش ان يجتازها، دون ان يتعرض لاخطار الذين يستعمرون هذه الجبال، أو الذين يتخذونها حصوناً للدفاع.... ولست أرى من الناحية العسكرية ما يراه بعض الملكيين (غير العسكريين) وهو ان احتلال البقاع دليل على الغلبة، فطالما تراجعت الجيوش تحت ضغط الحوادث المحلية، أو تنفيذاً لخطة حربية، استعداداً للهجوم أو الدفاع.. وإذا وازنا بين قوتي اليمن ونجد، أو ما يمكن تجنيده في الدولتين لا يسهل علينا تصديق القول بأن الحركات العسكرية التي تأتينا اخبارها قد وضعت حداً، أو يمكن ان تضع حداً للحرب القائمة، لا سيما إذا قدرنا ان وراء الخطة التي يسير عليها الامام يحيى سراً محجباً لم تستطع الصحف ولا المتكلمون كشفه، ولكنه في يقيننا نحن العسكريين توطئة لحرب دفاعية حاسمة يجب ان يكون فيها الجيش السعودي ضعف الجيش اليمني في عدده وعدته." ويمكن التنبيه منذ الآن "إلى ان الجيش المدافع يجد في طبيعة الأرض ما يضاعف قوته، لا سيما في البلاد الجبلية الوعرة المسالك كاليمن التي دوختنا نحن الاتراك بحروبها وثوراتها عشرات السنين." ولقد اتبع قادة الجيش اليمني هذا التكتيك الحربي، بل التقليد الحربي الموروث والمجرب والناجح ليعادلوا ويعالجوا به ضعف مواقعهم الدفاعية في اراضي نجران وتهامة السهلية، وليغطوا ويكملوا به نقصاً بل فقدان القوات اليمنية لمعدات الحرب الحديثة، وليتمكنوا من مجابهة خصومهم مجابهة واثقة قوية، ويسددوا إليهم ضربات فعالة وموجعة. ولسوف يبرهن مجرى الاحداث

الحربية ان اعتماد قيادة الجيش اليمني لهذه الخطة العسكرية لم يق هذا الجيش فقط ولوج حرب غير متكافئة في اراضي البلاد الواطئة، ولم يتنكب به مواجهة اخطار محققة فحسب، وانما أيضاً اكسبه نجاحات عظيمة.

ولقد سحب ابن حميد الدين جيش البلاد من المناطق الاسماعيلية والشافعية غير الموالية له، لاعتبارات وتعقيدات تاريخية وسياسية وطائفية ونفسية كثيرة، ولان مشائخها الاقطاعيين كانوا قد اقاموا صلات مع ابن سعود ودخلا في صراعات مع ابن حميد الدين الذي حرمهم من أي مشاركة سياسية في حكم البلاد، وقد ركز الجيش في الهضبة الوسطة، وحول المعركة إلى معركة بين طائفة الزيدية، وبين الوهابيين الغزاة، لتغدو المعركة دفاعاً عن وجود الطائفة الزيدية ذاته، في مواجهة الهجمة الوهابية الشرسة، واراد بذلك ان يستثير في اتباعه الدينيين كل غرائز وطاقات الدفاع عن النفس، وحماية الذمار، والحفاظ على الذات، والاستبسال في النضال ذودواً عن الديار، وصيانة للقلعة الأخيرة الباقية في اليمن من ان تسقط في يد العدو السعودي الشاهر سيفه على اليمن كلها، بغية فتحها وتملكها، واذابة كيانها في مملكته الاقطاعية . القبلية التوسعية.

وكان ابن حميد الدين . شأنه شأن ابن سعود . يدرك مدى الكراهية المتبادلة بين "الزيود" و"الوهابيين"، ويعرف عمق العداء بين "اليمن" و"نجد" هذا العداء التاريخي المبكر والقديم والذي اتخذ لبوساً متعددة عبر العصور، حتى أخذ . منذ ظهور المذهب الوهابي، وتبني الأسرة السعودية له في أواخر القرن الثامن عشر، ومحاولة فرضه على اليمن بحد السيف، وفرض النفوذ السعودي الإقليمي والسياسي من خلاله . حتى أخذ هذا العداء التاريخي بين اليمن ونجد منذ هذا الوقت شكل عداء بين "الزيدية" و"الوهابية" بين "الزيود" و"الوهابيين" أو بين "الائمة" و"آل سعود" وهو في حقيقته استمرار لذلك الصراع الذي نشأ من قبل الإسلام بين عرب جنوب الجزيرة العربية المتحضرين واعراب شمالها الباديين، أو بين ملوك اليمن، ورؤساء القبائل الارستقراطية في نجد، أو بين الدولة اليمنية المستقرة، وقبائل نجد المتنقلة والتي كانت تغير من حين لآخر على اطراف الدولة اليمنية المتحضرة المستقرة، وهو العداء الذي أخذ بعد الإسلام طابع صراع مأساوي بين "اليمنية والقيسية" القحطانية، والارستقراطية القبلية العدنانية. كان كل من ابن حميد الدين وابن سعود يعرف هذا التاريخ من الصراع الطويل بين نجد واليمن، بكل اشكاله والوانه وظلاله المتنوعة والمتعددة، وكان ابن حميد الدين في هذه اللحظات التاريخية والدارمية يدافع عن اليمن . رغم انتمائه من حيث الأصل إلى عدنان . ويذود عن كيانها التاريخي، وعن حقها السياسي في استكمال وحدتها الطبيعية، وكان ابن سعود يسعى وراء توسعات اقليمية بلغت من الغلو حد ان طمح إلى التهام اليمن كلها، باستثناء المنطقة المحمية. وعندما شعر يحيى بعجزه عن تحقيق وحدة البلاد السياسية، وعن مجابهة بريطانيا العظمى، وحليفها ابن سعود،

وعن مناجزة الملك السعودي في هذه الحرب التي شنها عليه وعلى اليمن، وعن الاحتفاظ بولاء سكان الأراضي السهلية من اليمن، فانه قرر الانسحاب إلى حصن الطائفية، والاحتماء في عرينها، والدفاع بها وعنها حتى النفس الأخير، فإذا ما استطاعت الثبات في الامتحان العسير، فانه سيخوض بها الحرب من جديد ضد الاحتلال السعودي لليمن، كما فعلت قبل ذلك مع الاتراك، وكما هي سيرة التاريخ اليمني منذ غزوة المماليك بالذات، وسقوط آخر دولة يمنية في البلاد، عدا دولة "الزيدية" التي نهضت منذئذ بعبء مجابهة قوى الغزو الأجنبية، ورفع راية المقاومة الوطنية لكل الدخلاء والطامعين في عرش بلقيس، وفي تحويل اليمن إلى مجرد ملحق من ملحقات نجد أو غيرها من الامبراطوريات التوسعية.

ولم يكن خافياً هذا الصراع العميق والحاد والقديم والمتجدد بين اليمن ونجد حتى على الرأي العام العربي والاجنبي، ولم يكن أحد في الخارج يقدر انه بامكان ابن سعود ان يحسم هذا الصراع لصالحه هذه المرة، وقد استعصى على اسرته ذلك في الغزوة السعودية الأولى لليمن، حتى ولو احتل نجران وتهامة لبعض الوقت بمساعدة بعض القوى الاقطاعية فيهما. ذلك ان سقوط نجران وتهامة تحت النفوذ الوهابي قد حدث قبل ذلك ولم يترتب عليه سقوط اليمن، بل ان العكس هو الذي حدث فقد تراجع النفوذ السعودي وبقيت اليمن. وكان مفهوماً لدى الجميع انه لن يكون حظ عبد العزيز هذه المرة أفضل من حظ سابقيه، وانه كما عجز هؤلاء عن "اقتحام العقبة" وتراجعوا دونها، بل وخرجوا من الديار اليمنية كلها، فإن امكانية اقتحامهم لهذه العقبة مرة أخرى أكثر صعوبة، والطائفة الزيدية، التي تمكنت بفضل تماسكها في كتلة سكانية ـ سياسية ـ دينية ـ حربية واحدة من الوقوف حجر عثرة دون سقوط اليمن في يد المذهب الوهابي، والحكم الوهابي الأول، قادرة الآن أيضاً ان تفعل نفس الشيء في مواجهة الغزوة الوهابية الجديدة، اياً كان رأيها في الامام يحيى حميد الدين، وفي مدى اعداده البلاد للقتال، وعدم تنبه إلى مدى جسامة الخطر السعودي التوسعي على اليمن، كينونة ومصيراً، ارضاً وبشراً.

وفي عدد 1934.5.7 اشارت "الاهرام" إلى هذا المعنى بقولها انه إذا كان "الملك ابن سعود يرى نفسه صاحب الحق في زعامة العرب" فانه "يعلم حق العلم الفروق التي تفصل زيود اليمن والوهابيين من شعبه، كما انه لا يجهل المتاعب التي لا نهاية لها التي تحملتها السلطنة العثمانية على ايدي هؤلاء الجبليين المحبين للحرب".

ونقلاً عن جريدة "مانشيستر جارديان" البريطانية التي اوردت فصلاً رئيسياً عن الحرب اليمنية ـ السعودية كتبت "الاهرام" في 1934.5.10: "إذا كان الأمير فيصل يصر على زحفه فسيلقى قتالاً عنيفاً، لأن الزيود والشيعة الذين يقطنون الجبال لا يمكن اكتساحهم بسهولة مثل رجال القبائل القاطنة في السهول، واخضاعهم بالدعاية الدينية الذي (التي) يبثها الملك ابن سعود، وهم يعرفون ان

معتقداتهم واساليبهم الدينية مكروهة في نظر الوهابيين، المحافظين، فمن دواعي العجب إذا هم لم يدافعوا عن اعتقادهم ومذهبهم، ولو فرض وفقدوا كل شعور لهم من نحو امامهم. وكان تقدم الأمير سريعاً حتى الآن لأن قلبه نقي، ولديه مدافع مكسيم،ولكن لا قوة ايمانه، ولا تجهيزاته الحربية تنفعه كثيراً، وهو يتقدم في طريقه الوعر إلى صنعاء".

ومع ذلك فإن اخلاء تهامة من الجيش اليمني وسقوط السهل في يد الجيش السعودي الغازي قد اصاب ابن سعود بنشوة زهو، وسكرة نصر، عبرت عنهما كلماته التي نشرتها جريدة الديلي ميل البريطانية، ونقلتها عنها جريدة "الاهرام" القاهرية في 1934.5.15 والتي جاء فيها: "لقد كنت دائماً اود حل النزاع بالطرق السلمية، ولا ازال انشد السلام، ولم يكن من اغراضي ان اوسع املاكي، ولم تكن رغبتي قط ان افتح اليمن، وكما ان المرحوم الملك حسين اكرهني منذ عشر سنوات على فتح الحجاز بأعماله العدائية، وتعرضه لاملاكي الواقعة على الحدود، كذلك اعتدى الامام يحيى الآن على حدودي بارسال جنوده إلى عسير ونجران في الحين الذي كان يشتغل فيه اسمياً بالمفاوضات للوصول إلى تسوية سلمية." ولقد اتضحت من ذلك كلية نيته الحقيقية "ولكن خطة الامام يحيى اكرهتني على اتخاذ تدابير عملية أكثر للدفاع عن بلادي، ولقد حذرت الامام كثيراًن وبسطت له شروطي الجوهرية بجلاء. فلو انه توخى الحكمة لقبل هذه الشروط، ونفذها، بدلاً من ان يستهدف للعواقب الخطيرة، التي انتهى الأمر إليها الآن. ولكن اشار عليه بعضهم بغير ذلك، فيجب ان يتحمل تبعة النتائج، ولا تنسى انه اكرهني على حشد جيش مؤلف من 45000 مقاتل، وابقائهم في الميدان شهوراً طويلة، علاوة على اعداد الفصائل من الجنود لسد مكان القتلى والجرحى، لتعزيز قوات الجيش، وكل هذا يتطلب نفقات طائلة، ومع ذلك لا يزال في وسع الامام ان يحصل على الصلح بتنفيذ شرطين ولكن تبين من الدعوات الأخيرة التي وجهها إلى مقامات مختلفة يناشدها التوسط انه لا يريد ان يواجه صراحة نتيجة موقف التعنت الذي وقفه" وتأكيداً لرفضه أي وساطة من أي نوع، ولعدم اهتمامه بوجود وفد الوساطة الإسلامي الموجود بالفعل في بلاده يواصل ابن سعود القول: "ان الحرب داخلية بحتة، وأمرها يعني العرب دون سواهم، ولهذا فأن كل وساطة خارجية لا فائدة منها، ولاتقابل بالترحيب، واني موقن عن اخلاص بأن انهيار مقاومة الامام يحيى عقاب من الله انزل به على احتكامه السيف، في هذا الخلاف، كما اني واثق كل الثقة من عدالة قضيتي، وان ارادة الله وحدها التي سيرت مجرى الحوادث الحالية، كما اني مقتنع بأن الامام شخصياً لم يرد الحرب، ولكنه اكره على خطة العناد التي سلكها، خضوعاً لعوامل السوء التي سادت اخيراً مجالس استشارته" وقد علق مستشار ابن سعود ورجل المخابرات البريطاني الملازم لبلاطه جون فيلبي، الذي أرسل بنفسه هذا الحديث إلى الجريدة البريطانية، علق على ذلك بقوله انه "مقتنع شخصياً بأن احتلال الحديدة وتهامة احتلال دائم، على

حين ان ما ذكره الملك عن نفقات الحرب لا يمكن تفسيره الا بأنه دليل على انه سيطالب بالتعويضات العادية من العدو المغلوب..."

ومنذ البداية لم يكن نشوب الحرب اليمنية . السعودية بعيداً عن اهتمامات الدول الاستعمارية، وقد آثار انتباهها بصورة خاصة قيام الامام يحيى بأخلاء تهامة امام زحف الجيش السعودي، وما كادت القوات اليمنية تنسحب من الحديدة حتى ظهرت على الفور وفي شكل تظاهرة غير خافية الدلالة باخرتان حربيتان بريطانيتان، هما "بنرانس" و"هاستنج" في مياه ميناء الحديدة، حيث القت مراسيها، ففي نفس الوقت ارسلت من عدن طائرة بحرية انجليزية إلى الحديدة، كما وصلت أيضاً فصيلة من البوليس المحلي المدني للمساعدة في تقديم الخدمة البوليسية للطرادات المرابطة في مياه الميناء، كما ارسلت بريطانيا العظمى طائرات بحرية إلى شواطئ الحديدة بالقرب من جزيرة كمران.

وبعدئذ قدمت من مصوع إلى ميناء الحديدة باخرتان ايطاليتان، هما "مجناهي" و"ازيو" وانزلتا جنوداً إلى البر، كما ظهرت في نفس الوقت باخرة حربية ايطالية في ميناء المخاء، تدعى "وايتا".

ونقلت فرنسا من سوريا إلى ميناء الحديدة غواصة قديمة، الحقتها فيما بعد بباخرة حربية حديثة تدعى "يبرس"

كل الدول الاستعمارية الثلاث كانت تسعى وراء هدف واحد،وهو ان يكون لكل منها موطئ قدم في سواحل اليمن الغربية الهامة والاستراتيجية، في الوقت الذي كان يبدو فيه ان مملكة اليمن آيلة للسقوط وان اليمن في طريقه إلى الافول.

فبالنسبة للاستعمار البريطاني فأنه من خلال تعاونه المكر والطويل مع ابن سعود ومنحه مساعدات حربية ابان تحضيره لهذه الحرب قد اماط اللثام عن وجهه. ولم يكن القصد بارسال بواخر عسكرية بريطانية أكثر من منع القوى الاستعمارية الأخرى من التدخل في مجرى الحرب، حيث بدأ لبريطانيا العظمى ان احلامها قد قاربت التحقيق، عندما ظهر ان مملكة اليمن مهددة بالسقوط في يد صديقها القوي ابن سعود، ولا سيما بعد ان اخذت مدن تهامة تتساقط ضمن دائرة نفوذه دون ان يطلق جيشه طلقة رصاص واحدة خلال زحفه في تهامة، حيث بلغ اللحية في 1353.1.17 (1934.5.1) . كما سبق القول . ووصل إلى الحديدة في 1353.1.21 (1934.5.5) بينما دخل الأمير فيصل قائد الجيش السعودي في تهامة المدينة نفسها في 1934.5.6، مصطحباً معه شيخ تهامة الأكبر هادي هيج. الذي كان اصطحابه له دليلاً على ان مشائخ تهامة وعلى رأسهم أكبر شيخ فيها، هم الآن في جانب ابن سعود.

وقد عبرت الصحف البريطانية . كالديلي تلجراف، والابزرفر . كما نقلت عنهما الاهرام في عددي 1934.5.16، و 1934.5.28. عن مدى غبطة الاستعمار البريطاني بهذا النصر السريع والوعد الذي

حققه حليفه ابن سعود في اليمن . عبرت عن ذلك بقولها: "اما الامام يحيى فقد كان عدواً خطراً معانداً طوال الحرب، ولم ينقطع مع (عن) تهديد عدن، ولم يتفق معنا على حدودها الا في العام الماضي، عندما وقع في نزاع مع الملك ابن السعود" اما انجلترا فخير لها ان يحكم عبد العزيز اليمن، لأن، الامام يحيى عدو للانجليز، وعاون الاتراك على مهاجمة عدن، وكان في الست عشرة سنة الأخيرة يهدد دائماً حدود عدن، ويأبى المسالمة، اما الملك عبد العزيز فصديق للانكليز، وقد نشر السلام في بلاد العرب بحكم قوي عادل."

وبالنسبة لايطاليا الفاشية التي كانت تنظر دائماً إلى شواطئ اليمن الغربية "كخلفية" لمستعمرتها اريتيريا، والتي دأبت باستمرار على محالة اكتساب الامام، لكي تحصل على نقطة ارتكاز في الساحل اليمني، فأنها كانت مستعدة لأن تتخلى عن احلامها التوسعية هذه ولا سيما في هذا الوقت الذي بدأ فيه مصير هذه السواحل على كف عفريت. ولان بريطانيا الاستعمارية وضعت نفسها من أجل تحقيق اغراضها . في جانب ابن سعود، فقد وقفت ايطاليا إلى جانب الامام يحيى حميد الدين.

وكان واضحاً تماماً . كما كتبت الصحف العربية والاجنبية والمعلقون السياسيون في هذا الوقت . "حكومة السنيور موسوليني لا ترغب في ان تسقط اليمن في يد أخرى... ولو كانت قوات الامام يحيى لا تزال متصلة بالبحر الأحمر لاستطاعت الدولة التي يهمها أمر هذه القوات ان تساعدها بالسلاح والذخيرة، وتعزز مركزها ادبياً ومادياً" وكان ارسال بواخرها الحربية . على أي حال . انذاراً من "ايطالياً بعزمها على الوقوف إلى جانب الامام يحيى، ومساعدته على الدفاع عن بلاده" وحتى ولو بدأ ان "السنيور قد راهن على الجواد الخاسر فليس معنى هذا ان يتحمل خسارته بسهولة" ولذلك ظلت المحافل السياسية الايطالية تتابع باهتمام بالغ إحداث الحرب، وتعبيراً عن هذا الاهتمام المشوب بمسحة القلق والتوتر فأن الجرائد الايطالية دأبت على نشر "برقيات مستفيضة عن المقاومة الشديدة التي يعارض بها اليمنيون مطامع ابن السعود، في بلادهم، حتى نشرت مساء 1934.5.11 بياناً شبه رسمي جاء فيه أن "لايطاليا علاوة على المنشآت الصحية التي يديرها اطباء ايطاليون مصالح اقتصادية، كشركات الملاحة، وهذه المصالح تعلل التدابير الاحتياطية التي اتخذتها ايطاليا . كما اتخذتها انجلترا . بعد انسحاب القوات اليمنية من تهامة" والمتمثلة في ارسال بواخرها الحربية، وبسقوط تهامة في يد ابن سعود فقد مالت "بعض المقامات في أوروبا لتصوير حرب بلاد العرب بأنها في اساسها فوز لبريطانيا على ايطاليا، لان بريطانيا ايدت ابن سعود، وايدت ايطاليا الامام يحيى."

اما بالنسبة لفرنسا فأنها باستثناء موقعها الاستعماري في جيبوتي كانت مصالحها المباشرة على شواطئ البحر الأحمر أقل من مصالح بريطانيا وايطاليا، ولهذا فأنه كان يهمها جداً الا تجني كل من الدولتين الاستعماريتين المنافستين لها من الحرب ما يزيد في تعزيز "نفوذهما ومصالحهما على حساب

نفوذها ومصالحها" فيزداد "التوازن الحالي اختلالاً بذلك، ويعظم نفوذها في منطقة واقعة في طريقها إلى مستعمراتها في الشرق الاقصى...."

وفوق ذلك فأن فرنسا التي طالما رفعت دعاوى استعمارية على رأس الشيخ سعيد، غدت الآن مهتمة أكثر من أي وقت مضى بتحقيق مآربها الامبريالية في هذا الموقع الاستراتيجي البالغ الاهمية، والقريب جداً من باب المندب، أو ان تعمل على الحيلولة دون احتلاله من قبل أي من الدولتين الاستعماريتين المزاحمتين لها في البحر الأحمر .

وعلى السواحل اليمنية التهب صراع تنافس حاد بين الدول الاستعمارية الثلاث، دفعت خلاله بريطانيا العظمى صديقها ابن سعود لتوزيع مذكرة على القوى الكبرى الغربية ذات المصالح المتعارضة في الجزيرة العربية يلفت فيها النظر إلى ان "النزاع المشتعل بين دولتين اسلاميتين لا حق لأي دولة مسيحية بالتدخل فيه."

لقد اثارت عملية الزحف الخاطفة للجيش السعودي في تهامة دهشة المراقبين الاجانب غير الملمين بالظروف الخاصة لمجرى الحرب في الجزيرة العربية، وكثيرون في الخارج اعتقدوا . عندما بسط الإخوان البدو بقيادة الأمير فيصل ايديهم على الموانئ المستخدمة والتابعة للمملكة اليمنية . بأن الملك عبد العزيز قد بلغ الذروة العليا في السلم التصاعدي لحرب الالحاق التي شنها ضد اليمن، وان الامام يحيى قد خسر اللعبة، وان صاحب الرياض غدا الآن على الطريق لأن يصبح الحاكم الوحيد وغير المنازع والمعترف به في جزيرة العرب، وقيصر المنطقة "ولورد العربية" كما كتبت الصحف الانجليزية التي كانت شأن حكومتها الاستعمارية سعيدة بما بدأ انه نصر حققه صديقها ابن سعود في اليمن، وضد ارادة شعبها.

ان مما عزز مثل هذه التصورات الحالمة ان الاتصال بين المملكة اليمنية والخارج كان مقطوعاً تماماً في هذه المرحلة عن مجرى الحرب، وكانت أنباء الحرب تعتمد على اخبار واعلام الصحف البريطانية والسعودية، وانتشرت في هذا الوقت اشاعة حدوث انتفاضة في صنعاء، وراجت قصة عن موت الامام يحيى، وقد دفع ذلك ابن حميد الدين للخروج عن صمته، وبادر رجال دولته إلى ارسال التلغرافات المتوالية التي تؤكد بقاء الامام حيا يرزق، وتمتعه بصحة جيدة، كما تؤكد انه ليس في الامكان قهر الجيش اليمني والانتصار عليه،وان الغزاة سيلقون العقاب الذي يستحقونه "لا صحة لما اشيع عن الثورة، صحتنا جميعاً بعافية، لم يهزم جيشنا، وما حصل من الانسحاب هو بأمرنا، بناء على رغبتنا في حقن الدماء، وتحقيقاً لرجاء من ناشدنا السلم من اولئك الذين يشفقون على دماء المسلمين، لم نرَ الا عدوانا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" هكذا تحدث يحيى حميد الدين في إحدى برقياته، لا اهمية "ولا عبرة بشائعات أهل السوء، ولكل شيء حد،اما مراكزنا فمنيعة كعرين الاسود، ولكن تميلاً

في مساعي المسلمين للصلح،وحقنا لدماء اخوتنا في الاسلام، واحتفاظاً بعمار البلاد، وتجنباً من تدخل المتربصين ببلاد العرب قد تراجعنا عن ساحل تهامة، وأما صعدة، وصنعاء، وكل داخليات اليمن فلا يداخلك من الشك في مناعتها، ولم تلتحم إلى اليوم مع المتهجمين عليها في معارك.... ولم تحن ساعة التحامنا، ولكن قارب الصبر ان يفرغ، بعد ان اشهدنا المسلمين على ما كان، والخلاصة ان اليمن سليمة منيعة، وقلوبها مطمئنة، والامور يحكم عليها بخواتيمها." وهكذا تكلم عبد الله العمري رئيس الوزراء في تلغراف له. "لم يكن انهزام، ولا ظفر، وانما فترة من التجدد والتطور، ومع كل هذه الوقوعات لم نر قطعاً الاسراف بنفوس الاسلام، والقاء المسلمين في ميدان الانتهاب." كما ذكر ابن حميد الدين في برقية اخرى، وهكذا دواليك..

هكذا فأن الحرب التي بدت في اعني بعض المراقبين الاوربيين كما لو كانت قد حسمت لم تكن قد دخلت بعد في مرحلتها الثانية والصعبة، كانت معضلاتها التي لا حل لها قد بدأت أو ما تزال في بدايتها الفعلية في شعاب المنطقة الجبلية، حيث كانت منحدرات الجبال التي لا تطال، وقلاعها التي لا تنال تحت السيطرة التامة للجيش اليمني الذي انسحب قبل قليل من تهامة إلى هناك.

كان ابن حميد الدين قد دعا . بعد الانسحاب مباشرة . إلى عقد مجلس حربي في صنعاء ضم القاضي عبد الله العمري رئيس الوزراء، القاضي محمد راغب (تركي) وزير الخارجية،والسيد علي بن إبراهيم ، قائد الجيش، والسيد حسين عبد القادر نائب الامام في صنعاء، والقاضي عبد الكريم مطهر الكاتب الأول في مقام الامام يحيى، وقد نوقشت في المجلس حالة الحرب القائمة، والمساعدة التي رغبت ايطاليا في وضعها تحت تصرف امام اليمن في حالة القبول بها، وازاء المساعدة الايطالية المعروضة فقد اتخذ يحيى حميد الدين موقفاً ينسجم مع المنطق الذي برر به سحب جيشه من تهامة، والمتمثل في القول بأنه لا يريد باستعار الحرب في تهامة اليمن اعطاء فرصة للاجانب للتدخل في الحرب اليمنية . السعودية، وبمقتضى ذلك فأنه رفض السماح للايطاليين بالتدخل في الحرب لصالحه، وصاغ موقفه السياسي هذا في عبارة واضحة الدلالة: "لو وصل عبد العزيز إلى باب داري، وتقاتلت معه على عمامتي هذه ما سمحت لاجنبي ان يتدخل فيما بيننا" وقد كرر عبد الله العمري رئيس الوزراء موقف الامام هذا بقوله: "حاشا الله ان نستعين بدولة أجنبية فيما نحن فيه من دفاع شريف، ونحن قادرون على صيانة بلادنا وشرفنا، وقد وفقنا في هذا توفيقاً حسناً. وبقوله بأن "الامام لم يطلب وساطة دولية أجنبية، ولو ثل عرشه." وحتى ابن سعود نفسه نفى ان تكون هناك قوة أجنبية وراء ابن حميد الدين في هذه الحرب، حيث جزم: ان تكون "هناك يد أجنبية تحرض الامام يحيى على موقفه هذا، فذلك ما لا اعلمه، بل لا أعتقد بوجوده." وبعد اجتماع مجلس الحرب عزم ابن حميد الدين في حزم قاطع على القاء ثقله كله في المعركة، واعتراض الزحف السعودي، إذا ما واصل تقدمه في اتجاه الجبال وتوجيه

ضربات مدمرة إليه. "واعلن في نفس الوقت انه في حالة حدوث أي هجوم على العاصمة فأنه سيضع نفسه على رأس فصائله ... وسيدافع عن صنعاء حتى آخر نقطة دم."

لم تكن قوات فيصل قد استولت على غير الشريط الساحلي الذي اخلته القوات اليمنية، وقد وصلت الفصائل السعودية الغازية في انتشارها بالارض السهلية إلى باجل، وبيت الفقيه، وميناء الطائف، أي ان التوسعيين السعوديين يسيطرون الآن على ما اسمى بالمنطقة الادريسية السابقة التي استعادها جيش التحرير والتوحيد اليمني من قبل. وعدا بعض المحاولات في منطقة الحسيني قام بها عبد الله بن خثلان للتقدم نحو زيد، والتي صدت من قبل الفيالق اليمنية المرابطة في المدينة تحت امرة، حكمها السيد عبد الله الديلمي، فقد اوقفت الكتائب الوهابية في تهامة زحفها في اتجاه صنعاء، وتعز، والمخاء، بعد ان أدرك فيصل ان التقدم في أي من هذه الاتجاهات مصحوب بمخاطر محققة، وتعقيدات سياسية لا حل لها.

بعد بضعة أيام من احتلال الحديدة اتفق فجأة على ايقاف اطلاق النار ثم على عقد معاهدة صلح.

كيف امكن الوصول إلى هذه النتيجة التي بدت غير منطقية وغير مفهومة والتي لم تكن منسجمة مع مجرى الاحداث الحربية، والتي كانت تقف في حالة تناقض صارخ مع مطامح ابن سعود التوسعية الإقليمية التي دفته إلى شن الحرب ضد المملكة اليمنية.

يمثل بعض المؤرخين رأياً بالغ السذاجة، عندما يكتبون بأن الملك الوهابي كان هذه المرة شديد الكرم مع يحيى حميد الدين، حيث انه طوعاً واختياراً، أو استجابة لرغبة وفد الوساطة الإسلامي الذي كان موجوداً في مكة اوقف زحف جيشه وسحبه من تهامة .

ولكن مثل هذا الرأي خاطئ تماماً، ولا يثبت امام أي محاكمة نقدية. واخرون يرون ان "الانجليز قاموا هذه المرة بايقاف ابن سعود، وهم الذين قبل بضع سنين لم يعملوا على حماية الشريف حسين، ذلك انهم فضلوا ان يكون إلى جوار مستعمرتهم عدن، ومحمية عدن امام اليمن الضعيف، بدلاً عن ملك العربية الذي غدا شديد القوى، فعن طريق ممثلهم الدبلوماسي في الرياض ابلغوا ابن سعود تحذيراً واضحاً جداً اعطوه فعالية كاملة بأرسال باخرة حربية إلى ميناء الحديدة اليمني، وقد خضع ابن سعود، وعقد مع امام اليمن معاهدة صلح وصداقة قادت إلى بقاء بلد ثان مستقل هو امامة اليمن في الجزيرة العربية إلى جانب مملكة ابن سعود القوية."

ويرى فريق ثالث بأن بريطانيا العظمى التي خشيت من ان تتسع مطالب عبد العزيز حتى على عدن نفسها، وايطاليا التي لم تكن تريد ان يكون هناك على الساحل اليمني رجل قوي كأبن سعود يهدد مستعمرتها اريتريا الواقعة على الجانب الآخر من الساحل، كلاهما اوقفا الملك الوهابي عند حده،وعلى ذلك فأنه "تحت ضغط بواخر حربية انجليزية وايطالية عقد بسرعة صلح الطائف."

ان مثل هذه التصورات أيضاً تضع القضية على رأسها، فالقوى الاستعمارية قد لعبت ازاء إحداث الحرب ادواراً مختلفة تماماً، استهدفت غايات متباينة كل التباين.

ان ما سبق عرضه في مطلع هذا الفصل يوضح بجلاء ان بريطانيا العظمى كانت مشاركة في التحضير للحرب وفي التشجيع على اعلانها وتنفيذها، ولذلك لم تكن حرباً توسعية اقليمية من جانب ابن سعود فحسب، وانما اكتسبت أيضاً طابع حرب توسع استعمارية من خلال الدعم غير المباشر الذي قدمته انجلترا لابن سعود وكان ارسال البواخر الحربية البريطانية ذا هدف محدد، وهو منع القوى الاستعمارية الأخرى . وبصورة خاصة ايطاليا الفاشية . من محاولة التأثير على مجرى الحرب، والاستفادة منها من خلال ذلك. وكان البريطانيون يميلون منذ البداية إلى الرأي ت كما كتب رجلهم المقيم في بلاط ابن سعود جون فيلبي المستشار المقرب منه . بأن الامام يحيى . برغم محاربيه الجبليين الاقوياء سوف يواجه هزيمة مؤكدة على يد جيش ابن سعود الآلي والقوي الذي قذفه فوق مملكته .

وكما نشرت الجرائد الانجليزية أيضاً التي لم تكن تكف في هذا الوقت عن الاشادة "بالملك ابن السعود صديق بريطانيا" فأنه إذا فرض واستطاع عبد العزيز ان يلحق المملكة اليمنية، ويغدو "جاراً لمنطقة عدن، فانه ليس هناك ما يدعو إلى الزعم بأن خطته نحون بريطانيا التي سارت على وتيرة واحدة منذ أيام قبل الحرب يطرأ عليها أي تغيير، أو تتحول من خطة الصداقة والمودة" ذلك ان مثل "هذا الفتح لا تخشى بريطانيا منه شيئاً، ولكنه قد يؤدي إلى وقوع النزاع بينه وبين قوى أجنبية أخرى". ولقد ابدى ابن السعود "اهتمامه منذ البداية لكي يظهر للعالم كيف انه يحسن السلوك، وكيف يستطيع ذلك، فعلى حكومة بريطانيا ان تجعل هذه الحقائق نصب عينها، وتقدرها حق قدرها، ولا ريب ان وجود حاكم قوي عادل في جوار محطة عدن التي لها اهمية لا تقدر كمحطة لتموين البواخر بالفحم خير من رجل ضعيف طاغية محب للنزاع والمشاكل" مشيرة بذلك إلى الامام يحيى، وليس هناك ما يخشى منه من جانب حاكم الرياض "وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الملك ابن السعود يخلق لنا المتاعب، إذا هو تولى الاشراف على هذه الحدود (مع محمية عدن) فقد اظهر ملك الوهابيين استعداده دائماً للحرص على تعهداته التي من هذا القبيل." وبالتالي فأنه إذا ما "اخضع الامام يحيى، واجتاح بلاده، وضمها إلى ملكه الواسع فماذا يكون اذن؟ ستكون ولاية عدن المحمية جارته من الجنوب، بدلاً من اليمن، وفي مثل هذه الحالة لا تقع متاعب، لأن العلاقات بين بريطانيا والمملكة السعودية حسنة، وعلاقات الملك ابن السعود الدبلوماسية مع العراق المستقل، وامارة شرق الأردن التي تحت الانتداب البريطاني مرضية، وقد رحب البريطانيون بقيام مملكته المزدوجة من نجد والحجاز وهي المعروفة الآن بالمملكة العربية السعودية، ولم يتبرموا منها، بعد الذي عانوه من تشبث المرحوم الملك حسين وعناده، فإذا انتهى الأمر بأن تمكن الزعيم العربي العظيم من ان يشيد لنفسه مملكة ثلاثية بادخال اليمن إلى

ملكه، فإن العلاقات بين انجلترا وبلاد العرب لا تزداد صعوبة، لانه اسهل على المرء ان يتعامل مع شخص واحد، من ان يتعامل مع بضعة اشخاص، وليس لبريطانيا في اليمن ذاتها مصالح مباشرة سوى المحافظة على الهدوء والطمأنينة، لأن كل فوضى تقوم فيها، قد تسبب متاعب في عدن المحمية" هكذا تحدثت الصحف البريطانية، مميطة اللثام بذلك عن مدى ترحيب لندن بعملية الغزو السعودي لليمن. واكثر من ذلك فإن ابن سعود نفسه اوضح خطته ازاء محمية عدن، التزامه باحترام السيادة البريطانية عليها، وعدم المساس بها في حالة الحاقه للمملكة المتوكلية، حيث اشار إلى ذلك بقوله انه كان لا بد" ان اسوي الأمر مع الامام، لانه يكرهني على العمل، اما جميع البلدان الأخرى الواقعة وراء حدود بلادي، فتحت الاشراف البريطاني، والانجليز اصدقائي، فلا اقوم بشيء فيه عداء لهم." كما أعلن وزيره المفوض في لندن أن "الملك ابن سعود يعترف بالمعاهدة التي عقدت اخيراً بين انجلترا والامام يحيى" هذه المعاهدة التي ابتزتها بريطانيا من الامام يحيى عشية اندلاع الحرب اليمنية . السعودية، وحصلت بها على اعترافه بسيادتها على عدن ومحمياتها لمدة 40 عاماً، وأكد الممثل السعودي في انجلترا "بأن هذه الحرب لا تؤثر في عدن إذا ضمت اليمن إلى مملكة ابن سعود."
والمباحثات التي دارت بين الوزير البريطاني في جده، والتي تمت بعيد وصول فيصل إلى الحديدة في وجود الجنود البريطانيين فيها، ينبغي ان يكون لها هدف واحد، وهو تقسيم الغنيمة بين بريطانيا العظمى، وصديقها ابن سعود، ومن هذه الزاوية بالذات يمكن فهم ذلك التصريح الذي أدلى به وزير الخارجية البريطاني السرجون سيمون امام مجلس العموم والذي اشار فيه إلى "انه على اثر تقدم الجيوش السعودية، واحتلالها الساحل الجنوبي للبحر الأحمر حتى الحديدة ابلغ السراند رويان وزير بريطانيا المفوض في جده الملك ابن السعود بأن الحكومة البريطانية ستراعي بكل دقة سياسة الحياد في الحرب الناشبة بينه وبين الامام يحيى."
ان هذه المطامع المشتركة البريطانية . السعودية في اليمن المشتعل هي التي املت على انجلترا تقديم "معانة عظيمة وفنية وعسكرية" لقيادة الحرب ضده، فضلاً عن الدعم السياسي الذي لم تكن تخفيه، وكان على رأس اهدافها الاستعمارية الوصول . من خلال ابن سعود بعد ان استحال عليها ذلك بشكل مباشر . إلى ثورات اليمن المستقل المطمور والبكر، وخصوصاً منابع البترول، ان هذه الكنوز المغرية "هي التي تتوسل انجلترا بمساعداتها الحاضرة لابن سعود إلى وضع اليد عليها" كما كتبت جريدة "ستودل كارينو" الايطالية.
إذن فإن السبب الرئيسي الذي أدى إلى توقف الحرب والى الصلح يكمن في مجرى الحرب ذاته وبالذات المرحلة الثانية من الصراع الحربي، وليس شيئاً آخر.

لقد كتب جون فيلبي انه استغرق الاستيلاء على تهامة اليمن ثلاثة اسابيع فقط، "وفي مدة مماثلة كان بالامكان ضم اليمن إلى السيطرة الوهابية، ولكن الملك ابن السعود قد أصبح الآن يتصف بالحذر، الأمر الذي لا يتلاءم مع ماضيه." غير ان فيلبي لم يحاول الاجابة على تساؤله، ويعلل لماذا غدا الآن ابن سعود حذراً، وتراجع عن مواصلة الزحف تجاه الهضبة اليمنية، والواقع ان عبد العزيز لم يجد نفسه خلال حروبه المتعددة في وضع حربي شائك ومعقد مثلما وجدها ازاء مثل هذا الوضع الذي يجد نفسه فيه الآن في اليمن. كان عليه ان يجري معادلات ومقارنات حسابية دقيقة لا تخطئ. ان مواصلة التقدم صوب الجبال، يعني .برغم وجود جيش فيصل المجهز بأسلحة جيدة كسيارات النقل والمصفحات. الاقدام على مشروع خطر، وقيادة الحرب بين ادغال الجبال، حيث كانت تتركز فيالق الجيش اليمني المدعم بمحاربي القبائل، يساوي ارتكاب الحماقة نفسها، وليس له الا دلالة واحدة، وهو تعليق هيبة ابن سعود كلها على ورقة مغامرة عسكرية تتحطم لها الرقاب. وسيارات النقل، والمصفحات، والدبابات لا تجدي نفعاً، ولا تجد لها طريقاً في مثل هذه الطرقات الجبلية الوعرة. ودفع محاربي "الإخوان البدو" في اتجاه الهضبة لخوض الكفاح مع محاربي القبائل اليمنية الذين كانوا يسيطرون على مواقع طبيعية ملائمة، والذين كانوا يحتفظون بتقاليد وتجارب نضالية غنية في الحروب الجبلية لم يكن له الا نتيجة واحدة، وهو دفع الإخوان إلى التهلكة، ونشوب حرب بين محاربي الجبال ومحاربي الصحراء في غير الميدان الملائم لكل منهما، كان يمكن ان يشبه الحرب "بين الفيل والحوت، لأن بدو ابن السعود لن يستطيعوا القتال في الاقاليم الجبلية، اليمنية الوعرة. كما لا يستطيع "اليمنيون القتال في صحارى نجد" والارض السهلية في تهامة التي اخذت بدون جهد يتطلب الحفاظ عليها جيشاً نظامياً، وليس الإخوان البدو ،الذين أيضاً ما كان في امكان ابن سعود ارغامهم على البقاء طويلاً، والعيش بعيداً عن مواطنهم الاصلية في نجد. واحتلال المناطق الساحلية في حد ذاته من قبل ابن سعود بدون توفير مصادر دعم محلية، وبدون امكانية اقامة نقاط ارتكاز عسكرية ثابتة، يشكل خطراً كبيراً، وعبئاً جسيماً، وبالذات خلق جيش احتلال نظامي قوي مرابط بصفة دائمة في منطقة مهددة باستمرار. وبدون مساعدة انجلترا ليس في امكان عبد العزيز اشباع احتياجات مثل هذا الجيش الضارب. ولكن الامبريالية البريطانية لم تكن مطلقة اليد في تهامة اليمن، حيث انها وجدت في ايطاليا الفاشية، وفي الاستعمار الفرنسي منافسين حقيقيين وقويين على هذا الشريط الساحلي الهام في تهامة، وكانت خيوط مصير تهامة موزعة في ايدي الجميع، والاحتلال الدائم لتهامة حتى مع توفر الجيش النظامي الممون بصفة مستمرة من مصادر ثابتة كان مصحوباً أيضاً بمتاعب ومخاطر جمة، وما كان سينجح ابن سعود في حماية ظهر جيش احتلاله هذا من الهجمات والغارات المستمرة والمقلقة للجيش اليمني، ومحاربي القبائل اليمنية الذين كانت الجبال توفر لهم مخابئ حصينة، وغطاء دفاعياً ممتازاً،

وكان الخوف قائماً من تكرار نفس الحالة التي واجهها الاتراك ابان فترات احتلالهم لليمن، والتي غدت نذير شؤم بالنسبة لأي قوة غازية على الاطلاق .

وعلى أي حال فقد علق عبد العزيز آماله على جيش سعود الذي كلف باختراق الهضبة عن طريق صعدة، واخضاعها على امتدادها. ولكن تلك كانت مسألة حظ أكثر منها خطة حربية مدروسة. ولقد امكن الجيش اليمني بقيادة السيف أحمد ان يوقف زحف سعود تماماً، وفي ثاني يوم من دخول الأمير فيصل الحديدة نشبت معارك بين فيالق ولي العهد اليمني، وولي العهد اليمني، وولي العهد السعودي في قاع باقم، وفي النقعة، ويباد، والشطبة، وعلس، من لواء صعدة. وقد اشتركت في المعارك فصائل من الجيش الذي انسحب من تهامة، وساهمت فيها فعالية قوى محاربة من قبائل سحار، وبني جماعة وغيرها من قبائل صعدة، وقد شن جيش التحرير اليمني هجوماً عاماً وعاصفاً على الفصائل السعودية التي كانت مرابطة هناك.

وقد حسم الكفاح الذي بلغ من الضراوة حداً متناهياً، ودام يومين كاملين من 23-24 محرم 1353هـ (من 7-8 مايو 1934) لصالح الفيالق النظامية والشعبية اليمنية، بعد ان تكبد الجيش السعودي هزيمة نكراء، وخسائر فادحة، بلغت حوالي 2000 قتيل وجريح و 400 اسير، و 360 جملاً، و 32 مدفعاً، و 9 سيارات حمل سليمة، و 27 محطمة، وعدداً كبيراً من الخيام. وفي برقية له إلى القاهرة مرسلة من صنعاء في 9 مايو 1934 صور رئيس وزراء اليمن القاش عبد الله العمري مسار المعركة الظافرة التي انتصر فيها الجيش اليمني انتصاراً مبينا على النحو التالي: "تم في يوم الجمعة المبارك ربط مراكزنا الامامية بطائر الهواء .سلك البرق .وكان من بوادر اليمن والنصر وصول أمر مولانا الامام إلى سيف الإسلام أحمد بصد المهاجمين في جبهة صعدة، فإن رجعوا فلا يلحق بهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وان قابلوا بالعدوان،رغم حرصنا على دماء المسلمين، كر عليهم حتى يفيئوا إلى حكم الله، أو ينزل بهم ما عليهم اثمه ووزره،وقد حمل الينا طائر الهواء ان جنودنا في صعدة تحركت في ثلاث جهات، فالتقت في اليمنيين بالوهابيين، وهزمتهم، واخذت منهم مغانم شتى، اما في جبهة القلب فولى الوهابيون الادبار، دون قتال، لكيلا يقعوا بجموعهم بين ايدينا، أما في اليسار فدامت الحرب 23 ساعة، ثم وقفت من الناحيتين...." وبهذه الضربة القاصمة طوح الجيش اليمني بسعود ومن تبقى من أفراد جيشه في مناطق باقم، والنقعة، ويباد، والشطبة وعلس إلى خارج لواء صعدة، وفي حالة من الاضطراب، والذعر، وعدم الانتظام ولى سعود وفلوله المندحرة المبعثرة ادبارهم في اتجاه نجران، وبذلك فتح خط الاتصال بين جيش التحرير اليمني الموضوع تحت امرة عبد الوهاب الادريسي في جبال عسير تهامة، والذي كان يقود هناك أيضاً كفاحاً مظفراً، وبين فرق الجيش الرئيسية المنتصرة في صعدة التي كانت تحت قيادة الآمر الاعلى لها أحمد يحيى حميد الدين .

وكما اتضح ان جبال اليمن "اعقد من ذنب الضب". كما قال عبد الله العمري في إحدى برقياته. وان هذه الجبال بمثابة غابات تقطنها اسودها الضارية التي لا يقدر أحد على الاقتراب منها، فإن هذا النصر المبين الذي تحقق في صعدة، والنجاحات العسكرية في جبال عسير تهامة، قد شكلت نقطة تحول في مجرى الحرب اليمنية. السعودية. فلم يوقف انتصار صعدة تقدم الجيش السعودي بقيادة سعود فحسب، وانما اتاح أيضاً للفيالق اليمنية ان تنتقل به من مركز الدفاع إلى مركز الهجوم، كما غدت به الفصائل السعودية الوهابية الغازية في تهامة واقعة. لأول مرة. تحت التهديد الحقيقي.

ومن حصيلة ما سبق يبرز بشكل قوي ان النصر الحاسم في صعدة، وتهديد القوات السعودية في تهامة التي غدت تحيط بها من الجبال فيالق الأمير أحمد بن يحيى حميد الدين، والأمير عبد الوهاب الادريسي والمعضلة الكبرى المتمثلة في امكانية صمود الجيش الوهابي طويلاً في سهل تهامة المكشوف والمحاط بمشاكل لا حد لها، ان كل ذلك يشكل السبب الرئيسي الحقيقي، والعميق وراء اتفاق الهدنة، وعقد معاهدة الصلح .

ان منطقية هذا الاستنتاج تتضح أكثر من الوقائع التالية: فبعد معركة باقم المظفرة جرت اتصالات فورية بين عبد العزيز آل سعود، وعبد الله الوزير، مبعوث الامام يحيى، ووفد المؤتمر الإسلامي انتهت إلى ان وجه الوفد الإسلامي برقية إلى ابن حميد الدين اقترح عليه فيها استئناف المفاضوات مع ابن سعود، من أجل ابرام الصلح، ولم يرفض الامام المقترح، حينئذ أرسل ابن سعود تلغرافاً إلى الامام يحيى اوضح فيه انه اطلع على برقيته الموجهة إلى بعثة الوساطة الإسلامية، وانه. أي عبد العزيز. موافق على عقد الهدنة .

وكما عبر الامام يحيى. بعد معركة باقم التي اعادت إليه اعتباره، ولليمن كلها كرامتها الوطنية. والتي مكنته من ان يتحدث بلغة قوية مختلفة عن تلك التي كان يتحدث بها في ذلة وانكسار: "اما المتاركة. أي الهدنة. فمع شديد رغبتنا في الصلح، لم يكن لنا ان نبادر بطلبها، بعد ان اعتدي علينا، ولكن لما طلبها اخونها الملك عبد العزيز وافقناه عليها اثباتاً للخطة التي قمنا عليها." ولقد ابرمت الهدنة بعد "معركة في منطقة صعدة كان فيها النصر حليف ولدنا سيف الإسلام أحمد" وفي ذلك كله فاننا "لا نحمد بعد الله احداً الا الولد أحمد." .

والان ينتصب السؤال مرة اخرى، وهو: ما هو الدور الذي لعبته الدول الاستعمارية في هذه المرحلة الجديدة من الحرب؟

لم تستطع القوى الامبريالية التي لم ترسل بواخرها الحربية إلى الحديدة الا بقصد اغتنام الاحداث الحربية، لانتزاع فوائد منها ان تصل إلى اتفاق فيما بينها. نتيجة المنافسة الشديدة. على الحصة التي ينبغي ان تصيب كلا منها من اراضي المملكة اليمنية، كما ان اقدام أي "واحدة منها على محاولة

تحقيق هذه الاغراض أو المصالح يقيم الدول الأخرى في وجهها، ويحول مشكلة اليمن من مشكلة محلية إلى مشكلة دولية" وفي نفس الوقت فإن "اختلاف مصالح الدول العظمى في البحر الأحمر يحول دون اتفاقها على التدخل عملياً في الخلاف القائم الآن بين عاهلي الجزيرة وان كل عمل تأتيه احداها لمصلحة أحد الفريقين المتحاربين لا يعد عملاً عدائياً ضد الفريق الآخر فقط، بل تعده الدولتان الاخريان موجهاً ضدهما أيضاً." ومن هنا صعب عليها أيضاً الوصول إلى اتفاق "فيما بينها على الاجراءات التي يجب ان تتخذها" بشكل محدد. ونتيجة "عدم وصول الدول الاستعمارية التي كانت ترجو الفائدة من هذه الحرب على ما تصيب كل منها" وبفعل الموقف العنيد الذي وقفته كل من ايطاليا وفرنسا في مواجهة المطامع الخاصة البريطانية، وبفضل "الموقف الذي وقفته اليمن (اولاً وقبل كل شيء) في الحرب الجبلية، وما نالته من انتصارات، وما تعذر اثارته من فتن داخلية كان يعتمد عليها السعوديون كثيراً." بسبب ذلك كله نصحت بريطانيا العظمى صديقها ابن سعود بعدم التقدم "إلى أبعد من ثغر الحديدة." .

ومع ذلك فقد كان بامكان ابن سعود برغم هذه الملابسات والتعقيدات في موقف الدول الاستعمارية ان يصر على البقاء في المنطقة المحتلة من جيشه في تهامة. كما كتب جون فيلبي. لقد رأى الملك الوهابي. بعد ان حسم الموقف في المرحلة الأخيرة من الحرب، وفي المنطقة الجبلية التي أراد ابن سعود اكتساحها، واذلالها، فأستعصت عليه، ودمرت احلامه،و احبطت مشروعه التوسعي من أساسه. رأى ان مواصلة احتلال تهامة مصحوب بمصاعب ومضاعفات لا نهاية لها. وبعد ان وزن الأمور له وعليه فضل استخدام تهامة كعنصر مساومة لدفع الامام الذي كان واضحاً انه ما كان مستعداً تحت مختلف الظروف لأن يتخلى عن تهامة، وينعزل مرة أخرى عن العالم الخارجي، ويفقد الدخل النسبي الذي كان يقدمه له ميناء الحديدة، لدفعه من أجل تبادل التنازل عن المناطق المتنازع عليها، بحيث يرفع يحيى حميد الدين مطالبه عن عسير ونجران، ويحسب جيشه من جبال عسير تهامة، مقابل ان يترك عبد العزيز تهامة، ويسحب جيشه منها، واراد حاكم الرياض ان يستخدم أيضاً عبد الله الوزير مع أعضاء وفده كرهائن لديه حتى يرغم حاكم صنعاء على تسليم الادارسة اليه .

وليس من الصعب الحزم بأن البريطانيين قد أثروا على ابن سعود في موقفه هذا أو حبذوا له المضي في هذا الاتجاه، طالما وامكانية السير في اتجاه آخر غدت قضية شائكة ومعقدة. وينبغي ان تكون الدوائر الانجليزية قد مالت إلى مثل هذا القرار، حتى تفوت على منافستيها فرنسا، وايطاليا بصورة خاصة، فرص الاستفادة من الحرب في حالة استمرارها، ولكن ليس من الصعب أيضاً تصور ان الاستعمار البريطاني لم يكن هيناً عليه القبول بمثل هذا الحل، لولا ذلك النصر الحاسم الذي سجله الجيش اليمني المظفر في المنطقة الجبلية من اليمن، والذي برهن بشكل قاطع على انه ما زال قادراً.

مع توفير شروط معينة . على شن حرب طويلة الأمد ضد الاحتلال السعودي لتهامة مما يجعل بقاءه فيها امراً مستحيلاً. واذن فأن ميل الاوساط الامبريالية في عدن إلى مثل الموقف "المتبصر" ما كان ممكناً تصور احتمال حدوثه، لولا ان إحداث ومسار الحرب . وبالذات في مرحلتها الأخيرة . قد اراها بوضوح كامل عكس ما كانت في أول الأمر تحلم وتعد نفسها به، وعكس ما كان يطمع فيه وشن الحرب من اجله حليفها ابن سعود.

ومن ناحية أخرى فأن الامام يحيى قد حسب الامر ، ووازن بين قوته وقوة خصمه، ووضع في اعتباره أيضاً العمق الاستراتيجي والسياسي والدولي الذي يتمتع به هذا الخصم، والمتمثل في تحالفه مع الامبريالية البريطانية، بينما لا يريد هو الذهاب إلى هذا المدى في علاقته مع ايطاليا الفاشية، وقد رأى أيضاً ان الانقضاض تجاه تهامة لمحاولة استعادة ما تخلى عنه، بدون كفاح يتطلب منه حشد قوة كبيرة، واستعدادات جديدة، واقتناء وسائل قتالية أكثر حداثة وفعالية من تلك التي ناضل بها الجيش اليمني في حرض، وميدي، ونجران، وكان بها رغم بسالته في الجانب الضعيف تكنيكياً، وبالتالي وعلى المدى الستراتيجي للقتال في الجانب الضعيف عسكرياً. ومن هنا فأنه أثر حل المعضلة بطريق أخصر ، واقل مدعاة للمتاعب، وذلك طريق القبول بعملية التبادل والتنازل من أجل ان يسترد . ودون حاجة لكفاح جديد ومرير . ساحل واراضي تهامة البالغة الاهمية بالنسبة لوجود دولته واستمرارها، كما ان رفض تسليم الادارسة بعد الآن . ولم يعد في نيته مواصلة النضال ضد ابن سعود . لا معنى ولا داعي له قط، وهو يشكل من جهة أخرى خطراً على قريبه واحد رجال دولته اللامعين وذوي القيمة السياسية الفائقة، وهو عبد الله الوزير ، الذي كان وما يزال في يد ابن سعود، وفي اسوأ الأحوال فأن وجوده في بلاد الخصم ربما استثمره ابن سعود في مدى معين من الزمن لتحقيق مآرب تمس عرش ابن حميد الدين ذاته، لذلك فقد وافق الامام على شروط الصلح التي على اساسها عقد اتفاق الهدنة في 13 مايو 1934، والتي كانت تلزم بأخلاء امام اليمن لجبال عسير تهامة عن طريق سحب فصائل الجيش اليمني من هناك، وتسليم الادارسة والرهائن إلى ابن سعود، بينما يقوم عبد العزيز بسحب جيشه من تهامة التي لم يأخذها حرباً، وتنفيذاً لشروط الهدنة، أوقفت جميع الأعمال الحربية من قبل الطرفين . وقبل عقد الهدنة بثلاثة أيام سحب البحارة الايطاليون والبريطانيون من الحديدة، واعيدوا إلى بواخرهم التي ظلت مرابطة امام المدينة حتى نهاية النزاع بين المملكة اليمنية والمملكة العربية السعودية .

لقد كانت شروط الصلح تعبيراً عن انه لم يكن في الحرب اليمنية . السعودية غالب أو مغلوب، وانه لا عبد العزيز كان في الموقع الذي يتيح له استعادة جبال عسير تهامة من يد الجيش اليمني القابض عليها بيد من حديد، ولا يحيى حميد الدين كان قادراً على الفور على استرجاع تهامة بالقوة العسكرية،

وان كلا الفريقين لم يكونا يمتلكان امكانية مواصلة الحرب، وتوجيه ضربة قاصمة ضد بعضهما بعضاً،

واكتشف ابن سعود أنه وان كان يستطيع ان ينتقض اليمن من أطرافها . نتيجة ضعف الدولة المركزية . الا انه لا يستطيع ان يقهر اليمن، شعباً، ووطناً.

حالاً بدأت المفاوضات بين المبعوث اليمني . عبد الله الوزير . والممثلين السعوديين الذين كان على رأسهم خالد بن عبد العزيز، وقد انتهت بعقد "معاهدة الطائف" وتوقيعها في 6 صفر 1353 (19 مايو 1934) من قبل خالد بن عبد العزيز، وعبد الله بن أحمد الوزير .

غير ان القائد الأعلى للجيش الشمالي أحمد يحيى حميد الدين أبدى معارضة شديدة في تنفيذ شروط الصلح، وقد شعر بعد انتصاره الحاسم في معركة باقم . انه من القوة بحيث يستطيع الاستمرار في احتلال جبال عسير تهامة، ودفع الامدادات العسكرية إليها من صعدة . بعد ان فتح خط الاتصال معها . والانقضاض من هناك على تهامة، عن طريق التعاون مع عبد الوهاب الادريسي وعزل الجيش السعودي فيها، وقطع خط تموينه، والاحاطة به، وتحرير المنطقة منه في آخر الأمر . وتشبثاً منه بخطته العسكرية الجريئة هذه حدث نزاع شديد ومرير ولبضعة أيام بينه وبين والده الامام يحيى، ولم تبق اخبار هذا النزاع بين الامام وولي عهده سراً مكتوماً، وانما بلغت اصداؤه العالم الخارجي، وكتبت عنه الصحف العربية، والاجنبية، وعلل بعضها بأن ثقة الأمير أحمد في نفسه، واصراره على المضي في الحرب إلى النهاية لا يعود فقط، إلى طبيعته الحربية الخشنة التي اكتسبها من خلال المعارك التي خاضها ابان تأسيس الدولة اليمنية الحديثة، وانما أيضاً إلى الدعم الخارجي الذي ينتظره من الايطاليين، والذي تردد الامام في قبوله حيث كتبت هذه الصحف، "ان سكان العاصمة اليمنية قابلوا خبر الهدنة بالارتياح، ما عدا حزب سيف الإسلام أحمد ولي العهد، وهو الحزب العسكري الذي كان يريد السير في الحرب إلى النهاية، والقيام بهجوم على نجد" "ومما لا جدال فيه ان الامام يحيى يجد صعوبة في تنفيذ هذه الشروط، لأن سيف الإسلام أحمد غير راض عنها، وهو الآن قائد الجيش اليماني في صعدة، وقد اشيع انه يعمل على خلع والده، والجلوس على العرش مكانه بحجة ضعف قواه وشيخوخته، ولا يبعد ان يتمادى في هذه الخطة بدافع مؤثرات كثيرة داخلية وخارجية، فهو بفطرته يميل إلى الحرب، وقد احاط به فريق من الزعماء الذين هم على رأيه، فتنفيذه أمر والده بالجلاء عن الجبال، وتسليم الادارسة، غير منتظر في الأحوال الحاضرة، ولا سيما إذا صح ان فريقاً من انصاره يعللونه بمساعدة قريبه من الخارج ويرى العارفون "ان المراوغة التي تجلت في خطة الامام يحيى نشأت عن الموقف الذي وقفه نجله الأكبر وولي عهده الأمير سيف الإسلام أحمد بازاء الحرب القائمة في الجزيرة، فهو الذي رفض تنفيذ أوامر والده في الجلاء عن الجبال، واعادة الرهائن، وهو الذي اقام

العقبات في طريق السلم، بعد ان كان العامل الأكبر في اثارة المشاكل التي ادت إلى الحرب الحالية وقد كان دائماً "يعلل النفس بأمكان التوسع على حساب المملكة العربية السعودية، وكان ذلك طبيعياً من رجل طموح مثله، قضى معظم حياته في محاربة القبائل الثائرة، وقمع ثوراتها" وعدم سير الأمور خلال الحرب اليمنية . السعودية كما كان يتمنى 'كان يجب ان يخفف شيئاً من حماسته، ويحمله إلى الاذعان لارادة والده، حقنا للدماء وصيانة لسلم الجزيرة وسلامتها، فمضيه في خطته القديمة لا يعلل الا بأمرين، احدهما اما أنه لا يزال موقنا بأن النصر سيكون في جانبه، وهذا ما تنفيه حقيقة الواقع، وثانيهما انه يطمح بخلع ابيه، ويجلس على العرش محله، اعتماداً منه على انصاره والمقربين منه، وعلى علاقاته الحسنة ببعض الحكومات... ولا نعتقد ان اعتماده على المقربين منه، أو على بعض العلاقات والصداقات التي يوهمونه بوجودها تفيد كثيراً امام الأمر الواقع، لأن هؤلاء المقربين لا غاية لهم سوى الاستفادة الوقتية منه بارضاء مطامعه وشهواته، ولان تلك الصداقات التي يعللونه بنتائجها وهمية على الأكثر، وتعترض ظهروها . على فرض وجودها . عقبات كثيرة، كان يجب على من يعد نفسه للعرش ان يعرفها، على انه لا يزال هناك أمل ضعيف بأن تتغلب حكمة الامام يحيى على حماسة ولي عهده" واثناء هذا الصراع بين يحيى ونجله تجددت المعارك بالفعل بين السيف أحمد، والأمير سعود في منطقة الفرع الواقعة جنوب غرب نجران وشمال صعدة، حتى بدأ كما لو ان شروط الهدنة قد نقضت، وتصور الجانب السعودي ان في الأمر خدعة، حيث "اتصل بقوات الملك عبد العزيز خبر يدل على حشد قوات، وحدوث حركات تدل على التأهب في جهات الجبال اليمانية، وهذا جعل القائمين بالامر يذهبون إلى ان الهدنة لم تكن الا لانتهاز الفرص، واتخاذ الاهبة، والاستعداد لعمل حربي جديد من جانب اليمن"

وعلى أي حال فإن صاحب الكلمة الأولى والاخيرة في البلاد يحيى حميد الدين كان رغم اعجابه بحماس نجله قد غدا زاهداً في الحرب تماماً، ومستشعراً التعب ازاءها، وما كان واثقاً قط ان مشروع ولي عهده الطموح سيصادف النجاح، ولكم كان القاضي عبد الرحمن الارياني (الرئيس الاسبق للمجلس الجمهوري للجمهورية العربية اليمنية . محقاً عندما وصف . في حديث له مع المؤلف بالقاهرة في خريف 61 وعندما رجح في حكمه عليهما جانب الحكمة على جانب الشجاعة، ولكن كم كانت اليمن قادرة على التغلب على كثير من المعضلات التي جابهتها مع القوى الطامعة فيها، لو أن يحيى حميد الدين جمع في شخصه منذ البداية والى النهاية عنصري الحكمة والشجاعة معاً، وجسدهما في استراتيجية سياسية، وفر لها مقوماتها وشروطها، ولكم خسرت حركة التوحيد اليمنية، نتيجة عدم امتلاك الدولة التي اقامها الشروط الموضوعية والسياسية الكفيلة بالمضي بها على طريق النجاح والنصر .

ومهما يكن فقد كان ابن سعود أيضاً زاهداً في استمرار الحرب، بعد ان اصطدم بحائط الهضبة اليمنية، وتحطمت احلامه التوسعية الإقليمية على صخرة مقاومة الشعب اليمني الباسلة.

وهكذا مد أجل الهدنة من 21 إلى 29 مايو 1934، حتى يتمكن الامام من سحب جيشه من جبال عسير تهامة، وتسليم الادارسة.

وقبل 29 مايو 1934 ابلغ الامام يحيى ابن سعود ان عملية اخلاء الجبال وتسليم الادارسة والرهائن تسير على قدم وساق، ومن أجل ذلك مد أجل الهدنة لبضعة أيام أخرى وفي 24 صفر 1353 (6 يونيه 1934) سلم الحسن الادريسي الذي كان قد نقل مع عائلته في بداية الحرب إلى المدينة الجبلية. المحابشة. وعبد العزيز الادريسي. اخو عبد الوهاب الادريسي. سلما في الحديدة، كما سلم إلى فيصل في عبس الأفراد التابعون لعائلتهم والبالغ عددهم 300 شخص، وحتى هذا الوقت اخلى الجيش اليمني جبال بلغاري، فيفا، ومعظم جبال بني مالك، بينما أطلق الامام سراح بعض الرهائن.

وعلى أساس ذلك صدق الملك عبد العزيز معاهدة الطائف 25 صفر 1373 (7يونيه 1934) وصدقها الامام يحيى في 7 ربيع الأول 1353 (19 يونيه 1934).

وبعدئذ سحب يحيى حميد الدين الجيش اليمني المكافح كله من جبال عسير تهامة، وسلم المكافح الفذ عبد الوهاب الادريسي إلى فيصل في الحديدة، ونفذ بذلك كل شروط الصلح.

وبدأ ابن سعود بدوره في تنفيذ شروط الصلح، ففي 15 يونيه 1934 توجه من جده على ظهر باخرة "الحق" عائداً إلى وطنه مبعوث الامام يحيى المحتجز إلى ما قبل توقيع المعاهدة عبد الله بن أحمد الوزير، مصحوباً ببعض أعضاء وفد المؤتمر الإسلامي للوساطة، وتلا ذلك اطلاق سراح الاسرى اليمنيين في تهامة ونجران، وفي نهاية يونيه 1934 بدأ الجيش السعودي الغازي انسحابه من منطقة تهامة من الحديدة إلى شمال ميدي.

وقد "عقدت" معاهدة الطائف" لمدة 20 عاماً، ويمكن تعديلها أو تجديدها خلال ستة أشهر من انقضائها، وفي حالة عدم حدوث ذلك، تبقى سارية المفعول بعد الستة الاشهر التالية لانقضائها في حالة ابداء أحد الجانبين رغبته في تعديلها، حيث يقول النص: "وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تهامة ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة أشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل" غير ان المعاهدة "لم تنص" في موادها على ما إذا كانت تبقى قائمة في حالة عدم ابداء أحد الطرفين رغبته في تمديدها أو تجديدها أو تعديلها قبل انتهاء مدتها، خلال الستة أشهر السابقة أو اللاحقة لهذه المدة، ولكنها مع ذلك لم تعتبرها "نهائية ودائمة" إذا لم تجدد أو تمدد، أو تعدل خلال هذا المدى الزمني، ومجرد جعلها سارية المفعول لمدة 20 عاماً،

وليس "إلى الابد" يجعلها معاهدة "وقتية" حتى ولو لم تجدد، أو تمدد، أو تعدل خلال ستة أشهر قبل أو بعد هذه المدة، وقد أراد يحيى حميد الدين بقصر المعاهدة على 20عاماً فقط. كما فعل في معاهدته مع بريطانيا التي جعلها مقصورة على 40 عاماً فحسب. أن يعطي لنفسه الحق في التحرك في الوقت الملائم بالنسبة لدولته نحو اعادة النظر في المعاهدة، وان يترك الباب مفتوحاً، والامر معلقاً، ومرهوناً بظروف أخرى لاحقة تكون أكثر مواتاه له وللبلاد، لطرح قضية نجران وعسير من جديد، باسم اعادة تحقيق وحدة اليمن.

وطبقاً لمواد المعاهدة فقد الغيت معاهدة عرو التي ابرمت في 5 شعبان عام1350 (1931.12.15) وقد تضمنت معاهدة الطائف التي "اسميت بمعاهدة الصداقة الإسلامية والاخوة العربية"" تأكيدات عامة حول سيادة السلم بين البلدين، وبمقتضى المعاهدة عينت الحدود بين القطرين، حيث وقد جعل الامام يحيى الملك عبد العزيز حكماً فيما يتعلق بتبعية نجران لأي من الفريقين، فقد حكم الأخير بأنها من اراضي المملكة العربية السعودية، وكل الأراضي التي كانت تابعة للمملكتين قبل عام 1352هـ (قبل يونيه 1933) أو كان لدى أي من الطرفين وثائق تثبت تبعيتها له تظل داخلة ضمن حدوده الإقليمية أيضاً، وعدا بعض التعديلات الطفيفة في منطقتي عسير تهامة ونجران لصالح الامام يحيى فقد اعتبرت كل اراضي نجران، وعسير السراة، وعسير تهامة من اراضي ابن سعود، وقد تخلى عبد العزيز من ناحية أخرى عن كل دعاوى الحماية وكل مطالب أخرى على المنطقة التي كانت تابعة قبل ذلك للادارسة، والتي هي الآن بمقتضى المعاهدة جزأ من المملكة اليمنية" كما تخلى الامام ايضاً عن كل مطالبه التي رفعها باسم الوحدة اليمنية في مناطق الادارسة بعسير تهامة، ومناطق آل عائض في عسير السراة، ومناطق اليامبيين في نجران.

وقد اعترف الفريقان بشكل متبادل بالاستقلال المطلق لكل من بلديهما، وأصدرا عفواً عاماً عن كل الأعمال العدوانية السابقة، وكل الأفراد الذين انحازوا خلال الصراع إلى أي منهما.

على ان ما يثير الانتباه هو ما نصت عليه المادة 16 التي جاء فيها: "يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الاخوة الإسلامية، والعنصرية العربية ان امتيهما امة واحدة، وانهما لا يريدان بأحد شراً، وانهما يعملان جهدهما لاجل تقربة شؤون امتهما في ظل الطمأنينة والسكون، وان يبذلا وسعهما في سائر المواقف، لما فيه الخير لبلادهما، وأمتهما، غير قاصدين بهذا أي عدوان على اية امة أخرى"، وكذلك المادة 20 التي ورد فيها: "يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده، لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج، ان وجدوا، بالنيابة عن الفريق الاخر، متى أراد الفريق الآخر ذلك، في أي شيء وفي أي وقت، ومن المفهوم انه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الفريقين في مكان واحد، فانهما يتراجعان فيما بينهما، لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلدين

التي هي كأمة واحدة، ومن المفهوم ان هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له، كما انه لا يمكن ان تفسر بحجز حرية احدهم أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة". وكذلك أيضاً المادة 19 التي نصت على التالي: "يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما، وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين، أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين، وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه".

بهذه المعاني التي اوعز بها دون شك ابن سعود من قبل البريطانيين عن طريق عينهم الساهرة في البلاد السعودي المستشار الخبير لعبد العزيز جون فيلبي، ينبغي ان يكون الملك الوهابي قد هدف إلى المساس بسيادة المملكة اليمنية لقد قدر حاكم الرياض انه سيحقق بهذه الاسس التي وضعت في صلب المعاهدة، وبالطريق الدبلوماسي ما عجز عن انتزاعه بالسلاح.

غير ان ابن حميد الدين . رغم قبوله النظري بمثل هذه المواد . لم يترك نفسه يخدع من قبل ابن سعود، وعرف كيف يتجنب بمهارة الوقوع في مثل هذه الفخاخ المنصوبة، ويحتفظ بسيادة بلاده واستقلالها بعيداً عن أي نفوذ سعودي من أي نوع كان، كما استطاع ان يفوت على الاستعمار البريطاني حتى بعد عقد معاهدة صنعاء المبرمة بين اليمن وانجلترا . أي فرصة لمد النفوذ الامبريالي من جنوب البلاد إلى شمالها.

ولكن اما حلت بيحيى حميد الدين هزيمة ما على يد خصمه القوي والمدعم بالقوى الخارجية، وما حلت باليمن . اولاً وقبل كل شيء . هزيمة على يد ابن سعود؟ واين تكمن هذه الهزيمة؟

اولاً وقبل كل شيء ينبغي ان نعيد القول وبالعبارة الواضحة بأن الهدف والخط الرئيسي الذي تابعه يحيى حميد الدين منذ نهاية الحرب العالمية الأولى كان موجهاً نحو توسيع الاطار الإقليمي لدولته، بحيث تشمل الأرض التي عرفت بها اليمن جغرافياً وتاريخياً، وتحت شعار "اليمن لليمنيين" الذي رفعه منذ فترة مبكرة، وشعار اعادة تحقيق "الوحدة اليمانية" تحرك الامام بثبات ويقين ضد المحتلين البريطانيين في جنوب البلاد، وضد التوسعيين السعوديين في شمالها، ولقد اتيح له ان ينتزع في عامي 1925.24 تهامة من يد الادارسة، ولقد كانت تلك ضربة استراتيجية وسياسية حاسمة حقق بها جيش التحرير والتوحيد اليمني قدراً كبيراً من التكامل الإقليمي للدولة اليمنية الناشئة، واصاب بها بقوة ليس فقط مصالح الاستعمار البريطاني التي لعبت دوراً مؤثراً ونشيطاً في اقامة الامارة الادريسية والحافظ عليها، وانما اصاب بها أيضاً مطامح ابن السعود التوسعية الإقليمية تجاه الأراضي اليمنية.

وبشكل عام فإن ابن حميد الدين اظهر خلال مفاوضاته الطويلة مع عبد العزيز أنه مفاوض دبلوماسي بارع، ومناور كبير، وسياسي محنك، وشديد التمسك بالاراضي اليمنية التي أصر الملك الوهابي. استمراراً لسياسة اجداده التوسعية ازاءها. على الحاقها بسلطانه.

وكان اندفاع ابن حميد الدين، واصطدامه وجهاً لوجه بابن سعود وبمطامعه السياسية هذه، ودفعه لجيش التحرير والتوحيد اليمني لانتزاع نجران، والانقضاض على جبال عسير تهامة، بقصد ضم عسير كلها آخر الأمر مع نجران إلى الوطن الأم عملاً من الأعمال الشجاعة والمجيدة التي انجزتها حركة التوحيد اليمنية في ظل ابن حميد الدين.

وبسب تشبثه بحق اليمن في نجران وعسير، وعدم استعداده للتفريط فيهما كان عليه ان يواجه كل مضاعفات هذا الموقف، وان يدخل مع عبد العزيز آل سعود في الحرب، التي غدت مهمته فيها ليس فقط الدفاع عن حقوق اليمن في نجران وعسير، وانما أيضاً الدفاع عن الكيان اليمني نفسه الذي غدا معرضاً للالحاق والضياع والانسحاق في مملكة نجد، والانضواء والانطواء تحت لواء ابن السعود.

تلك هي أهم وابرز واعم الجوانب الايجابية التي جسدتها حركة التوحيد اليمنية أثناء قيادة ابن حميد الدين لها في مواجهة المطامع الاستعمارية البريطانية، والمطامح التوسعية السعودية.

وكما لم يتح للامام يحيى ان ينتزع جنوب اليمن من البريطانيين، فانه لم يتح له أيضاً ان يأخذ شمال اليمن من السعوديين.

وهنا تماماً وعلى وجه الدقة تكمن هزيمة الامام يحيى الكبرى والثقيلة، العسكرية والسياسية،وهنا تتجسد أيضاً هزيمة اليمن الوطنية والتاريخية، القاسية والاليمة، وقبل كل شيء هزيمة حركة التحرير والتوحيد اليمنية.

ان الأسباب الجوهرية والعميقة لهذا الفشل الذريع الذي مني به الامام يحيى في دمج عسير وتهامة ونجران بوطن الاباء والاجداد، ومن ثم منيت به حركة الوحدة اليمنية هي نفس الأسباب التي حالت دون عمل نفس الشيء بالنسبة لجنوب. البلاد.

وهي لا تتمثل فقط في ان الامام واليمن كانا امام خصوم اقوياء، امام الاستعمار البريطاني الذي لم تكن تغيب عن امبراطوريته الشمس، وامام ابن سعود الذي اخضع وصفى كل الممالك والامارات في شمال ووسط الجزيرة العربية، وانما تتمثل بالدرجة الأولى في طابع الدولة اليمنية التي اسسها ابن حميد الدين، والتي أراد توسيع قاعدتها، فمملكة الامام الرجعية بنظامها الاجتماعي الاقطاعي. القبلي. الطائفي. العرقي، ما كان بامكانها ان توفر الشروط السياسية اللازمة لنهوض حركة تحرير وتوحيد يمنية قادرة على خوض نضال وطني ملح وناجح ضد الاستعمار البريطاني، وحليفه ابن سعود، وتتجلى هذه الحقيقة أكثر ما تتجلى في واقع ان القوى العسكرية التي جندها ابن حميد الدين وزج بها

في الكفاح ضد الاحتلال الانجليزي في الجنوب، والاحتلال السعودي في الشمال كانت مكونة اساساً من طائفته الخاصة من الزيديين، فلا المشائخ في جنوب البلاد، وغربها وشمالها، ولا الزعماء الاسماعيليون في نجران كانوا متحمسين للانخراط في حركة معادية للبريطانيين وابن سعود، يكون الامام يحيى هو قائدها، والذين ناصروا جيشه في جبال عسير تهامة من المقاومين اليمنيين لم يفعلوا ذلك بصفتهم اتباعاً له، وانما بصفتهم اتباعاً للادراسة، وكما خذل ابن حميد الدين انتفاضة عسير تهامة ضد القهر السعودي عام 1932، وكان بعيداً عن هبة عسير السراة في مطلع العشرينات، فقد خذلته وظلت بعيدة عنه عسير كلها، بينما حاربته نجران، ووقفت إلى جانب خصمه في الصراع، لقد كان نظام الضرائب البالغ البشاعة والقسوة، اسلوبه المغرق في الخشونة والفظاظة في جبايتها، والمتمثل فيما كان يسمى "بالخطاط والتنافيذ" أي تجريد العساكر على القرى، ومرابطتهم في بيوت الفلاحين، وتكليفهم مؤونة عيشهم طيلة بقائهم فيها، حتى تدفع ضرائب الدولة مع "اجرة" هؤلاء العساكر الذين لم يكونوا يتراجعون عن الاساءة الجسدية والمعنوية للفلاحين، وان نظام "الرهائن" المتجسد في اسر اقارب اعيان ومشائخ البلاد، وابقائهم في سجون الامام الخاصة، ضمانً لطاعة وولاء الطبقة الاقطاعية، وعدم تمرد أحد من نبلائها عليه، وهو النظام الذي لم تقتصر ممارسته في حدود مملكة الامام الخاصة، وانما عم كل منطقة وصل إليها جيش ونفوذ ابن حميد الدين، ابتداء من بعض المناطق التي كان قد استردها في جنوب البلاد مروراً بنجران، وانتهاء بجبال عسير تهامة، وان نظام حكمه يقوم على الأساس الطائفي . فوق الأساس الاقطاعي . القبلي . ولا يتيح لغير العناصر البارزة والموالية في الارستقراطية كهنوتية ارستقراطية عليا من البيوت الاقطاعية الهاشمية، ان نظاماً له كل هذه الملامح الاستبدادية، والرجعية النابعة من طبيعة الدولة الامامية ما كان له ان يجتذب إلى الكفاح جماهير الفلاحين في طول البلاد وعرضها، وما كان لها هي أيضاً من تتعاطف معه، وان تسليمه قيادة نفسها، وان تكون ضمن أي حركة سياسية تتم تحت ادارته وبتوجيهه، ولقد حالت مثل هذه القسمات الحادة والبغيضة، والمكروهة في جبين النظام الامامي دون التحاق الطبقات والفئات الواسعة من أبناء الشعب اليمني بحركة التوحيد اليمنية التي كان يقودها يحيى حميد الدين، لقد كانت رؤية ذلك التحكم . الطبقي . الطائفي . الاوتوقراطي الذي تطبقه الطغمة الامامية داخل مملكة الامام المقفلة نفسها كافية لأن تصيب بالذعر والهلع كل الشوافع والاسماعيليين خارج هذه المملكة، وبكل طبقاتهم وفئاتهم، من بدوهم وفلاحيهم إلى اعيانهم واقطاعييهم الذين لم يكونوا يحلمون بامكانية الحصول على موقع سياسي في دولة الامام، مما حتم عليهم الهرب من طريق حميد الدين، وتفويت الفرصة عليه، حتى لا يقعوا في قبضته، وتحت وطأة سلطانه، مهما كانت الشعارات التي يرفعها، وحتى ولو كان

على رأس هذه الشعارات "اليمن لليمنيين" والنضال من أجل اعادة "الوحدة اليمانية" طالما وان هذه اليمن الموحدة ستكون تحت حكم بيت حميد الدين الاستبدادي الطغياني المتعصب الاهوج.
هكذا فقدت حركة التوحيد السياسية. بسبب الطابع الرجعي والمتخلف للدولة النواة التي اقامها يحيى.
كل تأييد ومعاضدة قوى اساسية وشعبية في البلاد ما كان ممكناً تحقيق الوحدة بدونها، أو بالرغم منها، أو من وراء ظهرها. وتقف على رأس هذه القوى طبقة الفلاحين العريضة التي كانت قبل غيرها تقع تحت نير الاضطهاد الطبقي والسياسي الذي لا مثيل له، والتي نفرت من الامام، عندما امتد نفوذه إليها، سواء في غرب البلاد أو جنوبها أو شمالها، بحيث لم يبق إلى جانبه سوى اتباع طائفة الزيدية، بحكم اعتبارات تاريخية واجتماعية وسياسية وايديولوجية ودينية كثيرة.
ومن هنا نفهم لماذا هب سكان تهامة وعلى رأسهم مشائخهم في اللحظة الدرامية ضد ابن حميد الدين، عندما أعلن ابن سعود الحرب ضد اليمن، ومن هنا نفهم أيضاً لماذا فعل سكان نجران نفس الشيء خلال كل فترات الصراع الحربي، كما نفهم لماذا كان ممكناً للاستعمار البريطاني ان يخدع سكان المنطقة الجنوبية، وعلى رأسهم امراؤها، وامكنه تجنيد هؤلاء الأمراء ضد كل محاولة قام بها جيش التحرير والتوحيد اليمني لاستعادة هذه المناطق من قبضة الاحتلال الانجليزي.
وفيما عدا حالات استثنائية فانه فقط بمساعدة الطائفة الزيدية التي تكون منها في الأساس الجيش اليمني امكن الدفاع عن اليمن، عندما تعرضت للغزوة السعودية، التي كان هدفها الأخير اسقاط البلاد، والحقاها بمملكة ابن سعود.
لقد كان الطابع الرجعي الاقطاعي المتخلف للدولة التي اقامها ابن حميد الدين هو السبب في فشل المهمة التاريخية والعظمى، مهمة توحيد الوطن اليمني، واقامة دولته المركزية الحديثة، الموحدة المستقلة.
ولقد اظهرت الحرب اليمنية. السعودية أيضاً ان الامام، برغم اهتمامه باقتناء السلاح، فانه لم يزود جيشه بالسلاح متفوقاً بالكامل، ومجهزاً حتى بالاسلحة البرية الثقيلة، وبمثل هذه الأسلحة الرديئة ما كان بامكان الفيالق اليمنية ان تبقى في نجران، وتدافع عن نفسها طويلاً، اوان تكون في الوضع الذي يتيح لها تحرير عسير من الاحتلال السعودي المركز. لقد انعكست الطبيعة الاجتماعية المتخلفة للنظام الامامي على المستوى العسكري، حيث كان الجيش حتى باسلحته جزأ من هذا النسيج الاجتماعي المهترء والبالي.
لقد سجل عام 1934 لحظة ركود وتوقف عملية توسيع الرقعة الإقليمية للدولة اليمينية الحديثة،سواء في اتجاه الجنوب أو الشمال. في هذا العام انهت عملية النمو في جسم الدولة اليمنية، وانقطع خط السير نحو الوحدة اليمنية، وسد الطريق امامها، واتضح تماماً ان هذه العملية التاريخية، وهذه الضرورة

الموضوعية تتطلب شروطاً اخرى، وظروفاً اجتماعية وسياسية أكثر مواتاة لها، حتى يتاح لها الانطلاق والتبلور والتجسد في حركة تحرير وتوحيد وطني، لا تتجه حربتها ضد الاستعمار البريطاني، والاحتلال السعودي فقط، وانما ضد الاستبداد الامامي ذاته.

ولقد شهد عام 1934 التعاون الوثيق والقوي بين بريطانيا العظمى وابن سعود، من أجل تسديد ضربة مدمرة وقاتلة، ليس فقط لحركة التوحيد اليمنية، وانما أيضاً لكيان الدولة اليمنية ذاته، وكانت الحرب الشاملة التي اعلنها ابن سعود ضد اليمن قمة هذه المؤامرة الدولية التي استهدفت تمزيق ما تبقى من جسد اليمن، وسحق شخصيتها، واذابة كينونتها، وتحويلها إلى مجرد ملحق من ملحقات نجد، واسقاطها ضمن دائرة النفوذ الخارجي السعودي والبريطاني معاً.

وفي عام 1934 انهارت مقاومة الامام يحيى سواء في الجنوب في مواجهة انجلترا، أو في الشمال في مواجهة ابن سعود. في هذا العام اضطر وقبل يحيى حميد الدين بعقد معاهدتين مع بريطانيا العظمى، وعبد العزيز. وبمقتضى معاهدته مع انجلترا فانه سمح للبريطانيين باحتلال جنوب البلاد لمدة 40 عاماً، حتى تتم مفاوضات جديدة خلال هذه المدة بين الطرفين المتعاقدين. وبمقتضى معاهدة الطائف فانه اجاز لابن سعود حكم نجران وعسير لمدة 20 عاماً، حتى تتم مفاوضات قبل قضاء هذه المدة، أو بعدها بستة أشهر لتجديد أو تعديل أسس المعاهدة.

ومع ذلك فانه رغم هزيمته، فانه يسجل له انه لم يتنازل "بشكل مطلق" لا عن جنوب البلاد،ولا عن شمالها، بحق اليمن فيهما، حتى يتاح لها، في ظروف انسب، وفي وقت تكون فيه علاقات القوى بين الفريقين أكثر تكافؤا، المطالبة مرة أخرى باعادة النظر في الوضع، وذلك هو سر اصرار الامام يحيى على تعييد كلتا المعاهدتين بمدة زمنية محددة.

ولقد تجلى في عام 1934 ان المملكة اليمنية رغم الكفاح الجسور والظافر في بعض الاحيان، ورغم التضحيات الهائلة، لم تكن تملك الشروط الداخلية التي تؤهلها لخوض نضال ناجح تحقق بها وحدة البلاد الوطنية، وبسبب التركيب الاقتصادي . الاجتماعي الرجعي والتخلف للدولة اليمنية بقي هذا الهدف العظيم بعيداً عن التحقيق. ولقد كان فشل سياسة الامام يحيى في توحيد الوطن اليمني، وكان استسلامه امام الامبريالية البريطانية، وامام ابن سعود، تعبيراً صارخاً عن مدى ضعف ورجعية وتخلف المملكة اليمنية، وبرهاناً قوياً عن مدى الحاجة الماسة والملحة إلى إحداث تغيير اجتماعي جوهري في البنية الاجتماعية والسياسية لهذا النظام.

ومن هنا فانه لم يكن امراً غريباً انه في هذا الوقت بالذات، عناصر يمنية مستنيرة حتى من داخل الطبقة الاقطاعية نفسها تمارس نشاطاً سياسياً له طابع المعارضة لحكم الامام يحيى، وبلغ بها السخط عليه حد تصور افضلية النظام المنتصر، البريطاني والسعودي، على النظام الامامي المهزوم

والمأزوم، تلك هي المعارضة اليمنية التي تسمت منذ عام 1944 بحركة "الأحرار اليمنيين" ولقد سجل أحد كراساتها لحظة البداية، وزاوية الرؤية هذه بقوله انه "فات المستنيرين ان يتمعنوا في النظر لدلالات الصراع بين الحكومة القائمة، والسلطات البريطانية والسعودية... ان الرابط الوحيد بين المستنيرين هو السخط على الحكام، ومجرد السخط الحانق، دون اتفاق على حيثياته، اللهم الا بشكل عائم غير محدد." مع "الاغفال التام لقضية الاحتلال البريطاني للمنطقة الجنوبية. ولعله من غير المجازفة القول بأن الشعور بالشماتة والارتياح قد ساد هؤلاء الساخطين، عندما هزمت الحكومة امام القوات السعودية والبريطانية، ويمكن ان يفسر اقتران بدء النشاط ضد الحكومة في هذه الفترة باعتقاد المستنيرين ضعف الحكومة من ناحية، ومن ناحية أخرى التوهم بأن السعودية والانجليز خير من المتوكلين، وانهم لن يتوانوا عن انجاد أي تحرك شعبي بغية نصرة العدالة."

وإذن فقد سجل عام 1934 ايضاً ليس فحسب انهزام سياسة الامامة فيما يتعلق باعادة خلق وحدة الوطن اليمني، وانما كذلك بداية نشوء معارضة يمنية، كان همها كله مركزاً على تحريك الامام، لادخال اصلاحات ادارية وسياسية في اطار النظام الامامي . الاقطاعي نفسه.

وباغفال المعارة ذات الطابع الاصلاحي السلفي لقضية الوجود الاستعماري، وعدم اهتمامها على الاطلاق بقضية مصير نجران وعسير ، وبسيرها، على العكس من ذلك، في اتجاه التعاون مع الاستعمار البريطاني ومحاولة اكتساب تعاطف البلاط السعودي مع مطالبها الاصلاحية . كما تشير إلى ذلك بوضوح الفقرة المذكورة اعلاه، وكما برهن على ذلك نشاطها السياسي كله . اتضح بجلاء انه لا الحكم الامامي، ولا المعارضة التي قامت ضده، لا الجناح الاقطاعي الحاكم، ولا الجناح الاقطاعي . الكومبرادوري المعارض، كان يمتلك الشروط التي تكفل تحقيق وحدة البلاد السياسية.

ومنذ عام 1934 كان واضحاً ان مهمة تاريخية جليلة ومجيدة كهذه متوقف النهوض بها على قوى من خارج الطبقة الاقطاعية العاجزة والرجعية، ومن خارج الفئة الكومبرادورية التابعة لها وللاستعمار البريطاني، متوقف القيام بها على نمو وتطور حركة ثورية يمنية، حركة تحرير وتوحيد وطني، تستطيع عبر النضال ضد الاستعمار والاستبداد والتخلف والتجزئة انضاج وانجاز العملية التاريخية الكبرى التي توترت بها حياة البلاد منذ القرن التاسع عشر عملية اقامة دولة اليمن الكبرى الموحدة المركزية. المستقلة المتقدمة الوطنية الديموقراطية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ال سعود ملك المملكة العربية السعودية. بما انه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية لانهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته، ولتأسيس علاقات الصداقة الإسلامية بين بلادينا ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته، وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة وذلك في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي:

معاهدة صداقة اسلامية واخوية

بين

المملكة العربية السعودية

وبين المملكة اليمانية

حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ال سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة وحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة أخرى.

رغبة منهما في انهاء الحالة التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها.

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة.

وحبا في تثبيت الحدود بين بلاديهما وانشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما.

ورغبة في ان يكونا عضداً واحداً امام الملمات المفاجئة وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية، قرراً عقد معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية فيما بينهما، وانتبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما:

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية:

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء.

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن:

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير.

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق. وبعد ان اطلع المندوبان المذكوران على اوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للاصول قرراً باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الاتية:

المادة الأولى

تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة اسلامية عربية دائمة لا يمكن الاخلال بها جميعها أو بعضها، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بيهما، وبأن يسود علاقتهما روح الاخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سراً وعلناً، ويرجوان منه سبحانه وتعالى ان يوفقهما وخلفاءهما ورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلعاً وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ال سعود ملك المملكة العربية لحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملكية على اليمن. ويعترف حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً وبالمملكة على المملكة العربية السعودية. ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو اقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة.

ان جلالة الامام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الادارسة وغيرها كما ان جلالة الامام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الادارسة أو ال عائض في نجران وبلاد يام.

المادة الثالثة

يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان ان على الطريقة التي تكون بها الصلاة والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على أيهما على ان لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين

المتعاقدين للأخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث. ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة

خط الحدود الذي يفصل بين بلاد من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما:

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالاً إلى ان ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى ان ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى اطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة العربية السعودية فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووداعة ظهران من هدمان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة 352 كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان واكثر الحرث والخوبة والجابري واكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى اطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها العربية السعودية قبل سنة 1352 كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية.

وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الامام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية وحيث ان الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة

العربية السعودية الا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع اخوانهم وائلة عن التمتع بالصلاة والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به. ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين اطراف قبائل المملكة العربية السعودية واطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فالمملكة اليمانية كل الاطراف والبلاد اليمانية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات. وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة وكثيراً ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين. اما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على اكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة

نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فانهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بحسب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الاهلين والجند عن كل ضرر.

المادة السابعة

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين وبرد كل ما ثبت أخذه بالتحقيق الرعي من بعد ابرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر.

المادة الثامنة

يتعهد كل من الفريقين السامين المتعاقدين تعهداً متقابلاً بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن ان ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم امكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في مطلق مرفق بهذه المعاهدة.

ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً للكل فيها.

المادة التاسعة

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأي عمل عدواني أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر. كما انه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر هي:

1. ان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالادب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله.

2. وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فانه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم إلى حكومته الطالبة. وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر في انفاذ الطلب. وعليها اتخاذ كافة الاجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب. وفي الأحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التي فرَّ من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى وان تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته.

3. وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل.

المادة العاشرة

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً موظفاً كان أم غير موظف فرداً كان أم جماعة ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من ادارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده. فإن تمكن احدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في اراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجيء والقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها وفي حالة عدم امكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها.

المادة الحادية عشرة

يتعهد كلم من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المكذورة.

المادة الثانية عشرة

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق.

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو اشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له الا بموافقة ذلك الفريق وبان تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للاحكام الشرعية المحلية.

المادة الثالثة عشرة

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين باعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الاجرام والاعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه اصدار العفو) كما انه يتعهد باصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل من اشكال انضموا إلى الفريق الآخر عن كل جناية ومال اخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائناً ما كان وبالغاً ما بلغ وبعدم السماح باجراء أي نوع من الايذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه. وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لاجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة وان تعذر على احدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر حتى لا يحصل أي حيف ولا نزاع، وما يقرره المندوبان يكون نافذاً.

المادة الرابعة عشرة

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم املاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لاحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والاملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أي نوع من انواع التصرفات الشرعية فيها.

المادة الخامسة عشرة

يتعهد كل الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر بلاده أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للاخطار.

المادة السادسة عشرة

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الاخوّة الإسلامية والعنصرية العربية ان امتهما أمة واحدة وانهما لا يريدان باحد شراً وانهما يعملان جهدهما لاجل ترقية شؤون امتهما في ظل الطمأنينة والسكون وان يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وامتهما غير قاصدين بهذا أي عدوان على اية امة.

المادة السابعة عشرة

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر ان ينفذ التعهدات الآتية:

أولاً . الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً.

ثانياً . المعاونة الادبية والمعنوية الممكنة.

ثالثاً . الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة انجح الطرق لضمان وسلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضرر عنها والوقوف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي.

المادة الثامنة عشرة

في حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتي:

أولاً . اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من اراضيه.

ثانياً . منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا إليها كما هو موضح في المادة (التاسعة والعاشرة) اعلاه.

ثالثاً . منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم.

رابعاً . منع الامدادات والارزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين.

المادة التاسعة عشرة

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما. وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه.

المادة العشرون

يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لمثليه ومندوبيه في الخارج ان وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر انه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الفريقين في مكان واحد

فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كأمة واحدة. ومن المفهوم ان هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له كما انه لا يمكن ان تفسر بحجز حرية احدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة.

يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في 5 شعبان 1350 على كل حال اعتباراً من تاريخ ابرام هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون

تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات ابرامها مع استثناء ما نص عليه في المادة الأولى من انهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل.

المادة الثالثة والعشرون

تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة، واشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه وكتب في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صقر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم

بين

المملكة العربية السعودية

وبين مملكة اليمن

بما ان حضرة صاحبي الجلالة الامامين الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية والملك يحيى ملك اليمن قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف على ان يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى

عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان باجراء التحكيم على الصورة المنية في المواد الآتية:

المادة الأولى

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل باحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه.

المادة الثانية

يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وان لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فإن قبل أحد الفريقين بالمرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً وان لم يمكن الاتفاق على ذلك تجري القرعة على ايهما يكون وازعاً مع العلم بأن القرعة لا تجري الا على الأشخاص المقبولين من الطرفين. فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل في القضية وان لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجري المراجعات فيما بعد إلى ان يحصل الاتفاق على ذلك.

المادة الثالثة

يجب ان يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لاجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله الفريق الآخر. وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة. وعلى هيئة المحكمين ان تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الأحوال ان تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين اعلاه. ويعطي حكم هيئة التحكيم بالاكثرية ويكون الحكم ملزماً للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه. ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين ان يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك.

المادة الرابعة

اجور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الأخرى.

المادة الخامسة

يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف ويظل ساري مدة سريان المعاهدة المذكورة، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة.

وقراراً بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف
(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود
حرر في 6 صفر 1353

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة الاخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الامام يحيى حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله. أما بعد فانه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية احب ان اثبت لكم في كتابي هذا انه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول انفاذ مقتضاها الا في اثبات ما يأتي:

1 . ان يجري تسليم الادارسة واخلاء جبالنا في تهامة واطلاق رهائن أهلها حالاً.

2 . ان يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوماً ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وان انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره، وكل حادث عدواني علني في خلال المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الامام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود
حرر في 6 صفر 1353

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ 6 صفر 1353 وقد احطت علما بما اشترطتموه سموكم لانفاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الادارسة واخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل جنود جلالة الامام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز واطلاق رهائن أهلها وان تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الاخص مسألة الحدود إلى ان يتم ترتيب الاتفاق الذي اتفقنا عليه لانفاذه، وان انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره، وان كل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الامام يحيى. لقد أحطت علماً بذلك ويسرني ان أعلم سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وانه سيكون مرعياً من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير
حرر في 6 صفر 1953

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فاتشرف بأن اثبت هنا الحاقاً بمعاهدة الطائف الموقع

عليها من قبل سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الامام يحيى، واتعهد باسم جلالة الامام يحيى بما هو آت:

1. تسليم الادارسة لجلالة عبد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الادريسي وسيسلمون حالاً لرجال سمو الأمير فيصل في تهامة، اما السيد عبد الوهاب الادريسي فنظراً لانه لا زال إلى الآن في بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الانحاء لتسليمه، فإن لم يطع الأمر فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بما يأتي:

أ. ان تمتنع حكومة الامام يحيى عن كل مساعدة مادية أو معنوية له، وان تمنع عنه من بلادها أي معاضدة أو معاونة.

ب. إذا ارادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الأراضي التي هو فيها فإن حكومة الامام يحيى ستعمل من جهتها سائر انواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها، وتتعهد ان تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته من أي جهة وقبيلة من قبائل المملكة العربية السعودية وان تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد إذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية، وان تمنع فراره أو فرار أي شخص من الذين اشتركوا معه في عمله إلى الخارج إذا دخلوا إلى اراضي المملكة اليمانية

2. أما من كان له تعلق بالادارسة وحركتهم من الاشراف أو غيرهم فإذا ارادوا اللحاق بالادريسي فلهم الامان من قبل حكومة جلالة الملك عبد العزيز والصيانة والاحترام والاكرام اللائق بحقهم وإذا لم يشاءوا ذلك فانهم يخرجون من بلاد جلالة الامام يحيى ولا يسمح لهم بالبقاء فيها وإذا عادوا إليها مرة أخرى فيطردون حالاً. وينذرون بأنهم إذا عادوا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز فإن عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بتسليمهم إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط.

فأرجو ان تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم وعلى هذا عهد الله وميثاقه وارجو ان يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذا الشأن.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير

حرر في 6 صفر 1353

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة صاحب السيادة الاخ السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الامام يحيى حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد فأشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ما تعهدتم به باسم جلالة الامام يحيى بشأن الادارسة واتباعهم، وانا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الامانة والوفاء المأمول في جلالة الامام يحيى، ونتمنى ان يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز

حرر في 6 صفر 1353

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن اثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية في البلادين. ان التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق الا ان يوضع بين البلدين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقاً اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو غيرها من الاغراض والمنافع، فأرجو ان انال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

حرر في 6 صفر 1353

من عبد الله الوزير إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ 6 صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين من البلادين وانني على اتفاق مع سموكم في ان يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل إلى ان يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل، وان ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير

فبعد ان اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب التي ألحقت بها وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها كما اننا نصدقها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً باننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال

الامانة والاخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها امرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين.

حرر بقصرنا في الطائف في الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف.

تذييل الامام يحيى: حرر في اليوم السابع من شهر ربيع الأول وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة اخينا جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن.

كتب هذا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين سامحهما الله تعالى.